Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رسائل سجين سياسي

إلى حبيبته

0012648

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

https://www.facebook.com/maktabat.abouelees

http://abouelees.blogspot.com

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مصطفى طيبة

رسائل سجين سياسي إلى حبيبته

الجزء الأول

العربي

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سجن مصر
ليمان طره
تخشيبة الوايلى
معتقل القلعة
سجن الواحات الخارجة
ليمان أبو زعبل
تخشيبة مصر الجديدة
سجن الاستئناف
تخشيبة السيدة زينب
سجن المحاريق
سجن القناطر الخيرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

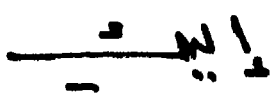

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حبيبتى

هل تذكرين حديثك التليفونى معى فى اول يناير عام ١٩٦٥ ؟
انا ما زلت اتذكره بالحرف الواحد ٠
ـ الاستاذ ٠٠٠٠
ـ انا هو ٠
ـ متى خرجت من السجن ؟
ـ **٤ ابريل ١٩٦٤**
ـ كم سنة مكثت فى السجن ؟
ـ **١٢ سنة**
ـ سجن أو اعتقال
ـ **١٠ سنوات سجن و ٢ اعتقال**
ـ ولماذا لم تخرج بعد قضاء مدة العقوبة ؟ ٠
ـ من انت ؟
ـ صديقة ٠
ـ ما اسمك ؟
ـ وهل يهمك اسمى ؟
ـ ما دمت صديقة كما تقولين فيهمنى ان اعرف اسمك ٠
ـ وهل تعرف اسم كل صديقاتك واصدقائك ؟
ـ أظن ذلك والا أكون قد فقدت ذاكرتى ٠
ـ تواضع هذا ؟
ـ واين التواضع هنا ؟
ـ انت فارس الاربعينات ٠

ومرت ثوان شهدت خلالها شريطا سينيمائيا يسجل أحداث الأربعينات حتى يوم ١٨ يوليو ١٩٥٢ اليوم الذى اعتقلت فيه وهنا جاء صوتك يحمل رنة سخرية ٠
ـ لماذا توقف ارسالك ؟
وبدت رنة الغضب فى نبرات صوتى ٠
ـ هل تسخرين منى ؟
ووصلت الى نبرات صوتك تحمل الأسف والاعتذار
ـ عفوا « آسفة » كنت امزح معك ٠
واستمرت رنة الغضب فى صوتى ٠
ـ هل أنت من شباب الستينات الذين شطبوا على كل ما قدمناه لشعبنا؟
وجاءت نبرات صوتك تحمل أسفك للمرة الثانية ٠
ـ كلا ، كلا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ ابدا ٠ ابدا ٠ ولكن لنـا بعض الملاحظات ٠ ومن واجبكم ان تسمعوها٠
ـ هل هى ملاحظـات أو أحكـام مسبقـة ؟
« ولم تردى الا بعد ثوان ـ ادركت خلالها انك فهمت ما أقصده »
ـ معك حق هنـاك فـرق بين ملاحظات قـد تكون سليمة وقـد تكـون خاطئة ومن الضرورى أن تناقش والا صارت أحكاما مسبقة تضر بالمسيرة ٠
« ومـرت لحظة عادت ذاكرتى خلالها الى الوراء ٠٠ الاربعينات والخمسينات والسنوات الاربع فى الستينات ٠٠ ثـم جـاء صوتك يحمل رنة الصدق »
ـ أرجو ان لا أكون قـد لمست جانبـا مـن مسيرتكم يثيـر حساسية خاصـة عندكم ٠
ـ أبـدا ٠ أبـدا ٠ من رأيى أن هـذا الجانب بالذات هو الذى يجب أن تعرفـوه يا جيـل السنينات ٠
ـ ولماذا لا تكتبـه ؟
ـ اخشى أن لا التزم بالموضوعية التـامة ٠
ـ حـاول ٠
ـ حاولت مـرات وفشلت ٠
ـ ولمـاذا ؟
ـ لاننى فـرد ، جـزء من ظاهرة كبيـرة ومعقـدة ٠
ـ لكنك لست مجـرد فـرد ٠٠ كنت أحد البارزين من قادة المسيرة ٠
ـ هذا هو بالتحديد الذى يشل تفكيرى عنـد محاولتى الكتابة فى هـذا الموضوع ٠
ـ مـا العمل اذن ؟
ـ اكتبى انت :
ـ وهل أملك قـدرة الكتـابة فى مثل هذا الموضوع ؟
ـ نعم تملكين ٠
« وجـاء صوتك يحمل الدهشـة كل الدهشة »
ـ انـا لا املك الا خبرة صغيـرة ٠
ـ الا تملكين الايمـان بالشعب ؟
ـ كل الايمان ٠ ولكنى لا املك أدوات البحث ومصادره ٠
ـ ابحثى عنهـا وستجدينهـا ٠
ـ أيـن ؟
ـ عند الذين اشتركوا فى صنع المسيرة ٠
ـ ولكنهم مختلفـون ٠
ـ الأموات فقط هم الذين لا يختلفون ٠٠
ـ كانت خلافاتهم جذرية وعميقة الجذور ٠
ـ ابحثى عن أسباب ذلك ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- **ايـــن ؟**
- فى كل ما يمولونه ويفعلونه ٠
- **سيكون مجـرد تسجيل ٠**
- **سجلى أولا ثـم بعد ذلك يجىء دور التحليل ٠**
- لا أملك القـدرة على التحليل ٠
- **لا تفكـرى فى ذلك الآن ٠ هيـــا ابـدئى وستجدين معك آخـــرين يســاعدونك ٠**
- هل تعـدنى أن تكون أحـد الذين يساعدوننى ؟
- ليس وعـدا ٠ بل التزامـا ٠
- **موافقـة ٠ ولكن بشرط ٠**
- **ما هو الشرط ؟**
- **ان تكتب ذكرياتك خـلال ١٢ سنة سجن ٠**
- موافق ٠
- ومتى تبـــدأ ؟
- **حين أجـد نفسى فى ظـروف تساعدنى على الكتابة ٠**
- وهل هناك ما يشغلك عن مثل هذا العمل الكبير ؟
- **نعـــم ٠**
- **ما هـو ؟**
- ابحث عن شىء صـادق ٠
- هل انت متشائم ؟
- بل فى غـاية التفـاؤل ٠
- **لسـت أفهم ٠**
- **لا تتعجلى ٠٠ غـدا تفهمين ٠**
- هل تساعدنى على الفهم ؟
- اعـدك ولكن بشرط ٠
- ما هـو ؟
- ان تبـدئى أنت فى تسجيل تاريخ الاربعينات ٠٠
- سأبـدأ بالبحث عن فرسانها ٠
- أو لست أنا أحد فرسانها ٠٠ كمـا تقولين ؟
- نعم ٠٠ ومن فرسانها البارزين ٠
- اذن نلتقى ٠٠
- كل لقـاء لـه شروط
- **وما هى شروطك ؟**
- **ليست شروطى ولكنهـا شروط الحيـاة ٠**

« وساد الصمت لحظـة دار خلالها بيننا حـوار صامت لكنـه ، كـــان **أعمق من كل حوارنا السـابق المسموع »**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ومنـذ ذلك التاريخ قمت بمحاولات عديدة كى اكتب ، وفشلت كنت لا اعـرف لمـاذا ظللت أعلق نجاحى فى الكتـابة على لقـائ فرحت أبحث عنك عنـد كثيـرات ولم أجـدك • لم أجـد الصورة التى خـلال حديثك التليفونى معى وبعـده • ومضت السـنوات تجـ السنوات وكأننى أسـير وراء سراب ، حتى التقيت بك ، وعرفت • اننى كنت **أبحث عن لحظـة صـدق هى أشـبه بالسراب فى عـالـ بالزيف والنفـاق** •

ورغم أن هذه اللحظـه قـد أعـادت الى الثقـة فى قـدرتى على ومنحتنى الشجاعة كى اكتب كل ما أعـرفه عن الحقيقة ، فاننى لم **غيـر جـزء منها لأسـباب موضوعيـة لم تكن مطـروحة منـذ ١٢** يـوم وعدتك ياحبيبتى بأن أكتب •

ولقـد حاولت كل جهـدى أن أتجنب مـا يمكن أن يلوى البعض ليضعـه فى خدمـة الفـوى المشوهة ، وفى نفس الوقت كنت مو قـدر استطاعتى ـ عندما تعرضت لعـدد مـن المواقف السياسية ، **لبعض قيادات « التنظيمات »** •• فاعفـرى لقلمى حين تناولهـا **بسخرية** مريرة •• ولا ترفضى اجتهـاده عندمـا طرح تسـاؤلات **القضايا النظـرية** • وأحسب أنه قـد آن الآوان كى تعرف الأجيا حقائق فتـرة خصبة فى تاريخ مصر •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم ١

حبيبتي

اللحظة الصادقة التي بحثت عنها **١٢ سنة** ، **أعيشها اليوم بكل** كياني · ومن هذه اللحظة أستمد الثقة في قدرتي (على الكتابة)

وأبدأ بيوم خروجي من السجن في ٤ أبريل ١٩٦٤ : بدأت رحلة الافراج عن آخر دفعة من المعتقلين الشيوعيين **يوم ٤ أبريل ١٩٦٤** نقلتنا السيارات من سجن «**الحاريق**» القابع في قلب الصحراء **بالواحات الخارجة** الى أسيوط ، ومنها بالقطار الى محطة تكنات الجيش بالعباسية· لن أحك كيف تم « شحننا » ·· وأحسب ان **طريقة** « شحن » الحيوانات أفضل بكثير من الطريقة التي « شحنا بها » · ولم تكن هذه هي مشكلتنا فنحن على أي حال في طريقنا الى « الحرية » · فبل ذلك حين كانوا « يشحنوننا » من سجن الى آخر كنا نحتج ونرفض هذه المعامله اللاانسانية أملا في ان نجد معاملة أكثر انسانية في السجن « المشحونين » اليه · لكن هذه المرة كانت مشكلتنا من نوع آخر هي مشكلة حياتنا في ظل «الحرية» كنا أكثر من ٧٠ شخصا · في طريقنا الى الحياة التي غبنا عنها سنوات طويلة وصلت الى **١٢ سنة** بالنسبة للبعض ولم تقل عن **٥ سنوات** للبعض الآخر · وبالطبع كان لكل واحد منا مشاكله الخاصة ولكنها كلها تصب في مشكلة واحده هي « لقمة العيش » · فالجميع ، عمالا ، وفلاحين وطلبة ، ومثقفين وأساتذه جامعات ومدرسين ، فصلوا من أعمالهم منذ سنوات · والبعض يستطيع مواجهة حياته الجديدة بحكم وضعه الاجتماعي . وقتا طال أو قصر ، غير أنه بالتاكيد سيجد « لقمة العيش » والبعض ـ بحكم وضعه الاجتماعي ، لن يستطيع مواجهة الحياة الا أياما معدودة تحددها قدرات عائلاتهم المالية المحدودة · بعدها ستكون **لقمة** عيشهم صعبة وعسيرة · وغير هؤلاء كان هناك من يبحث عن المكان الذي سيقضي فيه أياما معدودة يبحث خلالها عن أحد من أهله أو أقاربه فقط كي يأويه ليلا بعد البحث بالنهار عن « لقمة العيش » التي لايدري متى سيجدها ، ان وجدها ، فهناك من لم يجدها حتى اليوم الا في شكل أبشع أنواع الاستغلال · هكذا راحت « الفرحة » وجاءت « الفكرة » ·

راحت « فرحة » عنا خلال الوقت الذي استغرقته رحلة السيارات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من سجن الحاريق الى اسيوط • وجاءت « الفكرة » بعد ركوبنا القطار المتجه الى القاهرة • وفى **محطة العباسية وضع الجميع أمام « المحنة » !**

ارتفع صوت الضابط قائد الحرس يقول :

ـ اللى بيته فى القاهرة وضواحيها يركب العربية دى ، ودى • واللى بيته فى المحافظات الأخرى يركب العربية دى ، ودى •

ركب الجميع عدا ثلاثة زملاء لم يركبوا السيارات • سألهم الضابط ، عن سبب عدم ركوبهم • لم يجب أحد منهم • ذهب الى الضابط وهمست فى أذنه :

ـ الثلاثة الزملاء ليست لهم عناوين معروفة فى مصر كلها •

قال الرجل بصوت خافت وبتأثر شديد :

ـ ما العمل ؟ ليس أمامى الا أن **أسلمهم لسجن الاستئناف** حتى يعثروا على محال اقامتهم •

ـ صبرا •• سنجد حلا •

وانتظر الرجل والدمعة تكاد تقفز من عينه • والجميع ينتظرون تحرك السيارات وهم لا يعرفون سبب عدم تحركها ، ولا سبب عدم ركوب الزملاء الثلاثة • كنت الوحيد تقريبا الذى لم يفاجأ بهذا الوضع • ربما لأن صلتى بجميع الزملاء من مختلف الاتجاهات على مدى **١٢ عاما** لم تكن مجرد صلة سياسية وانما كانت صلة انسانية فى معظمها ، مئات المشاكل التى واجهت مئات المسجونين والمعتقلين كان لا يعرفها أحد غيرى • ساهمت فى حل بعضها بما يتفق مع الظروف العامة والخاصة ، لكن البعض الآخر كان مستعصيا على الحل ، منها هذه المشكلة • ناديت على أحد الزملاء المقتدرين وطلبت منه أن يجد للزملاء محلا لسكنهم حتى يدبروا أمر اقامتهم • وركب الزملاء الثلاثة سيارة الذين يعيشون فى القاهرة ! أما كيف عاشوا هم والآخرين •• فتلك قصة ساحكيها لك فى رسالة أخرى • عندما أكتب عن **١٢ سنة** بعد خروجى من السجن •

تحركت السيارات وكنت فى احدى سيارات الذين يعيشون فى القاهرة بالطبع لم تكن وجهة السيارات هى العناوين المختلفة لركابها وانما كانت تتجه الى أقسام بوليس أحياء العاصمة حيث يتم اجراءات الافراج بعد التأكد من محل السكن لتنفيذ باقى العقوبة ! نعم يا حبيبتى باقى العقوبة ، وهى « **المراقبة** » • انا مثلا كان الحكم الذى صدر ضدى **هو ١٠ سنوات أشغال شاقة ، و ٥ سنوات مراقبة** ـ طبعا السنتين الزيادة كانوا اعتقال ـ وعلى فكرة عدد شهور السنة بالنسبة للقاتل وتاجر المخدرات وهاتك العرض واللص **٩ شهور** فقط وفقا للائحة السجون ، **أما بالنسبة لمسجون الرأى فهى ١٢ شهرا بالتمام والكمال ، فقد**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تنبهوا فى عام ١٩٥٥ الى أن أصحاب الراى أخطر من أعتى المجرمين. فاستثنوا المسجونين السياسيين من قانون السجون ! معنى هذا اننى قضيت فى السجن **١٢٠ شهرا** بدلا من **٩٠ شهرا** ثم تفضلت مباحث أمن الدولة باستضافتى ٢٤ **شهرا** أخرى ، فيكون المجموع ١٤٤ **شهرا** وكان يمكن ان نمد الى البقية الباقية من عمرى لولا قرار **الرئيس الراحل عبد الناصر** بالافراج عنا . والافراج لم يكن يعنى أسقاط العقوبة وبالتالى كان على ان أنفذ بقية العقوبة بأن اتواجد فى مسكنى ابتداء من غروب الشمس حتى شروقها . والمراقب معه دفتر يوقع عليه شرطى بما يثبت وجود المسجون فى بيته . وطبعا من حق هذا الشرطى - حرصا على **أمن الدولة** - أن يوقظ « **المراقب** » فى أى وقت من الليل ليتأكد من وجوده ! ولك أن تتصورى يا حبيبتى حالة المراقب المسكين حين يرتفع صوت غليظ فى عز الليل ليوقظه ويجبره على النزول الى حيث ينتظره الشرطى على الباب الخارجى للمنزل ليوقع له على الدفتر مرّة ثانية وربما ثالثة ورابعة حسبما يرى رجل مباحث أمن الدولة !

وهل تعرفين يا حبيبتى عقوبة الهرب من حكم المراقبة ؟ السجن مرة أخرى وقد يصل الى الحكم بقضاء مدة المراقبة فى السجن ! ولقد حاولوا هذا معى بعد خروجى من السجن باسبوع واحد حين جاء زوار الفجر ليقبضوا على بتهمه الهرب من المراقبة اللبلبة . فى تلك الليلة لم يات الشرطى كالمعتاد فى كل ليلة . ولما وصلت الساعة الثانية عشرة مساء توجست شرا تبينته لى مباحث أمن الدولة، فطلبت من بعض الاصدقاء الذين كانوا فى زيارتى ان يذهبوا الى القسم ويتبتوا فى محضر اننى موجود فى المنزل وأطلب حضور الشرطى ليوقع على الدفتر . وكان هذا المحضر هو السند القانونى الذى استند اليه المحامى الذى تطوع للدفاع عنى عند محاكمتى وأفرج عنى القاضى ولكن بعد أن قضيت **٤ أيام فى** سجن الاستئناف وتسمى « **التخشيبة** » وكانت افضل على اى حال رغم قسوتها من ٥ سنوات أخرى .

وقد اعترف رجل المباحث (٠٠) فى الداخلية بأن هدفهم كان بالفعل هو عودتى للسجن لقضاء السنوات الخمس ! ثم اعترف لى بعد ذلك أنهم حاولوا مرة أخرى معى ومع عدد من الزملاء تلفيق تهمة الهرب من المراقبة لولا صدور قرار **الرئيس الراحل جمال عبد الناصر باسقاط العقوبة عن كل الشيوعيين الذين أفرج عنهم** . اذكر اننى فى اليوم نفسه الذى صدر فيه هذا القرار خرجت لأجوب كل شوارع القاهرة سيرا على الأقدام طول الليل . وكانت هذه أول مرة أرى فيها ليل القاهرة بعد **اثنى عشر عاما ونصف** !

أعود بك الى ٤ أبريل ١٩٦٤ ، يوم خروجى من السجن وعودتى اليه مرة أخرى فى اليوم نفسه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قلت لك اننـى زكبت سيارة الذين يعيشون فى القاهرة واودعونى مـع عـدد من الزمـلاء فى قسم **بوليس السيدة زينب** • لم يكن لى مسكن خاص، فمعـد حوالى ٦ **سـنوات** اتفقت مع زوجتى « الايطالية » على الانفصـال فهى لم تعـد تحتمل مطاردتها فى رزقها • وأنا من ناحيتى لم أكن أرى شعاعا واحدا من أمل الخروج من السجن • بل اننـى فى السنوات الأخيرة وطـدت نفسى على اننى ساقضى ما بقى **من عمـرى فى السجن** • وبالطبع استبعـدت الذهاب الى منزلى السـابق • لم يبق أمامى غيـر ثلاثـة أمكنـة فى القاهرة• الأول فى شبرا حيث يسكن أحـد أخوتى الكبـار •• لكنـه قاطعنى تمامـا منـذ أكثـر من ٨ سـنوات خوفـا على عمله وعلى بيتـه ، فانقطع تمامـا عن زيارتى • وأخى الثانى وهو أكبـر منى أيضـا ـ رحمه الله ـ كان يسكن فى طـره بجوار السجن الذى قضيت فيـه ٤ سنوات ولـم يفكـر أبـدا فى زيارتى منـذ قبض على ـ ولم يبق أمـامى غيـر منزل أخى الصغيـر ـ رحمه الله ـ كـان صديقى وزميلى وعرف السجن أيضـا ثـم آثـر السـلامة بعـد خروجه من السجن عـام ١٩٥٥ لكنـه تزوج وأنجب طفلة خـلال وجودى فى السجن ، ولا أعـرف مدى استعداد زوجته لاستضافتى • وقررت أن انتظر الى الصباح كى أعطى نفسى فرصة للتفكيـر أكثـر وارسال مـن يتحسس الموقف عند الاخـوة الثلاثة • ولمـا طلبت من الضابط النوبتجى ذلك فوجئت بقـولـه :

ـ لا استطيع ان اتحمل بقاءك هنـا حتى الصباح •

قلت لـه مشكلتى •• وتأثـر الرجل وقبل مشكورا أن يستضيفنى فـى مكتبـه حتى الصباح • كـان شـابا لـه صلة بالسياسة واهتماما بهـا • وبينمـا نحن فى حديثنا اذا بأخى الصغر مسعد « رحمـه الله » أمامنـا فى المكتب • لقـد راح منـذ الصباح يسأل عنى فى أقسـام الشرطـة حتى عـرف من بعض الزمـلاء اننـى هنـا فى **قسم السيدة زينب** • لن انسى ابدا اللحظات الأولى لهذا اللقـاء الانسانى بعـد أكثـر من ٨ **سـنوات** لم يستطع خلالها أن يزورنى فى الواحات ، فالزيارة فى الواحات كانت تكلف **مالا** يقـل عن **١٢ جنيهـا** أجـور مواصلات فقط • يضاف اليهـا مصاريف المبيت فى أسيوط وثمن بعض لوازم الزيارة !

قـال :

ـ صدفـة عظيمة جـدا •

ـ مـا هـى ؟

قال ـ رحمه الله ـ والدموع تسيل من عينه :

ـ اليوم ٤ أبريل عيـد ميلاد ابنتى وذكـرى زواجنـا •

ـ كل سنة وأنت طيب يا مسعد • ثلاثة مناسبات سعيدة فى يوم واحد ! حقـا لـا ينسعد الفقـى تيجى لـه عشوتين فى ليلة واحـدة •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان مسعد يسكن فى مصر الجديدة قريبا من مسكنى السابق • وكان على أن نذهب فى حراسة أحد الشرطة الى قسم **مصر الجديدة** لعمل اجراءات المراقبة ، وحيث يجرى تنبيهى لطريقة تنفيذ عقوبة « المراقبة » • الطريق من السيدة زينب الى مصر الجديدة يستغرق حوالى ٤٥ دقيقة بالتاكس • خلالها تحدثت معه فى أمور كثيرة ، أبى الذى مات فى أحد الملاجىء !!

تصورى مات فى ملجأ لأنه لم يطق الحياة مع أى من أولاده ! وأختى التى مرضت بسبب القبض على عام ١٩٥٢ وقال لها الأطباء ان شفاءها بصدمة أخرى ولكن مفرحة ، وظلت المسكينة تنتظر ابريل ١٩٦٢ ـ تاريخ انتهاء العشرة سنوات ـ ولما اعتملت ولم أخرج كما كانت تتوقع ماتت المسكينة بعد يومين من عودتى الى السجن ! والخلافات بين الأخوة وكيف وصلت الحالة بينهم الى درجة بالغة السوء • و • و • و تجسدت امامى مشاكل بلدنا ومجتمعنا بالنسبة لقطاع محدودى الدخل • وشعرت فجأة بصداع شديد لم يفارقنى الا بعد ان تناولت أسبرين وفنجان شاى فى مكتب الضابط النوبتجى **بقسم مصر الجديدة** • بعد أن هنأنى الضابط بكلمات تقدير ومشاعر انسانية اعتذر عن عدم امكانه اتمام الاجراءات اللازمة لخروجى الليلة لأن الموظف المختص غير موجود • لم أعلق • لكن مسعد همس فى اذنه بكلمات ترجوه أن أحضر معه حفلة عيد ميلاد ابنته • وسمح لنا الرجل بالذهاب الى الحفلة بشرطين : الأول ان يأتى معنا الشرطى الحارس • والشرط الثانى أن أعود الى القسم قبل الثامنة من صباح اليوم التالى • وطبعا قبلنا الشرطين وشكرناه •

المسافة بين قسم البوليس ومنزل اخى مسعد لا تستغرق أكثر من ٥ دقائق ، خلالها همس مسعد فى اذنى :

ـ ميمى « زوجتى السابقة » تنتظر منك الموافقة على حضورها الحفلة •

ـ وما رأيك انت ؟

ـ انها لم تنسك لحظة واحدة

ـ وأولادها كيف حالهم ؟

ـ الأبن فى كلية الطب ، والبنت موظفة •

توقفت عن السير بحجة اننى أبحث عن شىء وقع منى • ولما استأنفت السير ظللت صامتا حتى وصلنا الى الباب الخارجى للعمارة التى يسكن فيها • قال :

ـ هل ارسل من يطلب ميمى ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم يسمع منى جوابا ، وانما سمع بكائى المتشنج · لم أعرف لحظتهـــا لماذا بكيت كالاطفال · بعـد اقل من نصف ساعة قضيتها فى جـو غـريب عنـى ، جـو لم اعـرفه منـذ شبابى المبكـر ، شعرت وكأننى لا انتمى الى هذا العـالم · **وحلمت بالسجن مـرة أخـرى** ! بل ان نفسى لـم تهـدأ الا بعد أن عـدت مـرة أخـرى الى سجن **قسم مصر الجديدة** · هل تصدقين ؟ **هذا ما حـدث** ·· **احكيـه لك** فى الرسـالة المقبلة يا حبيبتى ·

٥ ينـاير ١٩٧٧
بغـداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم ٢

حبيبتى

كان صوت الموسيقى الراقصة « يطن » فى اذنى وأنا ما زلت عند باب العمارة • أخذت أصعد السلالم ببطء شديد ، توقفت مرات ، وفى كل مرة كان الشرطى يمسك بذراعى •• كى لا أهرب ! على باب الشقة طلبت من اخى أن يعفينى من حضور هذه الحفلة • لم يجب •• واحتوانى بين ذراعيه وأخذ يقبلنى ، وجاء صوت نسائى لينتزعنى من هذه اللحظة الانسانية •

ـ أهلا وسهلا •• حمد الله على السلامة •

« لابد ان هذه السيدة زوجة أخى » • حدثنى عنها كثيرا فى خطاباته القليلة الى فى السجن • هذه الابتسامة التى تملأ وجهها لم تبدد احساسى ببرودة صوتها وهى تحيينى ولا برودة يدها وهى تسلم على • معذورة • عليها أن تقوم بالواجب أرضاء لزوجها • لكن اخى حدثها عنى كثيرا •••

هكذا كتب الى فى خطاباته ! • أغلب الظن انها لم تفهم شيئا مما قاله• سكتت الموسيقى فجأة وأتجهت كل أنظار الحاضرين الى هذا المشهد الغريب • **احد المدعوين يترابط ذراعه شرطى** • منظر يستحق الفرجة • همس يدور ، وزوجة أخى تتركنى لتنتقل بين المدعوين لتفسر لهم الحكاية • هكذا أصبح فرجة على آخر الزمن • لماذا لم تعطهم فكرة يا مسعد !

لكن المسكين لم يكن يعرف •• وارتفعت أصوات :

ـ حمد الله على السلامة •

ـ أهلا وسهلا •

وعادت الموسيقى تصدح مرة اخرى • الذين عرفوا الحكاية عادوا الى الرقص • والذين لم يعرفوها بعد يتهامسون قليلا مع زوجة أخى ثم يعودون الى الرقص • وراح المصور يلتقط لى صورا كثيرة •• على باب الشقة • وبين المدعوين واثناء جلوسى • كان الشرطى الحارس حريص على ان يظهر معى فى الصورة وهو يترابط ذراعى • انا لا احب الأضواء لا كما يقولون فى الاذاعة والتليفزيون والسينما ، ولكن لأن المباحث كانت حريصة جدا على ان تلتقط لى صورا عديدة من كل الجهات ، • وفى كل مناسبة وكانت المناسبات كثيرة •• يوم قبضوا على •• وعند نقلى من سجن الى آخر •• وما أكثر السجون التى تنقلت بينها ! وكانوا يطبعون هذه الصور بالعشرات •• لتوزع على جميع **اقسام بوليس المملكة المصرية**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ثم ـ جمهورية مصر ـ ثم الجمهورية العربية المتحدة ـ ! فيوم دخلت السجن يا حبيبتى كانت مصر ما زالت « مملكة » ·· ومكثت به ١٢ عاما وهى « جمهورية مصرية » ثم « جمهورية عربية متحدة » !

كميات كبيرة من السندويتشات والجاتوه والمرطبات وضعوها أمامى ·· لأول مرة منذ غادرت قسم السيدة زينب مرورا بقسم مصر الجديدة ، حتى وصولى المنزل ، لم تترك يد الشرطى اليمنى يدى اليسرى الا ليتفرغ للأكل ! لكنه كان بين كل ساندويتش وساوندويتش يتحسسنى ليطمئن على وجود وديعته ! رغم اننى استحق الشفقة فقد اشفقت حقيقة على اخى مسعد · كان المسكين يجلس الى جانبى لحظة يرحب بى ويعزم على بالأكل ثم يذهب الى مدعويه وهكذا ·

« مالى انا وهذا العالم » · ١٢ سنة يا مصطفى لم تر خلالها لحما أبيض لم تسمع صوت امرأة · لم تلمس يداك يد امرأة · عيناك لم تر غير لون الزنزانة الأصفر ·· ولون الصحراء ·· الأصفر · واذناك لم تسمع سوى أصوات « بروجى » حرس السجن ـ والسلاسل التى يقيدونك بها··· تسمع صوتها فى نومك ويقظتك وحتى عندما كنت تستحم ! هكذا تنتقل فجأة من الموت الى الحياة ·· وأى حياة ؟ » كاد رأسى ينفجر ·· هاجمنى الصداع ·· صرخت ··

ـ أسبرين ··

توقفت الموسيقى وعادت بسرعة بعد أن تناولت الأسبرين من فتاة كانت تجلس الى جانبى طول الوقت ·· كانت صامتة ولكن نظراتها ودودة ·· وابتساماتها حلوة ·

« هذه الفتاة من تكون ؟ ربما ابنة أخى الكبير · ان له ولد وبنتين· يوم دخلت السجن كان أحمد فى الثانوية العامة · وكانت آمال فى الاعدادية وأميرة فى الابتدائية ! أغلب الظن أنها آمال · هل أسالها ؟ لا داعى · لكن هى بالقطع ليست ابنة أحد من أخوتى الآخرين ، وهى أيضا ليست ديدى بنت أختى ـ الله يرحمها ـ فقد ولدتها وأنا فى السجن ، وهذه الفتاة لايقل عمرها عن ٢٢ عاما · ربما تكون « تيتى » بنت زوجتى السابقة ·· يا سيدى لا تتعجل الأمور · بكرة تعرف كل حاجة »

رأسى يتثاقل ·· أشعر برغبة شديدة فى النوم فقد انهد جسدى تماما ·· ورحت فى اغفائه ·· وحلمت ·· نعم حلمت ·

مازلت اذكر كل تفاصيل هذا الحلم البعيد · سأحكيه لك يا حبيبتى بالتفصيل · الفتاة التى كانت تجلس الى جانبى تقول لى وابتسامتها الودودة لا تفارقها ·

ـ أنا لست قريبتك يا استاذ ···

ـ عفوا ·· وهل سألتك ؟

ـ تعبيرات وجهك كانت تسأل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ تقرئين افكـــارى ؟
ـ اقرأها ·· وأومن بالعـام منهـا ·
ـ لا زلت صغيـرة ؟
ـ وأنت ·· ألم تبـدأ فى مثل عمـرى ؟
ـ يبـدو انك تعرفين عنى الكثيـر ؟
ـ لست وحـدى ·· كثيرون يعرفون ·
ـ كيف ومتـى ؟
ـ كمـا عرفت أنت الذين سبقوك ؟
ـ عرفناهم من الكتب والصحف ·
ـ ونحن كذلك ·· ولكـن ازيـد عليك ·· فأنـا اعـرفك شخصيا ·
ـ شخصيا ! انت فى عمـر ابنتـى لو كان لى بنتـا ·
ـ كنـا جيرانك حين أتـوا للقبض عليك
ـ اذن كان يجب ان اعـرفك ·
تسكت الفتـاة لحظـة ثـم تقـول :
ـ كنت طفلة ·· وكـان عمرى ٨ ســنوات ·· وكـانت « زوجتك » وما زالت تحبنى ··
ـ لم تنسك لحظـة واحـدة ··
وأصرخ قائـلا وبضحكة هيستيرية
ـ لم تنسنى لحظـة ·· سيدى يا سيدى ·
تأخذنى الفتـاة بين ذراعيها ·· تهدهدنى كالطفل وتقـول :
ـ انها تحبك ·· صدقنى ·
أصرخ مـرة أخـرى وأقـول ·
لكنهـا قتلت ابنـى ·· أسقطته وهو جنين ·· كان عمره الآن ١٣ ســنة ·
ـ أدركت خطأها ! · وهى تريـد طفـلا منك ·
ـ بعدها ·· تصرف نظـر ·
وتعود الفتـاة الى هدهدتى كطفل رضيع :
ـ انهـا تنتظـرك ·· صدقنى انها تحبك ·
ـ انا لا احبها ولم أحبهـا فى حياتى ·· لن ترانى ابدا ·· ابدا ·
ـ لـماذا تزوجتهـا اذن ؟
كـان من الضرورى ان استيقظ من النـوم · فهذا السؤال لن أجـد لـه جوابا فى حلمى أو فى يقظتى واستيقظت على صوت رقيق يشدنى ·
ـ فيـه حـد ينـام ليلة الافـراج عنـه ؟
أخذنى **عبد السلام هاشم** وهو الأخ الأصغر **لصلاح هاشم** زميل الدراسة وزميل السجن · تركتـه فى **سجن المحاريق** فهو من بين المحكوم عليهم الذين لم ينهـوا مـدة العقـوبة مثلى · حكم عليه فى نفس قضيتى بـ ١٠ سـنوات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سجن • ثم حكم عليه بثلاثة سنوات أخرى وهو فى السجن ! وتهمته أنه قاد مظاهرة من طلبة الجامعة عام ١٩٥٤ حين خرج لتأدية امتحان هناك • لم يكن وحده الذى قاد مظاهرات فى الجامعة •• كان غيره كثيرون صدرت ضدهم أحكام أيضا • ولذلك صدر قرار بحرمان المسجونين السياسيين من الدراسة وبالتالى من الخروج للامتحان •

قلت وانا ما زلت فى حالة نوم

ـ والله كبرت يا عبد السلام •

ـ ومخى كبر كمان •• مالك ؟

ـ قرفان تعالى ننزل •

ـ نروح فين ؟

ـ نقعد على قهوة •• عاوز أشوف الناس •• والشارع ••

ولكن رغم احساسى بالفة أكثر مع جو القهوة بصخبها وضجيجها فلم أستطع أن أمكث أكثر من نصف ساعة بعدها شعرت بحنين شديد للعودة الى السجن •• وذهبت مبكرا الى سجن قسم بوليس مصر الجديدة وهناك شعرت بأننى عدت الى موطنى ! عدت الى أهلى !! وهذه قصة اخرى •

احكيها لك فى رسالتى المقبلة يا حبيبتى •

٧ يناير ١٩٧٧
بغداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسـالة رقـم ٣

حبيبتـى

مازلنـا فى يوم ٤ ابريل ١٩٦٤ ـ يـوم الافراج عنى ٠

عـدت الى سجن « التخشيبة » بقسم مصر الجديدة بعـد مالا يزيـد عن « ساعتين » قضيتها فى حفلة عيـد ميلاد بنت أخى ثـم أحد المقاهى الشعبية٠

مـا ان وطئت قدماى أرض « التخشيبة » حتى ملأنى الاحساس بالأمان !

تصورى يا حبيبتى ٠٠ أحسست بالأمـان مـع اللصوص والنصـابين والقوادين ٠٠ الصغار طبعـا ٠٠ فالكبـار لا يأتون هنـا ٠٠ ومع المتسولين والمشردين و ٠ و ٠

الأمان داخل « حجـرة » أرضها مكسـوة « **بالزفت** » وخليط من « **بصاق** » النزلاء وبولهم ٠٠ وبرازهم ٠٠ فهى للنـوم ٠٠ و « لقضاء الحاجـة » فـى نفس الوقت ! وجـدران « التخشيبة » يلطخهـا خليط مـن دم البشر ، ودم الحشرات ٠ فمن النـادر ان تمـر سـاعة واحـدة دون أن تحدث « خنـاقة » بين النزلاء تستخـدم فيهـا الأمواس والمطاوى ٠ كمـا لا يمكن أن يعيش « الانسان » لحظـة واحـدة فى هذه « التخشيبة » دون ان ـ يقتل مئـات من حشرة « البق » تلك التى تنافس الانسـان فـى امتصاص دم أخيـه « الانسان » !

لماذا يسمون هذه الحجرة « التخشيبة » ؟

ربمـا لأن البشر يكدسـون بهـا كمـا يكدس الخشب فى المخازن !

هذا هو الأرجح ٠٠ فقـد رحت أبحث عن مساحة أقف عليهـا داخل هـذه « التخشيبة » ٠

ـ اتفضل يا بيـه هنـا ٠٠

ـ لا يابيه تعـالى هنـا ٠٠

وكادت تحدث خنـاقة تستخدم فيهـا كالعـادة الأمواس والمطـاوى لولا تدخـل « المعلـم »٠

ـ بس يا واد أنت وهوه ٠٠ سيب « الايـراد » ده ليـه ٠٠ اتفضل هنـا يابيـه ، وأشار الى مكان بجانبـه ٠

ـ ألف شـكر يا معلـم ٠

ـ جاى فى أيـه يا بيـه ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نظهرت الى الساعة فلم أجدها ، تحسست المحفظة فلم أجدها ، والقلم الباركر أيضا لم أجده لم أجب ·· وضعت الأكل الذى كان فى يدى على الارض ·

ـ اتفضلوا يا رجاله ·

ما كاد الرجال يهجمون على الأكل حتى صاح فيهم « المعلم » :

ـ استنى باواد أنت وهوه ··

تراجع الجميع ووقفوا ينتظرون أوامر المعلم ·

ـ ياولاد « الكلب ، بقى برضه أحنا ولاد بلد نفهم الأصول · اسمع يا بيه أنت بابن عليك ابن ناس أنت عرفت ان حاجتك اتلطشت منك ، ومع دلك تعزم علينا بالأكل الحلو ده ·· يا واد يا عبده هات حاجات البيه ·· يتناولها من « عبده » ويعطيها لى :

ـ اتفضل يا بيه آدى الساعة ، وآدى القلم ، وآدى المحفظة · فيها خمسة جنيه أعدم ·

ـ متشكر قوى ·· اتفضلوا ··

ـ متشكرين يا بيه ·· دلوقت نقدر ناكل معاك عيش وملح ·

« لم ينسوا القيم الشعبية ·· أكل العيش والملح يعنى الأمان ·· أن لا تخن من أكلت معه ·· اللصوص الصغار دفعتهم ظروف المجتمع الى السرقة من أجل أن يعيشوا · لكن اللصوص الكبار ·· نجوم المجتمع ·· غارقون حتى رؤوسهم فى بحار الخيانة ·· خيانة الناس·· وخيانة الوطن »

واستمرت جلستنا حتى الصباح ·· يسألون واجيب على أسئلتهم ·· نظراتهم تفيض مودة وحبا ·

قال أحدهم :

ـ يا بيه أنت صحيح بنى آدم ··

قلت ضاحكا ··

ـ ·· هو مش كل الناس ولاد آدم ؟

ـ لا يابيه ·· فيه ناس ولاد الشيطان ·· بيعاملونا زى الكلاب ·

ـ الحكاية مش حكاية ولاد آدم ولا ولاد الشيط ان ·· انما هى حكاية الانسان « ووجدت نفسى اتكلم باستفاضة وباسلوب بسيط عن استغلال الانسان لأخيه الانسان ·· كيف ؟ ولماذا ؟ والطريق الى القضاء على الاستغلال » ·

ويسأل أحدهم :

ـ والاشتراكية دى يا بيه تدينا الفرصة اننا نعيش زى البنى آدمين ؟

ـ طبعا ·· الاشتراكية تدى الفرصة لكل انسان أن يعمل وينال حقه

ـ زى ما عبد الناصر بيقول ؟

ـ تقريبا ··

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعرفين يا حبيبتى اننى دخلت السجن قبل ثورة يوليو باسبوع واحد ٠٠ ولم أشهدها الا فى **٤ ابريل ١٩٦٤** ٠٠ ولكن كـان لى موقف مختلف تمامـا عن مواقف زملائـى حين كانوا خارج الأسـوار وكان مختلفـا أيضـا عندمـا قبض عليهم فى **يفـاير ١٩٥٩** ٠٠ وسأحكى لك عن ذلك فى رسائلى المقبلة ٠

١٠ يفـاير ١٩٧٧
بغـداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم ٤

حبيبتي

طلع على صباح **يوم ٥ أبريل** وأنا مستغرق فى حديث منذ العاشرة مساء اليوم السابق مع نزلاء « تخشيبة » **قسم شرطة مصر الجديدة** ٠ ولقد عرفت « **التخشيبة** » مرتين ، كانت المرة الأولى فى « **تخشيبة** » **قسم شرطة الوايلى** يوم قبض على **أحمد حلمى** رئيس المباحث العامة « البوليس السياسى سابقا » **فى ١٨ يوليو ١٩٥٢** ، فقد أودعنى هناك لحسابه حتى انتقل الى **سجن مصر** لحساب النيابة العامة ٠ فى ذلك اليوم حذر **أحمد حلمى** مأمور القسم من خطورتى على المواطنين ! وطلب أن أسجن فى غرفة انفرادية ! ٠ وأحتار مأمور السجن ، ماذا يفعل ؟ ليس فى القسم غير غرفة للرجال وأخرى للنساء ، فأين يضعنى ؟ وأخيرا وجد الحل ٠٠ غرفة النساء ليس بها سوى اثنتين وهى تبعد عن غرفة الرجال ٠٠ فوضعنى فى طرقة صغيرة تطل على غرفة النساء ٠٠ ولكن ظلت مشكلة هى أنه يمكن الحديث مع النساء المسجونات من شباك واسع لغرفتهن ٠٠٠ ولم يكن أمامه من حل خوفا على المرأتين سوى أن ينبههما الى خطورتى ٠ وبعد أن أغلق بنفسه باب غرفة النساء ٠٠ وتأكد من اغلاق باب الطرقة ٠٠ وبعد اعطاء التعليمات المشددة للحراس بأن لا يتصل بى أحد والتنبيه الى أى حديث يجرى بينى وبين المرأتين ٠٠ أنصرف مطمئنا !

ويبدو ان تلك الاجراءات والتنبيهات المشددة أثارت فضول المرأتين فبعد دقائق قالت أحداهن :

ـ أيه الحكاية يا بيه ٠٠ أنت جاى فى أيه ٠٠ أنا عمرى ما شفت كده ٠

ـ وانتى بتيجى هنا كتير ؟

ـ مرة كل أسبوع ٠٠ مرتين ٠٠ حسب الأحوال ٠

« لم أفهم ما تقصده ٠٠ فلم أرد عليها ٠٠ فقالت بغضب »

ـ أيه يا فندى ما بتردش على ليه ٠٠ مش قد المقام والا أيه ؟

وتدخلت المرأة الأخرى ٠

ـ يا أختى ٠٠ حيلك على البيه شوية ٠٠ ده باين ابن ناس ومش فاهم ٠

قلت وابتسامة خفيفة على وجهى :

ـ الحقيقة مش فاهم ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فالت نفس المـرأة :

ـ مش بأقول ـ والنبى ده ابن ناس ·· شوفى ضحكته يا روحى عليـه

فالت الأولى :

ـ آه والنبى ·· ضحكته حلوة ·· يحميك لشبابك ·

ـ الله يخليكى ·· لكن ·· بتبجى هنـا كثير ليـه ؟

ـ لـا تتسحط وما اقدرش أدفع المعلوم

« ويبدو أن وجهى لم يستطع اخمـاء الاحساس بالألم والاسمئزاز » ·

قلت :

ـ أيه ابدا ما فيش حاجـة ·

قالت بغضب :

ـ أيه يعنى أحنا ولاد ناس برضه ·· بس الزمان اللى حكم علينـا ·· ولقمـة العيش مـرة ·

« لقـد حسبت المسكينة اننى احتقرتها ·· كمـا يحتقرها حتى أولئك الذين يستمتعون بها ارضاء لشهواتهم الحيوانية » قلت معتذرا :

ـ وحياتك يا ستى أنت فهمتى غلط ·· انا زعلان علشانك !

وتدخلت المـرأة الثانيـة

ـ والنبى ماليكى حق يا سيه ·· شوفى صوته فيه حنية قد أيه !

فـالت الأولـى :

ـ متأسفة يا بيـه والنبى أنت طيب وباين عليك خام قـوى ·

« عرفت لأول مـرة انهـا اذا نادتنى بيا بيـه تكون راضية عنى واذا قالت يا افندى يكون ذلك تعبيـرا عن غضبها ·· قلت :

ـ لا أبـدأ مفيش داعى للأسف ·· أنتو مظلومين ·

قالت الأولـى :

ـ أول مـرة فى حياتى حـد يقول لى أنتى مظلومة ·

قالت الثانية :

ـ والنبى ده خـام قوى ·· أنت يا بيـه جاى فى أيه ·

ـ جاى فى قضية سياسية ·

ـ يعنى أيه يا بيـه ·· عملت أيـه ؟

ـ بنطالب بأن الناس تعيش كويس ··

ـ طيب واللى يطالب بكـده يحبسوه ؟

ـ طبعـا لأنهم مش عايزين كل الناس تعيش كويس ··

فالت المـرأة الثانيـة

ـ يعنى البيـه عاوز يخلـى كل الناس كويسين ؟

قالت الأولى :

ـ صحيح يا بيـه ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ظلت :

ـ كل الناس لازم تشتغل وما فيش حد يكسب من ورا حد

قالت الأولى .

ـ الله يحميك لنسبابك أنت واللى زيك يا أخويا ..

ومالت الثانية :

ـ الله ينصرك انت وزمايلك يا حبيبى ..

« حبيبى !! لم أسمع هذه الكلمة من قبل بمثل هذه الرقة والعذوبة .. سمعتها كثيرا من زوجتى السابقة ولم انفعل كما انفعلت هذه المرة .. هذه المرأة قالت هذه الكلمة لزبائنها وستقولها بعد ذلك كثيرا ولكن هل ينفعلون كما انفعلت .. بالقطع لا .. وبالتأكيد لم يكن انفعالى حسيا .. كان انفعالا انسانيا خالصا »

وجاء صوتها لبقطع لحظة صمتى وتأملاتى :

ـ شوفى يا سنية .. وشه زى الملاك .. والنبى ده بنى آدم .

« رغم الحياة اللا انسانية التى تعيشها هذه المرأة وأمثالها فهى بأى لمسة صادقة تعود اليها انسانيتها المهدرة .. »

كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا .. ووصلت الى اسماعنا اصوات وشتائم متبادلة بين رجال ونساء ، قالت الأولى :

ـ الايراد وصل ..

وقالت الثانية :

ـ الكبسة المرة دى على بيت مين يا ترى ؟

فتح الباب .. وامتلأت الطرقة بحوالى ٧ نساء شبه عاريات وثلاث مخبرين يقودهم رجل مدنى يبدو انه ضابط بوليس الآداب .. زج المخبرون بالنساء فى الغرفة وسط سيل من اقذع الشتائم .. وبعد ان اغلق الباب عليهن .. تنبه الضابط الى وجودى .. سأل بغضب .

ـ انت أيه .. وأيه جابك هنا ؟

قلت بسخرية :

ـ انا زى ما انت شايف .. واللى جابنى هنا المأمور .

ـ ليه ما دخلتش حجرة الرجالة .

ـ والله تسأل المأمور فى الحكاية دى .. يظهر انه مش حريص قوى على حماية الآداب !

قال بغضب :

ـ انت بتهزر .. انت جاى فى أيه ؟

ـ أسأل البكباشي **أحمد حلمى** رئيس البوليس السياسى .

« وما كاد الرجل يسمع اسم **أحمد حلمى** حتى ظهر على وجهه الرعب ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فأسرع بغلق الباب خلفه ثم نادى على الشرطى لينبه عليه بأن يمنعنى من أى كلام مع النساء ٠

بعد انصرافه ٠٠ قال الشرطى محدثا نفسه بصوت عال :

ـ طيب وازاى اقدر امنعه من الكلام مع الستات ٠٠ طيب وليه هوه راح يقول لهم أيه يعنى ٠٠ ومهما قال طب ما هو الباب مقفول عليهم ٠٠ انا مش فاهم ٠

ناديت على الشرطى وقلت له :

ـ افهمك انا ٠٠

ـ الله يسترك فهمنى انا عقلى راح بطير ٠٠ الظابط النوبتجى قال خد بالك من الشاب ده أحسن يتكلم مع الستات ٠٠ والعسكرى اللى استلمت منه قال خد بالك الراجل ده خطر قوى على الأمن ٠٠ وأنا من ساعة ما استلمت الساعة ١٢ وانا سامع كلامكو ٠٠ كلامك حلو ٠٠ ما فيهش ابدا لا مؤاخذة ٠٠ قلة أدب ٠٠

قلت مقاطعا :

ـ اهو الكلام الحلو ده هو الخطر على الأمن ٠٠

قال :

ـ أمن مين بس ؟

ـ أمن الأغنياء اللى بينهبونى وينهبوك ٠٠

ـ آه فهمت ٠

ـ أيوه ـ فهمت أيه بقى ٠

ـ فهمت ٠

« انصرف الشرطى بعيدا ٠٠ ولم يعطنى فرصة كى ابين له الفرق بين البلد والنظام السياسى للبلد » ٠

واردت أن أروح فى اغفاءة حتى أستطيع مواجهة تحقيق النباية الذى لم يبق عليه سوى ساعات ٠٠ لكن تعليقات كثيرة من النساء فى الغرفة المجاورة لم تمكنى من هذه الرغبة ٠٠ سمعت احداهن تقول :

ـ وأنت سُفتى سياسيين قبل كده ؟

وترد أخرى ٠

ـ آه وحياتك ٠٠ جانى واحد مرة ٠٠ ما عملش حاجة ٠٠ لكن ادانى فلوس ٠

وترد الأولى ٠

ـ وعرفتى منين أنه سياسى ؟

ـ هوه قال كده وكان جاى لى هربان من البوليس ٠٠ ولما اطمأن مشى ٠٠

« ربما لم يكن هذا هو السبب الحقيقى ٠٠ اغلب الظن انه كان مثلى لم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يستطع بأن يتواصل حسيا فقال ما قاله .. اذكر اننى حتى زواجى الأول عام ١٩٥١ لم اعرف الجنس .. وذات يوم فى عام ١٩٤٨ حاولت ذلك مع احدى بائعات الهوى وكنت مع بعض زملاء العمل فلم اتمكن من ذلك .. واذكر اننى مشيت من الجيزة حيث كانت مغامرتى الأولى والأخيرة حتى منزلى بشبرا وأنا لا أعرف سببا محددا لهذا الموقف الشاذ فى نظر زملائى الذين عرفوا القصة من المرأة ، فراحو يتهكمون على ويسخرون من قدراتى ويشككون فيها . ولسنوات طويلة ظننت ان ذلك نقصا فى تكوينى .. لكن بعد أكثر من ٢٤ عاما عرفت الحقيقة .. عرفت ان لحظة الاتصال الحسى بالنسبة للانسان السوى لا تحدث الا نتيجة التفاعل الانسانى والفكرى والعاطفى . وهذه اللحظة هى أصدق لحظات الانسان الحقيقى .. واظن ان مثل هذه اللحظات الصادقة .. نادرة جدا ندرة الانسان الصادق وسط عالم مزيف منافق .

ورحت فى اغفائه صحوت منها على صوت يناديني .

شرطيان وضابط بملابسه الرسمية يقودهم البكباشى **أحمد حلمى** .. جاءوا كى يصحبونى الى نيابة أمن الدولة .. للتحقيق معى .

كانت هذه هى المرة الأولى التى أرى فيها « **تخشيبة** » قسم الشرطة ومنها خرجت الى **سجن مصر** ثم الى **سجون أخرى** كثيرة سأحدثك عن ذكرياتى فيها فى رسائلى المقبلة . وكانت المرة الثانية التى عرفت فيها « **التخشيبة** » هى يوم الافراج عنى بعد **١٢ عاما** عشتها فى سجون مصر المختلفة .

وكل « **تخشيبات** » **أقسام الشرطة** تشهد مع صباح كل يوم نشاطا كبيرا .. اعداد من رجال الشرطة يحملون **القيود الحديدية** التى توضع فى المعصمين وهو يستخدم مع « الخطرين » **أو جنزيرا** طويلا يربطون به عددا من المتهمين « غير الخطرين » . ومع اشراقة صباح كل يوم عندما يسمع نزلاء التخشيبة صوت القيود والسلاسل الحديدية مختلطة بأصوات الشرطة تنادى عليهم يستعدون جميعا للرحيل .. وعادة يعرف كل واحد اين سيذهب .. هذا للتحقيق معه ثم السجن .. وهذا لترحيله الى سجن بعد ان حكم عليه .. وهكذا .. كنت انا الوحيد الذى قضى ليلته فى « التخشيبة » ليفرج عنى فى الصباح .

وعندما نودى على ، تجمع حولى كل من فى « التخشيبة » وعانقونى فى ود ومحبة وأصر بعضهم على ان يعرفوا عنوانى ليزورونى .. وبالفعل حدثت صداقة مع عدد منهم لسنوات طويلة بعد الافراج عنى .

وعلى الرغم من اننى خرجت من **التخشيبة** حوالى الساعة الثامنة صباح يوم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ أبريـــل ١٩٦٤ فاننى لـــم اغـــادر **قسم مصر الجديدة** الا الساعة التاســـعة مساء حيث صحبونى الى المباحث العـــامة ومنهـــا الى المنـــزل الـــذى وصلته حوالـــى الثانية عشر مســـاء وخلال تلك الساعات حدث الكثير ٠٠ وهو مـــا سأحيكه لك يا حبيبتى فى الرسالة المقبلة ٠

١٢ ينـــاير ١٩٧٧
بغـــداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم ٥

حبيبتى

فى الثامنة والنصف صباحا كنت فى مكتب **مأمور قسم مصر الجديدة** لعمل الاجراءات اللازمة للافراج عنى . حيانى الرجل بابتسامة عريضة ووددة وحولنى الى الجاويش المختص بمثل هذه الاجراءات .. وما كاد الجاويش يبدأ فى تدوين البيانات المطلوبة .. الاسم .. السكن .. العمل .. الخ حتى دخل رجل بملابس مدنية .

وهمس بكلمات لم اتبينها فى اذن الجاويش الذى تحرك ليتوجه مع ضابط الباحث الى مأمور القسم .. ثم عاد ليقول لى ان على ان انتظر حتى تأتى الأوامر بالافراج .

قلت مستفسرا :

ـ أوامر ؟

رد على الرجل بصوت فيه كل رنات الأسى :

ـ والله يا ابنى ما أنا عارف .

ـ امال مين اللى يعرف ؟

ـ المباحث العامة .

ولعب الفار فى « عبى » .. لا بد ان أمرا قد حدث .. طلبت من الجاويش ان اقرأ صحيفة الصباح .. فناولنى اياها وهو يبتسم ابتسامة من يعرف ما الذى اريد ان اعرفه من قراءتى للجريدة .. وبعد ان تصفحت **أهرام ٥ أبريل ١٩٦٤** قلت :

ـ مفيش انقلاب ضد عبد الناصر .. ايه الحكاية آمال ؟

ـ والله يا ابنى ما يعرف الحكاية الا **الباحث العامة** .. اصبر شوية ربنا يفرجها .

ذهبت الى مأمور القسم لاعرف منه الموضوع وقبل ان ادخل مكتبه قابلت بعضا من أمالى المسجونين الذين ما زالوا فى **الواحات** ولم يصدر عنهم قرار الافراج بعد .. وعرفت منهم الحكاية ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد أقل من ساعتين من تحرك السيارات بنا من سجن **الحضاريق** بالواحات الخارجية الى اسيوط ومنها الى القاهرة للافراج عنا نحن المعتقلين.. دبرت المباحث مع مأمور السجن **مؤامرة** ضد المسجونين الذين تركناهم في انتظار القرار **الجمهوري بالافراج** عنهم راح ضحيتها الشهيد « **لويس اسحق** » وجرح محمد سيد أحمد و د. اسماعيل صبري عبدالله .

بدأت **المؤامرة** بتحرس **مأمور السجن** بواحد من الزملاء الشبان اثناء « فسحة » الزملاء المسجونين .. وكان هذا التحرش هو ساعة الصفر ما ان بدأ المسجونون يتجهون الى حيث يقف المأمور والزميل حتى انهال **رصاص المدافع الرشاشة** من وراء الأسوار الخارجية للسجن .. وأسفطت احدى الرصاصات الغادرة **الشهيد** « **لويس اسحق** » واصابت اخرى وجه **محمد سيد أحمد** وأخرى ساق د . **اسماعيل صبري عبدالله** وكادت تتحول الى مجزرة بروح ضحيتها عشرات الزملاء لولا تدخل أحد ضباط السجن الذى صاح بأعلى صوته .

ـ احذروا هذه مؤامرة ضدكم .

واعطى أوامره للسجانة دون اذن من المأمور ويبدو أنه كان يعرف تواطؤه مع المباحث العامة بالكف عن اطلاق الرصاص .. ونصح الزملاء المسجونين بدخول العنابر .

وحمل هذا **الضابط الوطني** برقيات الزملاء المسجونين الى الرئيس **جمال عبدالناصر** يوضحون فيها ابعاد المؤامره وأهدافها ويطالبون التحقيق الفورى ويكررون تأييدهم لسياسة الرئيس الوطنية التقدمية . كما حمل خطابات الى أهالى المسجونين كى ترسلوا برقيات مماثلة الى الرئيس ويذهبوا الى رئاسة الجمهورية يطالبون التحقيق .

وحتى ساعة متأخرة من ليل يوم ٤ أبريل كان كل أهالى المسجونين مقسمين بين **رئاسة الجمهورية ومنزل الرئيس جمال عبد الناصر** يعلنون تأييد أبنائهم للثورة وقائدها ويطالبون التحقيق فى المؤامرة التى تستهدف الايقاع بين الشيوعيين والثورة وبالتالى الغاء قرار الافراج عنهم .

ولم يهدأ بال الأهالى الا بعد ان سافر بعضهم مع النيابة التى أمر الرئيس عبد الناصر بسفرها فورا الى **الواحات** للتحقيق . وشهد التحقيق شهد الضابط الوطنى وبعض السجانة ما حدث من استفزاز مأمور السجن لأحد الزملاء . وشهد بعض السجانة بأن المأمور أمرهم بالاستعداد بحمل الرشاشات واتخاذ مواقعهم خلف الأسوار الخارجية للسجن واطلاق النار على المحبوسين عند حدوث مشاحنة بينه وبينهم ، وان هذه الأوامر صدرت فى حضور واحد من ضباط المباحث الذى كان قد حضر بعد رحلينا مباشرة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وعندما عرض التحقيق على **الرئيس عبد الناصر** امر باحالة **مأمور السجن** الى المعاش والتحقيق لمعرفة من الذى دبر هذه **المؤامرة في المباحث العامة** • ويبدو ان نقل حسن المصيلحى **من المباحث الى الجوازات والجنسية** كان دليلا على تدبيره للمؤامرة • ولحسن المصيحلى هذا ـ وهو منذ **أواخر عام ١٩٦٤** يملك شركة للتصدير والاستيراد فى جنيف ـ قصص مع الشيوعيين المسجونين والمعتقلين سأحكيها لك يا حبيبتى فى رسائل مقبلة•

وبالطبع كنت انا وبعض الذين لم يخرجوا **يوم ٤ أبريل** ـ وقبل ان تصل أوامر المباحث بحجزنا رهائن فى أقسام الشرطة لحساب المباحث العامة ـ فى انتظار نتائج المؤامرة حتى اذا حققت أهدافها والغى قرار الافراج نعود مرة أخرى الى المعتقل • حتى الذين أفلتوا وخرجوا **يوم ٤ أبريل** ذهب رجال المباحث الى بيوتهم **للاطمئنان على وجودهم** للقبض عليهم مرة أخرى عندما تنجح المؤامرة ! غير ان الكثيرين منهم تركوا منازلهم ولم يعودوا اليها الا بعد ان فشلت مؤامرة المباحث العامة •

وفى الساعة الثامنة **مساء ٥ أبريل** كنت فى حجرة الضابط النوبتجى لانهاء اجراءات الافراج عنى •• وعلى باب قسم البوليس حيث تجمع حولى الأهل والأصدقاء ، رأيت ضابط مباحث القسم وعلى وجهه ابتسامة مسطحة •• هنأنى بالافراج •• وبأدب رجال المباحث المعروف طلب منى أن أصحبه فى سيارته لمقابلة حسن المصيلحى • انهال عليه أخى « رحمه الله » بالشتائم وصرخت زوجتى السابقة ورفض الأصدقاء ان اصحبه •

قال ضابط المباحث فى برود شديد

ـ لك مطلق الحرية فى ان تحضر أولا تحضر •• كل ما فى الأمر ان سيادة اللواء « **حسن المصيلحى** » يريد أن يتحدث معك قليلا • « تملكتنى رغبة شديدة فى الذهاب الى **حسن المصيلحى** كى اسمع ما سيقوله عن المؤامرة التى دبرها من مكتبة فى القاهرة قلت للضباط بسخرية :

ـ سأحضر معك من الواجب ان اشكر الرجل الذى استضافنا واكرم ضيافتنا !

قال :

ـ انتو مش فاهمين •• احنا موظفين بنفذ أوامر عليا •

ـ ومؤامرة الحاريق •• كانت أوامر عليا أيضا ؟

امتقع وجه الرجل ولم يجب ركبت معه ومعى أخى وبعض الأصدقاء فى عربته •• ولحقت بنا ثلاث سيارات أجرة تحمل الأصدقاء •• استقبلنى **أحمد صالح داود** رئيس قسم مكافحة الشيوعية وكانت هذه هى المرة الثالثة التى اقابل فيها هذا الرجل • كانت المرة الأولى فى **سجن مصر** عندما رحلت اليه من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سجن **المحاريق بالواحات** حيث كان من المفروض ان يفرج **عنى فى ابريل١٩٦٢**٠ غير ان **المباحث العامة** استضافتنى عامين آخرين كما سبق ان اخبرتك يا حبيبتى فى رسالة سابقة ٠ فى ذلك اليوم كان معى زميل فى قضيتى نفسها وزميل آخر فى قضية أخرى ، أنا وزميلى الأول قبض علينا فى يوم واحد وحكم علينا بعقوبة واحدة ، أما الزميل الآخر فكان حكمه ٣ سنوات وسيفرج عنه قبلنا بأيام ٠ وفى صباح اليوم نفسه الذى خرج فيه الزميل الثالث وبعد أقل من ساعتين ، اهتزت جدران السجن ٠٠ **انتباه ٠٠ انتباه ٠٠ انتباه** ٠ يصيح بها السجانة بصوت عال جدا حين تصل الى السجن **شخصية خطيرة** مثل شخصية **أحمد صالح داود** ٠ دقائق وكان هذا الرجل الخطير ومعه ثلاثة من **ضباط المباحث ومأمور السجن** وعدد من الضباط والسجانة قد ملأوا الزنزانة الضيقة التى تحتوينى وزميلى صاح سجان بصوت عال :

ـ تفتيش ٠٠ تفتيش ٠٠

الذعر يملأ مأمور السجن وضباطه ٠٠ تلتقى نظراتهم بعينى التى ترسل اليهم نظرات مطمئنة معناها بلغة السجون ٠

ـ لا يوجد شىء ممنوع ٠ اطمئن ٠٠

والتقت نظرات **أحمد صالح داود** وضباط المباحث الذين معه بعينى فلم يجدوا بهما سوى تساؤل ساخر عن سر مقدمهم المفاجىء ٠ وبعد دقائق معدودة كان كل شىء واضحا ٠ الغرض الذى أتى من أجله ضباط المباحث لم يتحقق ٠٠ لم يجدوا **علبة السلمون !**

لا تضحكى يا حبيبتى ٠٠ أقسم لك انهم جاءوا من أجل **علبة سمك** سلمون ! لكنهم لم يجدوها ولم يجدوا حتى « الكوز » الفارغ !

قال أحد الضباط بغيظ :

ـ فين الأكل اللى كان معاكو ٠

قلت بسخرية ٠٠

ـ قصدك علبة السلمون ؟

ازداد غضبه ولوح بيديه ٠

ـ أيوه فين هيه ٠٠ ؟

ـ اظن كان فيه علبة هنا واخذها معاه زميلنا الذى خرج اليوم اسألوه عنها ٠٠ لعله لم يزل عندكم بعد فى الانتظار ٠

خرج ضباط المباحث وقد امتلأت وجوهم بالحقد والغضب ٠٠ **لقد** فشلت مؤامرتهم لتلفيق **قضية جديدة لى ولزميلى من أجل استضافتى عشر سنوات أخرى** ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان معنا بالفعل علبة سلمون .. تركها معنا الزميل الثالث الذى ترك السجن فى صباح ذلك اليوم طالبا منا ان نعطيها لاحد زملائنا فى سجن القناطر الخيرية الذى سنذهب اليه انا وزميلى الثانى قبل اعتقالنا من جديد أو الافراج عنا من هناك . لا أدرى لماذا ساورنى الشك فى الزميل الثالث ربما لأنه مكث طول الليل يكيل لى المديح والثناء كيلا الى الحد الذى جعلنى اشك فى أنه يدبر شيئا . وحتى صباح اليوم التالى كانت علبة السلمون فى حوزته .. واعطاها لى قبل ان يترك سجن مصر بدقائق .. ولم تمض دقائق بعد أن ترك الزنزانة الا وكانت العلبة مفتوحة .. لم يكن بها سمك السلمون اللذيذ .. وانما كانت محشوة بالأوراق . بعضها مكتوب بخط اليد .. وبعضها مطبوع على الرونيو .. وبسرعة أحرقت وزميلى كل الأوراق فى « جردل البول » وتصادف ان جاء موعد « الفسحة » .. والفسحة معناها ان يخرج السجين الى دورة المياه ليقضى حاجة ولبلق « الحاجة » التى تجمعت فى الجردل طول الليل وساعات النهار التى تغلق فيها الزنزانة .. وفى دورة المياه ازال زميلى الثانى أى أثر للورق المحروق واعطى الكوز لأحد المساجين الذى فرح به كثيرا فان له استعمالات عديدة فى السجن . مأمور السجن فهم هذا كله دون ان انطق بكلمة .. وكان سعيدا سعادة لا حد لها .. وعند انصراف هذا الجمع الحاشد الذى جاء لبضبط علبة السلمون .. تاخر المأمور خطوات ليشد على يدى شاكرا ممتنا فلو ان الباحث وجدت علبة السلمون لنكلت به وبكل ضباط السجن وسجانيه .

تسالين .. لماذا ياحبيبتى ؟ .. سأقول لك .

عند دخول أى سجين الى السجن أو خروجه منه لأى غرض .. التحقيق معه . أو العلاج .. الخ يجرى تفتيشه بدقة شديدة حتى لا تدخل معه أو تخرج ممنوعات . والممنوعات كثيرة جدا .. تبدأ من الشاى والسجاير والمخدرات وتنتهى بالمنشورات « الشيوعية » . وكل الممنوعات بما فيها **المخدرات لا تساوى شيئا الى جانب « المنشورات »** ! ويا ويل المسجون السياسى الذى تضبط معه ورقة مكتوب بها أى كلام أو حتى نظيفة فهى دليل على أنه ينوى كتابة أفكار « **هدامة ومستوردة** » ولكن اذا وجدت مخدرات مع مسجون فلا بأس .. فالجميع يمكن ان « ينبسطوا » !

وعادة يقوم ضباط السجن بتفتيش المسجونين الخطرين أمثالنا بحثا عن منشورات أو أوراق نظيفة بوصفها « مشروع منشورات » . وفى حالتنا هذه لو ان الباحث وجدت علبة السلمون أياها وما بها من أوراق لانهدت الدنيا على مأمور السجن وضباطه وسجانيه لأهمالهم وعدم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بفظتهم وبالتالى يضع رجال المباحث أرجلهم فى السجن بشكل واضح وهو ما ترفضه ضباط السجن حيث يجدون فى هذا تدخلا فى عملهم ، فقانون السجون لا يسمح لضباط المباحث بدخول السجن والتفتيش واذا حدث فيكون ذلك باذن من وزير الداخلية ، حدث ذلك فى حالتنا هذه وفى حالات اخرى نادرة جدا · لم أعرف ماذا حدث « لزميل » الثالث حين عاد ضباط المباحث بخفى حنين · لكنه أفرج عنه على أى حال وعدت وزميلى الى سجن القلعة تم الحاربق معلقين · وحين افرج عنى **فى أبريل ١٩٦٤** وجدت هذا الزميل الثالث يكتب فى الصحف والاذاعة والتليفزيون ويؤلف الكتب الكثيرة ، فى النقد والادب ، وحتى السياسة ! وهو حتى كتابة هذه السطور كاتب « **كبير** » يشار اليه بكل أصابع اليدين والرجلين ! كانت هذه هى المرة الأولى التى أقابل فيها **أحمد صالح داود** ··· وكانت المرة الثانية يوم ان ذهبوا بى من **سجن القناطر الخيرية الى المباحث العامة** ·· لاعفالى ·· أو للافراج عنى · يومها لم أسك لحظة فى اننى سأعتقل ·· وما كنت أفكر فيه هو اننى سأفقد كثيرا من **امتيازات السجون** ·· سأخلع الحذاء وامشى حافيا ·· لن يسمح لى بالزيارة كل مدة كما تقضى لائحة السجون ·· لن استطيع شراء شىء من الكانتين ·· الخ ·· والبدلة « الملكى » التى ألبسها هذه ستجد طريقها مرة أخرى الى مخازن السجن الى زمن لا أعرف مداه ·· لم ألبسها قبل عشر سنوات الا أياما قليلة خلعتها مره أخرى كى ألبس « بدلة » المعتقل !! ما كدت ادخل باب المباحث العامة حتى وجدت زوج اختى « رحمه الله » ومعه احد اخوتى الكبار · هجم على وهو يكاد يختنق من البكاء ويقول :

ـ اختك فى انتظارك ·· راح تموت لو ما طلعتش ··

ويقول اخى :

ـ ذنب اختك فى رقبتك ·· اعمل اللى يقولوا لك عليه ··

لم أجب عليهم وطلبت من الضابط أن ينهى الاجراءات المطلوبة ··· يقول وعلى وجهه ابتسامة باردة ·· باعثة ·· خبيثة ··

ـ مستعجل ليه ·· خليك شوية مع أهلك ·· يا أخى هما مش واحشينك ، الا أنه ؟ ·

ـ بغضب والألم يعزقنى

ـ من امتى المواقف الانسانية تى ؟

وتعمد هذا الوحش فى زى الانسان ان يتركنى مع زوج اختى الذى يبكى كالاطفال واختى الذى يلح على أن أكون واقعيا ! واكتب لهم ما يريدون · اكثر من نصف ساعة لم استطع ان احبس الدموع التى طفرت من عينى ! ولم اتكلم كلمه واحدة ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى مكتب أحمد صالح داود كان كل شىء قد اتضح قال :

ـ أنت عارف أيه هيه طريقة الخروج ٠

قلت بهدوء :

ـ طبعا عارف ٠

ـ وأيه رأيك ؟

ـ انت عارفه ٠

وتوجه الرجل بحديثه الى أهلى قائلا .

ـ ما فيش فايدة ٠٠ أنا قلت لكو ٠

وانصرف أهلى يبكون ٠٠ وذهبت انا الى سجن القلعة ٠٠ ومكثت به عشرة أيام فى زنزانة مغلقة لم أخرج منها سوى مرتين ، مرة لمقابلة أحد ضباط المباحث الذى جاء يقول لى ان اختى فى خطر ولن ينقذها سوى خروجى ٠

ـ وهل امتنعت عن الخروج ؟

قال :

ـ كلمتين تكتبهم وتخرج ٠٠

قلت بغضب :

ـ انت عارف الاجابة ؟

يومها قضيت أسوأ ساعات عمرها فى حياتى ٠٠كان سؤال يطن فى رأسى ٠ هل أنا مسئول عن موت أختى ؟ ٠ المسكينة التى مرضت يوم اعتقلونى قال لها الأطباء ان شفاءها يتوقف على صدمة مماثلة ولكن مفرحة ٠٠ لا لست مسئولا ٠٠ حياتى نفسها أقدمها ثمنا لما اعتقده ٠ والمرة الثانية التى خرجت فيها من زنزانة سجن القلعة كانت لترحيلى الى سجن المحاريق بالواحات الخارجة ٠ بعد يومين قرأت فى الأهرام فى مكتب مامور السجن اسمى فى نعى اختى رحمها الله ٠ قدم لى الرائد «٠٠٠» مأمور السجن العزاء ٠ وكانت تربطنا بهذا الرجل بعد تجربة مريرة علاقات طيبة وانسانية سأحكيها فى رسائلى المقبلة ٠

والمرة الثالثة التى قابلت فيها **أحمد صالح داود** كانت فى مساء ٥ أبريل ١٩٦٤ بعد الافراج عنى من قسم **شرطة مصر الجديدة** ٠ ما ان رآنى أدخل عليه فى مكتبه حتى هب واقفا ٠٠ ابتسامة عريضة مصنوعة على وجهه، ويده ممدودة بالتحية ٠٠ وقال :

ـ ارجو انك ما تكونش زعلان ٠

ـ ودى مسألة تهم سيادتك ؟

ـ طبعا تهمنى ٠٠ خصوصا الآن ٠

ـ ولماذا الآن بالذات ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ من أجـل الثورة والتطـور الاشتراكـى ٠
ـ ومؤامره أمس ضد زملائنـا ٠٠ كانت من أجل ذلك ؟
ويرد الرجل بخبث سـديد :
ـ عبيكو يا شيوعيين انكو بتحطونـا فى كفـة واحـدة ٠ انا ليس لـى علاقـة بما حدث أمس والتحقيق اثبت ذلك ٠

فهمت ما يقصـده ٠٠ ولم أعلق ٠٠ وعنـد انصرافـى قـال للضابط الذى يرافقنـى ٠
ـ اللواء **حسن الصيلحى** عاوز يشـوف الأستاذ ٠٠
وجدت الرجل « مهذبـا » أكثر من اللازم الى درجـة أنـه اسـتقبلنـى على باب مكتبه تـم رفض ان يجلس حتى اجلس أنا ! قال :
ـ ارجو ان تفهموا موقفـى على حقيقته ٠٠
ـ موقفك بالذات معروف لنـا تماما ٠
قال بأدب متجاهـلا سخريتى
ـ موقفـى ينبع من أرضية فكرية ٠
ـ ولحساب من هذا الموقف ٠٠ الذى تسميه فكريـا ؟

بلع الرجل كلماتى ٠٠ ومد يـده مصبيا ٠٠ انصرفت الى منزل أخى لأول مـرة بعد ١٢ عاما ٠ وبعد أيـام نقـل حسن المصيلحى الى ادارة الجـوازات والجنسية ٠

والمرة الثانية التى قابلت فيها حسن المصيلحى كانت فى صيف **عام ١٩٦٨!** فى خـلال استراحة احد المسارح وكان معـى **المرحوم الدكتور محمد الخفيف** وجرى حديث بينه وبين **حسن المصيلحى** وكنت صامتـا ٠ وادرك الخفيف اننى لا اتذكـر حسن المصيلحى ٠٠ فقـال من خلال ضحكته العاليـة المشهورة عنـه ٠٠
ـ أنت مش عارف الأستاذ والا أيـه ؟
قلت وانا اتأمله محاولا تذكـره ٠٠
ـ والله مش واخد بالـى ٠
ـ حسن المصيلحى ٠
وعرفت بنى كلمة دون أن أنطق
ـ يا استاذ ٠٠
ضحك حسن المصيلحى وقال :
ـ لا خلاص ٠٠ انا دلوقت رجل أعمال ٠
وأكمل **الدكتور محمد الخفيف** بخفـة دمه المعروفـة ٠

ـ شركة استيراد وتصدير يا أستاذ ٠٠ فى جنيف ٠٠ امـال ٠٠ عقبال املتـك ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- أمـل عدوبنـك يا دكتور ٠

وبقـول المصيلحى ٠٠

- لبـه بقى ٠٠ والشغلة دى فيها أبـه كمان ٠

قلت بسخريـة :

- يعنى ٠٠ ترقيـة ٠٠ الشغل دقـى على مستوى عالمـى ٠

قـال :

- يعنى انت لسـه عند رأيك ٠٠ طيب دلوقت لحساب دين ؟

قلت ضاحكـا :

- لحساب كله ٠٠ عالمى يا أسـتاذ ٠

قـال :

- على أى حـال أنـا ضد الشيوعيـة ٠٠ من موقع فكرى ٠

قلت والخفيف فى نفس واحـد بسخرية :

- واضح ٠٠ واضح جـدا ٠

فى ذلك اليوم حكيت للدكتور محمد الخفيف ما دار بينى وبين حسن المصيلحى مساء يوم ٥ ابريـل ١٩٦٤ .

حبيبتى

هذه هى الرسـالة السادسه اليك ٠٠ ومازلت عنـد احـداث يوم الافـراج رأيت ان ابـدأ بهـا ٠ فربما تعطبـك فـكرة عن بعض مـا تريدين معرفتـه عنـى ٠ أما عن ذكرياتـى خـلال ١٢ عاما من السجن والاعتقـال فموعدهـا رسائلى المقبـلة ٠

١٤ ينـاير ١٩٧٧
بغـداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم ٦

حبيبتى

بعد تلك الليلة المثيرة التى قضيتها فى « **تخشيبة** » **قسم بوليس الوايلى** ، أخذنى **البكباشى أحمد حلمى** « رئيس قسم مكافحه الشيوعية » ومنذ الى النيابه العسكرية ، فقد كانت الأحكام العرفيه معلنه منذ حريق **القاهرة فى يناير ١٩٥٢** • كانت السهور التى تلت حريق القاهره تشهد ازمه النظام الخانقة وعجزه عن الاستمرار بالأساليب التقليدية بما فيها الأحكام العرفية ذاتها وكانت الدوره تدق الأبواب ، ولكن لم يكن هناك التنظيم الجماهيرى القادر على القيام بثوره شعبية تطيح بالنظام الملكى • ومن هنا كان موقفنا هو التحذير من انقلاب فاشى والنضال من أجل عودة **حكومة الأغلبية** ،**حكومة الوفد** • كانت السلطة الحقيقية هى للبوليس السياسى ، وبالتالى كان البكباشى **أحمد حلمى** هو الحاكم الفعلى وعبد الاستعمار الأمريكى الذى بدأ منذ الخمسينات على وجه الخصوص يوطد نفوذه فى البلاد • حين بدأ **رئيس النيابة العسكرية** التحقيق معى تجاهل تماما طلبى بعدم **حضور أحمد حلمى** التحقيق ولما كررت طلبى القانونى هب واقفا من على مقعده وقال بغضب كلاما لم اتبينه • وحين طلبت أن يثبت فى المحضر حضور أحمد حلمى •• رفض أيضا بغضب •• ملت بهدوء :

ـ طيب على الأقل •• واحتراما **للسلطة القضائية** •• هل تأمر بفك **القيد الحديدى** من معصمى ! اختلطت حمرة الغضب بحمره الخجل ليكسو وجهه لون غريب جسد كل ما يعانيه الرجل من مذله ومهانه •

بعد عشره صمت قصيرة ، **تدخل أحمد حلمى** وأمر بفك القيود من يدى !

كان [illegible] سريعا ويسيرا فلم تكن [illegible] أى دليل قانونى يثبت تهمه تأسيس وإدارة وتنظيم « الحزب الشيوعى المصرى » •• حتى تقارير البوليس السياسى لم تكن تعرف اسمى الحقيقى فحتى يوم القبض على **فى ١٨ يوليو ١٩٥٢** كنت موظفا بالحكومة لذلك كنت قد قررت قبل بدء التحقيق أن استفيد من موقفى القانونى فى القضية وهذا ما نصح به المحامون بعد ذلك • ولم يكن فى القضية سواى وزميل آخر مارسوا معه كل أنواع الضغوط ليعترف على فلم يرضخ • انتهى التحقيق فى أيام وبقينا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى سجن مصر فى انتظار قرار الاتهام ثم المحاكمة وخلال تلك الأيام أكد المحامون بان النيابة سوف تفرج عنى حيث لا دليل واحد عندها ضدى ٠

وخلال شهر أغسطس صدرت تصريحات من **فتحى رضوان وزير « الارشاد القومى »** تفيد بان كل المسجونين السياسيين الذين اعتقلوا قبل **٢٣ يوليو** سوف يفرج عنهم فورا ٠ وخلال زيارات الاهالى لنا قالوا ان **فتحى رضوان** أكد بان السبوعيين الذين اعتقلوا فى العهد الملكى سوف يفرج عنهم وجاءنا من قيادات التنظيمات المختلفة بان خروج كل الذين اعتقلوا قبل **٢٣ يوليو** وكان عددهم لا يتعدى الثلاثين أمر لا شك فيه وبعد أيام خرج الاخوان المسلمون والمتهمون فى الاغتيالات السياسية وفى مؤامرة حريق القاهرة ، ثم صدر قانون يعطى الحق للذين يرون أنهم سياسيون ولم يفرج عنهم بتقديم تظلمات أمام **محكمة خاصة** شكلت لهذا الغرض ٠ وتقدمنا بتظلمات نظرت أمام هذه المحكمة وقدم المحامى **أحمد شوقى الخطيب** مذكرة هامة أورد فيها نصوصا من الدستور المصرى والقوانين المصرية وأحكام القضاء المصرى فضلا عن دساتير معظم دول العالم المتحضرة تؤكد حقنا فى الافراج عنا ٠ وبعد عدد من الجلسات أصدرت المحكمة حكما برفض تظلماتنا وقالت فى حيثيات الحكم ان الشيوعيين ليسوا سياسيين وانما هم اقتصاديين وأنهم يصبحون سياسيين فى حالة ، احده فقط هى حالة استيلائهم على السلطة !!

قبل نظر قضية التظلمات السياسية كان قرار الاتهام قد وصلنى فوجدت نفسى أنا وزميلى **مصطفى كمال خليل ، الذين اعتقلنا قبل ٢٣ يوليو فى قرار واحد مع ٢١** آخرين قبض عليهم **بعد ٢٣ يوليو** والاتهام الموجه للجميع هو قلب **نظام الحكم** ٠٠ اثنان متهمان بقلب **نظام الحكم الملكى** والباقى متهمين بقلب **نظام الحكم الجديد !!**

بعد أيام من رفض تظلماتنا سحبت قضيتنا من امام **محكمة الجنايات** العسكرية وأعضائها من مستشارين كى ينظرها **مجلس عسكرى** اعضاؤه **من العسكريين** وبرئاسة القائمقام **أحمد شوقى عبد الرحمن** ونائب **أحكام عسكرى وباجراءات مجلس عسكرى** ٠ وكانت هذه أول قضية شبوعية يشكل لها **مجلس عسكرى خاص** ٠

وقد نشرت **روز اليوسف** خبرا يقول بان **الدوائر الأمريكية ارتاحت** لتشكيل **مجلس عسكرى خاص** لمحاكمة الشيوعيين ٠ وظللنا أياما قبل بدء المحاكمة نسأل باى قانون سوف نحاكم ؟ هل بقانون **صدقى** الذى أقصى عقوبة فيه هى ١٠ **سنوات أشغال شاقة** ؟ أم بقانون محاكم الثورة والذى تصل أحكامه الى الاعدام ؟

وأصبح قانون صدقى الذى **صدر عام ١٩٤٦** غير الدستورى لأنه صدر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فى عبـــة البرلمان حلمـــا تنمناه !! ومضت أيـــام لم نصلنـــا اى اجـــابة علـــى عدا السؤال حتى المحامين الذين وكلوا للدفاع عنـــا لم يعـــرفوا اجابة علـــى عدا السؤال ! أكثـــر من ذلك لم نكن نعـــرف ولا المحـــامين يعـــرفون أين ستحاكم ؟ .. هل فى احدى قاعات **المحاكم الجنائية** أم فى أحد **معسكرات الجيش** ؟ ووصلتنا اشاعات تقـــول بأن النيـــة تتجه الى عمل محاكمات سريعة فى أحد **معسكرات الجيش** واصدار عـــــدد مـــن الأحـــكام **بالأعـــدام وتنفيذها فـــورا رميـــا بالرصاص !**

وهكذا عشنا أكثر من عشرة أيام نهيأ للاشاعات والاخبار المتضاربة ، غير ان الروح المعنـــوية للغالبيـــة العظمى من الزملاء المتهمين الى هذه **المحاكمـــة الاستثنائية** كانت عالية للغاية ، وتغلبت روح ـ **الاستشهاد فـــى النهـــاية** وكنـــا فى نهـــار كل يـــوم نعقـــد الاجتماعات لتقـــوية الروح المعنـــوية ، وفـــى المساء بعـــد قفل الزنازين نتنشـــد الأناشيد الوطنية .

ولم نعـــرف موعـــد المحاكمـــة ومكانها الا فى صباح نفس اليوم الـــذى حرجنا فيـــه للمحاكمة ، ولم نعـــرف وفق أى قانون ستحاكم الا مـــن نـــائب **الأحكام البكباشى حسن سرى** قبل ان تبـــدأ **أول جلســـة** للمحكمة .

وبـــدأت محاكمتنا لتستمر أكثـــر من شهرين ثـــم توقفت لتبدأ محكمـــة جديدة **برئاســـة اللـــواء فؤاد الدجوى بعـــد أن قبض على رئيس المحكمـــة الأولى أحمد شوقى عبد الرحمن .**

وكانوا يريدون لهذه المحاكمة أن تكون ارهابا لنـــا ولكل زملائنا فى الخارج، ولكننا حولناها الى مهزلة حين تحدينا ارهابهم وحدثت أثناء محاكمتنا أمام المحكمة قصص طريفة .. موعدها معك يا حبيبتى فى الرسائل المقبلة .

١٥ ينـــاير ١٩٧٧
بغـــداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسـالة رقـم ٧

حبيبتـــى

كـان يوم **٨ يوليو ١٩٥٣ يومـا** غيـر عـادى فى سجن مصر • فمن المعتاد أن تفتح زنازين كل عنبـر حوالى الثامنة صباح كل يوم « لتنظيفها » ولكـى يقضى المساجين « حاجتهم » فى دورات المبـاه ، ثـم ينزلون الى فناء السجن فى « طـابور » صباحى ، بعدها يتسلمون وجبه الغذاء ، ثـم تغلق **الزنـازين** • لكن فى ذلك اليوم لم تفتح الزنازين فى الموعد المعتاد • الزنازين التى كان بها الزملاء المتهمون فى القضية الأولى المقـدمة الى **المجلس العسـكرى برئاسـة اللواء فؤاد صادق** هى فقط التى فتحت تحت اشراف مأمـور السجن وضباطه ! ووسط صيحات السجانة وتساؤلات المساجين !

نزلنـا من الطابق الثانى عنبـر ب **فى سجن مصر** وهتافاتنا تهز كل جدران السجن •• عاش نضـال الشعب المصرى •• تحيـا مصر حـرة مستقلة وكان زملاؤنا من التنظيمات الأخرى ينشدون •• بلادى بلادى ويلوحـون لنـا بأيديهم مشجعين •

وفى غـرفة المأمور كـان هناك عدد من الأطباء الضباط لاجـراء الكشف على قلوبنـا •• لا أدرى لـماذا ؟

بعـد الكشف على قلوبنـا ووضع **القيود الحديدية** فى معاصمنا خرجنـا من باب السجن العمومى لنجـد أربع سيارات وقـد امتلأت برجال الشرطة •• **الأسلحة الرشاشة فى أيديهم** مصوبة نحونا •• وعربتان مغلقتان تمامـا مثـل الزنزانة ، وفى مؤخرتها شرطيان يمسكان **بالمدافع الرشاشة** • كانت المنطقة المحيطة بالسجن خالـية تمامـا •• الدكاكين مغلقـة •• لا باعة •• ولاأهالى فقـد منعت الزيارة فى هذا اليـوم • ومن الطريف أن قائـد الحرس كـان لايعـرف شيئا عنـا فسألنى •

ـ أبه الحكاية يا ابنى انتو متهمين بأيه ؟

ـ شيوعيـة •

ـ طيب ولبه الهيصه دى كلهـا ؟

قلت بسخرية :

ـ يبـدو ان احنا خطرين قـوى ••

وأردت أن أعـرف منـه أين سنحاكم وكانت مفاجأة مذهلة حين قال لـى أنـه لايعـرف بعـد !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ أمـال راح تودينـا فين ؟

قال الرجل الطيب :

ـ اديني مستنى الأوامـر ..

وعرفت من **البكباشى رئيس الحرس** أنه استدعى مسـاء أمس مـن قنـا حيث يعمل هنـاك ـ فى مهمـه سرية جـدا وعليه أن يتواجد فى سـجن **مصر يـوم ٨ يوليـو ١٩٥٣ !**

بعـد حوالى نصف ساعة تحرك الموكب المهيب .. سيارتان فى **المقدمـة ورشاشات** تحملها الشرطة مصوبة **الى امام** العربيتين اللتين نركبهمـا .. وسيارتان خلفنا **والرشاشات مصوبة الى الخلف ..**

نادانى مأمور الحرس لأجلس الى جانبـه ... بعد دقائق قلت ضاحكا :

ـ أيه العظمة دى كلهـا !

رد على الرجل وكان التأثر بادبا على وجهه .

ـ يا ابنى انت فى أيه والا أيه بس !

ـ يا سيدى ولا يهمك .. لكن احنا راح نتحاكم فين ؟

ـ فى محكمة الاستئناف بباب الخلق

صحت فرحـا وأعلنت الخبـر للزملاء .

تعجب المأمور وسألنى فى اندهاش

ـ أيه الحكاية مبسوطين قـوى كـده ليـه ؟

قلت :

كنا فاكرين اننا رايحين أحـد معسكرات الجيش ... نتحاكم هنـاك زى **خميس والبقـرى ...**

علق الرجل وقـد ازداد اندهاشـه .

ـ ليـه يا ابنى وانتو عملتوا أيـه ؟

كـان الموكب قـد وصل الى مـدان باب الخلق .. هذا الميـدان المزدحم الذى لاتجـد فيـه موطأ لقـدم .. كـان خاليـا تمامـا .. مـن السيارات وعربات الكارو .. ومن كل الناس . وقفت عربات الموكب ، وعلـى طـول السلم والطـرقات المؤدىـة الى قاعة المحكمـة .. اصطفت اعداد هائلـة مـن الجنود يحملون أسلحتهم ، ووسط هـذا الحشـد الهائل من الجنود .. سرنا نرفع ايدينـا المقيدتين **بالقيود الحديديه** نحيى أهالينا الذين وقفـوا علـى مبعدة منـا وننشد .. **بلادى .. بلادى .. لك حبى وفؤادى ..**

وبعـد أن أدخلونا قفص الأتهام .. دخل الأهالى والمحامون الى قاعـة المحكمـة . جـاء عـدد كبيـر مـن المحامين التقدميين والوطنيين . كان من التقدميين أسماء لامعـة ولمعت أكثـر فى الستينيات .. وكنت اعـرفهم جميعـا .. للأسف كان موقفهم مخزيا .. واحـد منهم تنحى عن الدفـاع عنـى وآخـرون تنحوا أيضـا .. ولمـا سألت عن السبب قالوا :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ أصل ما فيش فايـدة ·· الأحكام صادرة ·· صادرة ·

يؤسفنى أن أقـــرر اننى اسقطتهم جميعـا ·· واحتقارا لشانهم لم اعلق · الذين دافعوا عنـا كانوا متطوعين كـان من بين **الوفـديين** ·· **سليمـان غنـام** ، **أحمد الخضرى** ، ومن بين رجـال المحاماة البارزين **موريس أرقش** **وعادل أمين** وغيـرهم · حتى المحامين الذين انتدبتهم المحكمة للدفاع عنـا كان موقفهم عظيما · اذكر منهم **الدكتور مدحت** الـذى جـاءنى فـى قفص الاتهام يطلب منى فـى شبه رجاء أن أقبل انتدابه للدفاع عنى مع **الاسـتاذ** **سليمان غنـام** ·· قـال :

ـ رغم اننى لست محامى جنايات لكنى قـرأت كـل التحقيق ·· وأنته ١٠٠٪ بـراءة ·

ـ ١٠٠٪ بـراءة ؟ سيادتك متفائل قـوى ·

قال الرجل ورنـة صوته تحمل كل الثقـة ·

ـ التهمـة الموجهة اليك قلب **نظـام الحكم الملكى** ··

قلت مازحـا :

ـ طب ودى فيهـا أيـه ؟

ـ ما أهو **الضباط** قلبـوا **نظـام الحـكم الملكى** فعـلا اللى انت متهـم بمحـاولة قلبـه ·

ـ ده كـلام منطقى يا دكتور ·· لكن ··

ـ ما أهو يا تطلع انت براءة ·· **يا الضباط دول بيجوا هنا السجن معاك**··

لمحت على باب القاعـة الاستاذ **سليمان غنـام** فادما نحـوى ·· سـمع الجملة الأخيرة **للدكتور مدحت** فقـال مبتسما :

ـ يا دكتور مدحت ·· ما تزعلش ·· روق دمك ··

ورأيت الدهشـة على وجه **الدكتور مدحت** ·· وراح يخبط يـده باليـد الأخـرى ويقـول كلامـا لم اتبينـه ··

قال لـه الاستاذ **سليمان غنـام** مبتسما ··

ـ بعدين افهمك يا دكتور مدحت ·

قال لـى **الأستاذ سليمان غنـام** « رحمه الله » :

ـ موقفك فى القضية سليم جـدا ·· لو طبق القانون فالحكم بالنسبة لك سيكون بـراءة ·

قلت ضاحكا :

ـ هل للسبب نفسه الذى يسوقه الدكتور مدحت ؟

قال ضاحكا :

ـ انا باقول القـانون ·· مش المنطق ·· ليس هنـاك دليل واحد عليك·

قلت :

ـ يا استاذ غنـام ·· أنت موكـل للدفـاع عـن **الديمقراطية والحـريات السياسية** ·· **كل ما نـريده هو** أن يسمع الرأى العام **دفاعك عن الحـرية** ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصاح الحاجب :

ـ محكمـــة ٠

ـ دخل **القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن** رئيس المحكمه ٠٠ وضـابطان برتبـه صاغ ٠٠ بعدهما دخل **حسن سرى** نائب الأحكام ٠٠ ثـم **على نور الدين** « المدعـــى » ٠

قبل أن يجلسوا ٠٠ وقف أعضاء المحكمـه ووضعـوا أياديهم اليمنى علـى المصحف ورددوا المسـم ٠٠ وبـدأت المحاكمـــه ٠

نادى رئيس المحكمة ٠٠ المتهم الأول (٠٠٠)

ـ هل لك اعتراض على المحكمه ؟

ـ اعترض على تشكيل المجلس العسـكرى ٠٠ وليس لى اعتـراض على اشخاص المحكمـة ٠

واعلن كل المتهمين اعتراضهم على تشكيل المجلس العسكرى

وتقـدم المحامون ٠٠ **سليمان غنـام ٠٠ أحمد الخضرى ٠٠ موريس أرقش، عادل أمين** بطلبون تأجيل المحاكمة حتى ينظـر **مجلس الدولـة فى المذكـــرة** التى تقدموا بهـا بطعنون فى دستورية **تشكيل المجلس العســكرى** ٠

ورفعت الجلســه للمداوله ٠

وانعقدت المحكمة بعـد نصف ساعة وأعلن الرئيس

ـ قـررت المحكمة الاستمرار فى نظـر القضية المعروضة عليها حتى يصدر **مجلس الدولة** قـراره بشأن اعتراض الدفاع على تشكيلها ٠٠

واستؤنفت المحاكمة ٠٠ جلسات صباحية ومسائية واستمرت شـــهرين كاملين ٠٠ وقبل ان تصل اجـراءات المحاكمة الى نهايتها بأيـام ٠٠ **قبض على أحمد شوقى عبد الرحمن رئيس المحكمـة وعلى المرحوم الاستاذ ســليمان غنـام** ! كيف بـدأت المحاكمه ٠٠ وكيف انتهت **بالقبض على رئيس المحكمـة وعلى المحامى الذى** يدافع عنى ؟

سأحكى لك ذلك يا حبيبتـى فى الرسالة المقبلة ٠

١٦ ينـاير ١٩٧٧

بغـداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم ٨

حبيبتى

ما يقرب من شهرين استمرت محاكمتنا **أمام المجلس العسكرى** برئاسة **القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن** • وكانت الجلسات تعقد صباحا ومساءا، وبعد أيام قليلة أصبحت المحاكمة بالنسبة لنا فرصة للقاء الأهل والاصدقاء وتناول الأكل « **البيتى** » الذى حرمنا منه مدة طويلة • كميات وافرة من اللحوم والدجاج التى لم نتذوقها منذ دخلنا السجن •• كنا نأكل فى المحكمة ونأخذ معنا أيضا • حدث مرة أن أعترض ضابط السجن (•••) وكان معروفا بصلته **بالمباحث العامة** ، على ادخال ما نأخذه معنا من طعام الى السجن • شكونا لنائب **الأحكام حسن سرى** فأمر الرجل بأن يدخل كل الطعام الذى نأخذه معنا للسجن ، كما كان بعد انتهاء جلسات المحكمة يسمح لنا بالجلوس مع اهالينا بعض الوقت فى قاعة المحكمة •

قلت له يوما :

ـ تبدو انسانا •• خلاف ما يدل عليه مظهرك •• ودورك فى المحاكمة

ابتسم وقال :

ـ وعلام يدل مظهرى ؟

قلت ضاحكا :

ـ فاشى

ضحك وقال :

ـ وهل تأخذ بالمظهر ؟

ـ أرجو أن تتاح لى فرصة معرفة الجوهر :

ورئيس المجلس العسكرى تكونت بيننا شبه صداقة • اذا شكونا له من سوء معاملتنا فى السجن نادى على ضابط السجن ليناقشه ثم يأمر بمعاملة حسنة **وفق اللائحة** •

ورئيس الحرس •• نشأت أيضا معه علاقة طيبة ، قال يوما :

ـ لقد تعودت عليك وعلى الحديث معك •• سأشعر بنقص فى حياتى بعد انتهاء المحاكمة •

قلت ضاحكا :

ـ بسيطة •• دعنى أهرب ••

قال :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والله يا ابنى لولا الولاد لكنت ساعدتك على الهرب .. لكن أنا عارف انك راح تخرج براءة .

- ومنين عرفت .. ؟

- لقد سمعت رئيس المحكمة **يهنئك** .. عندما انتقلت المحكمة لمعاينه وامعه القبض عليك .

وحقيقة .. لقد **هنانى رئيس المحكمة** .. كما هنانى **على نور الدين** المدعى العام **وحسن سرى** نائب الاحكام والبك ما حدب .

حين بدأت المحكمة فى سؤال شهود الاثبات .. تضاربت أقوال الشهود ، واحد منهم قال أنه قبض على وأنا أطرق باب زميلى **مصطفى كمال خليل** مساء وكان قد قبض عليه صباحا .. والآخر قال اننى بعد ان صعدت بعض درجات السلم لاحظت وجود مخبرين فجريت هاربا وجرى خلفى وهو يصيح :

- حرامى .. حرامى ..

ويعلق **الاستاذ سليمان غنام** ساخرا .

- ما هو لو كنت قلت شيوعى .. كانت الناس ضربتك .

وقبل أن يطلب الاستاذ **غنام** استقال المحكمة لمعاينه وامعه القبض على كان **رئيس المحكمة يقرر انتقال المحكمة الى المنزل ..**

وبالفعل انتقلت المحكمة الى منزل مصطفى كمال خليل وهو يقع فى حارة درب البرابرة بالموسكى .. منزل قديم لا تدخله الشمس ابدا .. ويغرق فى ظلام دامس الى حد ان المرء لا يستطيع أن يرى أبعد من متر واحد فى حوشه أو على السلم فى وضح النهار .

بعد أن نزل أعضاء المحكمة من منزل زميلى وكنت انتظرهم فى الشارع همس غنام فى اذنى .

- المحكمة مقتنعة تماما ببرائتك .

وقال على نور الدين :

- مبروك .

قلت :

- كان المفروض أن تقوم النيابه بذلك .

لم يعلق الرجل

والتفت الى **أحمد شوقى عبد الرحمن** وقال :

- من الناحية القانونية .. **مبروك** .

والحقيقة اننا كنا غير قادرين على تفسير موقف **أحمد شوقى عبد الرحمن** . كان يهتم اهتماما ملحوظا بكل **الجوانب القانونية** . ورغم ان المدعى طلب مرات عديده أن تعقد الجلسات سريه فقد رفض الرجل وكان يصر على **علنية الجلسات** ويطلب نشر ما يدور بها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فـى الصحف · وبالطبـع لـم تـكن الصحف تنشر شيئـا فيمـا عـدا **جـريدة المصرى** التـى كـانت تتحـايل على نشر بعض مـا يـدور فـى جلسـات المحاكمـة · ويوميـا وطـوال مـدة المحاكمـة كنت أقـول للاستاذ غنـام أن الصحف لا تنشر شيئا ·· وكـان يطلب من المحكمة ضروره أن تنشر الصحف ما يـدور فى المحكمـة ·· وكـان **أحمد شوقى عبد الرحمن** يثبت فى محضر الجلسات أن الصحف عليهـا أن تنشر ليكـون الرأى العـام رقيبـا على ما يـدور ·· وكـان يطلب يوميـا من نائب الأحكام الاتصال بالصحف وأن يطلب منهـا النشر ·· وكثيـرا مالام منـدوبى الصحافة الذين يحضرون الجلسـات ·

وهكذا تحولت المحاكمة ما يقرب من **الشهرين** الى نزهـة ·· فيها ما فيهـا من الطـرائف ··

وفى احـد الأيام ذهبنـا كالمعتـاد الى المحاكمة ·· وقبل ان ندخل قاعـة المحكمة خـرج رئيس الحرس ليصـدر تعليماته للحرس باعادتنا الـى السـجن ·

سـألته ··

ـ ماذا جـرى ؟ **هل أجلت المحاكمـة ؟**

لم يستطع الرجل أن يغالب الضحك وقال :

ـ أيـوة أجلت ··

ـ ليـه ؟

ـ **لأن القاضى القى القبض عليـه !**

وعدنا الى سجن مصر لنمكث فيـه شهرا فى انتظار محاكمة جديدة حتـى شكلوا مجلسـا عسكريا جديدا برئاسـة اللواء فؤاد الدجوى ·

ومع الدجوى كانت حكايات طريفه ··

موعدهـا معك يا حبيبتـى فى الرسالة المقبـلة ·

١٧ ينـاير ١٩٧٧

بغـداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٩)

حبيبتـــى

بعـــد القاء القبض على « **القاضى** » **أحمد شوقى عبد الرحمن** مكثنـــا فـــى السجن أكثـــر من شهر ونصف • وبدأت محاكمتنا من جـديد امـام مجلس عسكرى برئاسة **اللـــواء فؤاد الدجوى فى أكتـــوبر ١٩٥٣** •

لم تبـــدأ محاكمتنا من حيث انتهت المحاكمة الأولى كمـــا يحدث فى المحاكم الجنائيـــة • وانمـــا باجراءات المجلس العسكرى الذى يلغى كل اجـــراءات المجلس السابق ويبدأ من جديد • بعد أن أقسمت المحكمة اليمين ونادى رئيسها علـــى :

ـ المتهم الأول •• **عبد الرحيم عثمان** ـ هل لك اعتـــراض على تشـــكيل المحكمـــة ؟

ـ أعترض شكلا وموضوعـــا •

ـ المتهم الثانى (•••)

ـ أطلب التأجيل حتى ينظر مجلس الدولة فى الدعوى المرفوعـــة أمامـــه بعـــدم دستورية تشكيل هذا المجلس •

ـ هذه محكمة وليست مجلسا عسكريا •

ـ بل هو مجلس عسكرى •• وأحكامه جاهزة •

ويعلو صوت « الدجوى » يهدد ويتوعد •• وترتفع هتافاتنا •• الدستور•• الدستور ويطلب المحامون تأجيل الجلسة حتى ينظـــر مجلس الدولة الدعوى المرفوعة أمامه • ويتداول « القاضى » مع نائب الأحـــكام •• ويقول :

ـ قـــررت المحكمة الاستمرار فى نظـــر القضية •• المتهم الثالث (•••)•

ـ تشكيل هذا المجلس غير دستورى وأعترض عليه •

ويسأل « الدجوى » :

ـ [illegible] تعترض [illegible]

ـ [illegible] •• أعترض ••

ـ لماذا تعترض ؟ • ســـتحكم بالقانـــون •

ـ **لا تملكون •• الأحكام جاهزة ••**

ويصرخ الدجوى • يهدد مـــرة أخـــرى ويقول :

ـ كل الضمانات مكفولة بالقانون المتهم الرابع (•••)

ـ هذا النـــوع من المحاكمات لا يقدم ضمانات •• لا للقاضى •• ولا**للمحامى ولا للمتهـــم** •••

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويعـاود الدجوى صراخه ·· وتتوالى تعليقات الزملاء :

ـ أين القاضى السـابق ؟

ـ **أين أحمد شوقى عبد الرحمن ؟**

ـ **وأين الدفـاع عن المتهمين ؟**

ـ **أين الاستاذ سليمان غنـام ؟**

ـ **فين هيـه الضمانـات ؟**

ـ **الدستور هو الضمـان ·**

وترفع الجلسة ·· وبعـد خمس دقائق تعـود **للانعقـاد** · يهدد مـرة أخـرى ثـم ينـادى :

ـ المتهم الخامس (···)

ـ نرفض التهـديد ·

ـ جاوب على السؤال ·

ـ نرفضكم شـكلا وموضوعا ·

ويعترض المتهم السادس · ثم المتهم السابع ·· وكنت أنا المتهم الثامن·· أقـول :

ـ **أين الاستاذ سليمان غنـام ؟**

ويصرخ الدجـوى ··

ـ جاوب على السؤال ·

ـ سأجاوب ·· ولكن فى حضور المحامى الوكل عنى ·

ـ محامى لم يحضر ·· المحكمة مالهـا ؟

ـ المحكمة تعرف لماذا لم يحضر ؟

ويتقـدم محامى من مكتب الاستاذ غنـام ·· يقول :

ـ **الاستاذ سليمان قبض عليـه** ·· وهو يطلب السماح بحضوره للدفـاع عن المتهـم ·

ويلتفت « الدجوى » الى المدعى العام :

ـ على النيـابة أن تقوم بعمل اللازم ··

ويقـول لى :

ـ جاوب على السؤال ·

ـ لمـا يحضر الاستاذ غنـام ·

ـ المحكمة ستنتدب محاميا آخـر ·

ـ وأنا أرفض أى محام تنتدبه المحكمة ومصر على الاستاذ غنـام ·

(صمت)

ثـم ينـادى على المتهم التاسع ·· و · والثالث والعشرين ·· الجميـع يعترضون على تشكيل المجلس العسكرى من حيث الشكل والموضوع · وفـى الساعة الثالثة بعد الظهر ترفع الجلسة لتنعقد فى صباح الغـد ·

فى مسـاء اليوم نفسه ناقشت مع الزملاء خطتنا فى المحاكمـة وقـررنا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن نجعل منهـا مظاهـره سـياسية نطالب بالديمقراطيـة والحـريات السياسية والدسـتور · ومع أننـي اتفقت مـع الزملاء على أن أقـوم بعمل دفـاع سياسـي · الا أن الزملاء في الخارج رفضـوا ذلك · بحجـة أنـه لا يجب التفريط في موقفـي القانونـي في القضيـه ، خاصـه وأن « القاضي » السابق كـان قد أبدى رأيا **ببراءتي** · واتفقنـا على أن يقـوم الزميـل **سعد باسيلي** بعمل هـذا الدفـاع السياسـي وكنت قـد انتهيت من اعـداده قبل أن يلقيه سعد باسيلي بوقت كاف حيث أرسلناه للزملاء في الخـارج لطبعه وتوزيعـه أثنـاء المـاءه في المحكمة · وبالفعـل بينما كـان سعد باسيلي يلقي دفاعـه السياسي كان زملاؤنا في **الخـارج يوزعونـه** وكانـوا قـد أرسـلوه الى القاضـي وأعضـاء المحكمة وكل المحامين ·

وكان مشهدا طريفـا ·· **سعد باسيلي** يلقـي دفاعـه السياسـي من ورق مكتوب بخط اليـد ·· وعدد مـن المحامين يستمعون اليـه ·· ويقـرأون ما يسمعونه في **كتيب** « **مطبوع** » ·· الصمت يلف قاعـة المحكمة وأعضائهـا وصوت سعد باسيلي يرتفع ·

وتوالـى المحامون يقدمون دفاعهم عن المتهمين وقـد ركزوا على الجانب السياسي في القضية ولم يكن الجانب القانوني يحتل في دفاعهم سـوى القـدر الضئيل جـدا واستمرت المحاكمة أكثر من شهر ونصف · بعدهـا سمعنـا اشاعات قويـة تقول بأن القضيـة سـوف تحـول الى محكمـة الثورة · وقد ازعجتنا هذه الاشاعات ، بقانون صدقي « غير الدستوري » أقصى عقوبـة ينص عليهـا هـي عشرة أعـوام أشغال شـاقة ، بينما قانون محكمة الثورة يصل الى الاعـدام · وفي أحـد الأيـام همس نائب الأحكام لنـا :

- اطلبوا من المحامين الاختصار في الدفاع ·
- لماذا انها مرصـة لرؤيـة الأهل وشم الهواء ·

قال الرجل بجديـة ·

- هنـاك اتجاه قوى لتحويلكم الى محكمة الثورة ·

واستمرت المحاكمة عـدة جلسـات ، ثـم رفعت الجلسـة وأعلن رئيس المحكمة انتهـاء المحاكمة في **النصف الثانـي من نوفمبر عام ١٩٥٣** · وبقينـا في سجن مصر ننتظـر اعـلان الأحـكام ، فالمجلس العسـكري لا يعلن أحكامه في قاعة المحكمة وانما بعـد التصديق عليهـا من رئيس الجمهورية !

ومي **١٢ ينـاير ١٩٥٤** أعلنت حـالة الطوارىء في السجن كله وفي كـل المنطقة المحيطة بـه · · لسبب لم نعرفـه ولم يعرفـه احد الا بعـد ان وقف ٢٣ زميـلا في طابـور ليتلو **ضـابط كبيـر** في الجيش الحكم الصادر عليهم وكان يوما مثيرا ساحكـي لك عنه في الرسالة المقبلة يا حبيبتي ·

٣٠ يناير ١٩٧٧

بغـداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (١٠)

حبيبتـــى

كتبت جريدة **المصرى فى يوم ١٣ يناير ١٩٥٤** وصفا للطريقة التى اعلنت بها الأحكام علينا فى ذلك اليوم ، وكانت هى الصحيفة الوحيدة التى انفردت بذلك ، وبالطبع لم يكن ذلك مجرد سبق صحفى قام به **الأستاذ محمود مراد الذى كان مسجونا** ويعالج فى مستشفى السجن واستطاع ان يرى من احدى نوافذه ما يجرى فى فناء سجن مصر ، وانما كان تعبيرا عن **موقف حزب الوفد** من الحريات السياسية والديمقراطية ٠

فى ذلك اليوم ظلت **زنازين السجن** كلها مغلقة حتى حوالى التاسعة صباحا وهى عادة تفتح فى السابعة ٠ السجانة يقفون خارج الزنازين لا يعرفون السبب ٠ والمنادى الذى ينادى يوميا على أسماء المساجين الذين يستحقون الزيارة لم يرتفع صوته كالمعتاد ٠ والأهالى الذين كنا نراهم يوميا حول السجن من شبابيك الزنازين الضيقة لم نجد لأى واحد منهم أثرا ٠ الدكاكين والقهاوى المحيطة بالسجن أغلقت كلها ٠ ترى ما الذى حدث ؟ ربما كان **انقلابا جديدا** وفرض حظر التجول منذ الصباح الباكر ٠ سألنا السجانة والححنا فى السؤال ولكنهم صمتوا جميعا ٠٠ كما يصمت أبو الهول ٠ وفى التاسعة صباحا ٠٠ فتح باب العنبر ٠٠ ثم سمعنا صوتا ينادى ٠٠ بعد ان سمعنا ثلاثة أسماء ٠٠ عرفنا انهم ينادون على زملائى فى القضية وكنت المتهم الثامن فيها ٠ وبعد الاسم الثالث والعشرين سمعنا صوتا :

ـ الأسماء دى تجيب حاجتها معاها وتنزل ٠

اذن هى الأحكام !

بسرعة اتفقت مع الزملاء على الموقف اثناء تلاوة الأحكام ٠

وقفنا صفا واحد حسب ترتيبنا فى قرار الاتهام ٠٠

قال الضابط الكبير وكان يمسك أوراقا فى يده :

ـ كل واحد يسمع اسمه يتقدم خطوتين الى الامام ٠

وبدأ ينادى ٠٠

ـ المتهم الأول ٠٠ **عبدالرحيم عثمان** ٠

ـ ١٠ سنوات أشغال شاقة ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويهتف الزميل

- عاش كفـاح الشعب المصرى
- المتهم الثانـى ٠٠ (٠٠) ٠
- ١٠ سنوات أشغال شـاقة ٠
- عاشـت الحرية ويسقط الارهـاب ٠

وهكذا ٠٠ كـل زميـل يهتف بعـد سماع الحـكم عليـه حتـى آخـر زميـل وكان حكمه ٥ سـنوات وهو أقـل حـكم ٠ ولـم يصـدر حـكم واحـد بالبراءة ٠ لـم يعترض احـد من الضباط على الهتافات ٠٠ وطوال هذه العمليـة ران صمت رهيب فى كـل انحـاء السـجن ولم يكـن يسـمع بـه سوى هتـاف الزملاء الذين يسمعون الأحكـام ٠ ثـم ارتفعت أصـوات زملاءنا فى الزنازين المغلقـة وهـم يـرددون نشيد ٠٠ بلادى ٠٠ بلادى ٠

كنت انا **ومعى ١٠ زملاء** حـكم عليهم بالأشـغال الشاقة **١٠ سنوات** ٠ وتراوحت أحكـام الزملاء الباقين بين **١٠ سنوات و ٥ سنوات سجن** وكانوا قـد اعـدوا سيارات السجن التـى سـتنقل المحكـوم عليهم بالأشـغال الشاقة الى الليمان ٠ وبدأت اجـراءات تحويـل ١١ زميـلا من مسـاجين تحت التحقيق يلبسـون الملابس العاديـة الى محـكوم عليهم بالأشـغال الشاقة يلبسون **بدلـة زرقاء ٠٠ ممزقـة ٠٠ باليـة** ٠ بها اعـداد كبيـرة من حشرات « **القمل والبـق** » ٠٠ ويـحق فى كل قـدم حلقـة بهـا **سلسلة من الحديد تتصـل بالحلقـة الأخرى ووزنهـا ٤ كيلو جـرام ٠٠ وتعلق فى الوسـط بواسـطة حلقـة أخـرى تعلق فى حـزام جلـدى ٠ ويقضى الحـكم بأن يظـل المحكوم عليـه بالأشـغال الشـاقـة مقيـدا بهذه القيـود لا يخلعها ابـدا ٠٠ سـواء فى نومـه ٠٠ أو فـى يقظتـه ٠٠ أو حتى عند الاستحمام ٠٠**

على بـاب سجن مصر الخارجـى كانت تنتظـر عربتـان ٠٠ انا وخمسـة زملاء ركبنـا احداهـا ٠٠ والخمسة الآخـرون ركبوا الآخـرى ٠

سـارت بنـا العربـة الأولى الى ليمان أبـو زعبـل واتجهت العربـة الثانية الى ليمان طـره ٠

وعندما تحركـت بنـا السيارة ٠٠ لمحت على البعـد اخى مسـعد « رحمه الله » ومعه زوجتـى السابقة يلوحـان لـى من بعيـد ٠٠ كانـا قـد أتيـا الى السجن فقـد كان هذا اليـوم هو موعـد زيارتـى ! وخـلال الرحـلة من **سجن مصر الى ليمان أبو زعبـل** ٠٠ كنـا ننشـد نشيد (بـلادى ٠٠ بلادى) ٠ وننشـد :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اخى ما الحديد اذا اليسونا الحديدا
لقد جهلونا اذا حسبونا عبيدا

فجأة .. قال **وليم اسحق** وهو يبتسم وقد أمسك قيوده بيديه
ـ الا قولى يا درش .. لما الواحد عايز يستحم يخلع هدومه ازاى ؟
وتنبهنا الى مشكلة حقيقية سوف تواجهنا عند الاستحمام .

الحلقتان حول الأقدام ضيقتان جدا بحيث لا يمكن أن يخرج منها القدم .. وحاولنا جميعا خلعها دون جدوى .. كل حلقة محكمة حول القدم .. وتصل الحلقتان **سلسلة حديدية ثقيلة** لا يمكن الافلات منها الا على سد « حداد » .. ومتى ؟ **بعد ١٠ سنوات** ! !
قلت ضاحكا ..

ـ على أى حال يمكن ان نستفيد من خبرة من سبقونا .
قال وليم اسحق ضاحكا :
ـ شوف نستفيدوا اننو بعمى .. شوف .
كان يرفع قدمه اليمنى الى أعلى .. ويمسك بالحلقة التى اخرجها منها بيده ..
قال مجدى ضاحكا :
ـ يا نحلك يا وليم .. عملتها ازاى .. ؟
قال بزهو :

ـ ده عن بأ استاذ .. امال بنلعب .
كان وليم منحنيا الى درجة مخيفة .. ويبدو ان الحداد الذى وضع له الحلقتين فى قدميه لم يجد حلقة أضيق من تلك التى وضعها فى رجله اليمنى .. فقد كانت اليسرى ضيقة جدا فلم يستطع اخراج رجله منها رغم محاولاته .

قال وليم ضاحكا
ـ انت بمبنى يا وليم ..
ـ انا مالى ده الحداد اللى يمينى ..

بعد حوالى ساعة .. كنا أمام **ليمان أبو زعبل** .. على باب الليمان كان يقف **المأمور ومعه ثلاث ضباط** واكثر من **عشرة سجانة** .. من بعيد سمعنا أصوات قيود مئات المساجين العائدين من « الجبل » كان **موكب العبيد يقترب** منا تدريجيا .. وفى الأفق كان شعاع الشمس الأخير يختفى .. والظلام يزحف مع زحف موكب المساجين العائدين بعد نهار كامل من الشغل فى تقطيع أحجار **البازلت** فى الجبل . ويحيط

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بهم عشرات الجنـود وهم يحملون **مدافعهم الرشاشه** ·· وعـدد من الضباط يمتطـون خيولهم ·

وعلى باب الليمان جلس المساجين « **ديز** » **لاجـراء التمام** ·· بعـد دقائق ضرب بروجـى « التمام » والتمام فى لغـه السجـون هو مراجعـه عـدد المسـاجين للتأكـد من مطابقـة العـدد لما فى دفاتـر السـجن ·· وهـى عمليـة تجـرى يوميـا صباحا ومسـاء عنـد خروج المساجين للعمـل وعند عودتهم ·

« اذن سنكون من الغـد أفـرادا فى جيش العبيـد هـذا · وهـل يطـول بنـا العمر عشر سنوات على هذه الحـال ·· وهـل يحتمل هـذا العذاب اليومى » ؟ ·

وأفقت من تأملاتـى على صوت سـجان ينـادى علينـا ان ننبعـه · كـان السـكون مخيما تماما على **الليمـان** ·· العبيـد دخـلوا عنابـرهم ·· عدد من السجانـة والضباط بغـادرون الليمان الى بيوتهم ·· وعلى باب مكتب **المأمور** وقف الضابط النوبتجـى و٣ سجانـه ·· وأمـام المكتب وقفنـا صفـا واحـد ·· ما ان خـرج المأمور من مكتبه حتى سمعنـا صوتا عاليـا يقـول :

ـ اقعـد « ديـز » يا مسـجون أنت وهو

لم ننفـذ ·· وظللنـا واقفين

عاد الصوت أكثر حـدة :

ـ يا مسـجون أنت وهوه أقعـد

ظللنا واقفين ·· وهم احـد السجانـة بعصاتـه كى يضربنـا ·· لكن احد الضباط منعـه ·· وقال :

ـ ليـه ما بتنفذوش الأمـر

قلت بتحـد :

ـ لم نعتـد على هذا ·

ـ لكن انتو دلوقت محكوم عليكو بالأشغال الشاقة

ـ ولـو

ـ يعنى ايـه ولو ؟

ـ يعنى ضرورى نعامل بوصفنا مسجونين سياسيين ·

كان المأمور فى مكتبه يسمع الحوار وفجـأة خرج وهو يصيح بصوت عـال :

ـ انتو هنـا فى الليمان ولازم اللايحـة تتنفذ ·

ـ وهل فى اللايحة اهانة المسجونين ·

ـ بلاش فلسفة ·· حكاية الشيوعية دى مش هنا ·· انتم هنا مساجين·

ـ مساجين بس سياسيين ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

زاد غضبه :

ـ وايه يعنى ٠٠ عايزين امتيازات ؟

ـ لا ٠٠ عاوزين بس **تطبيق اللايحة** ٠

ندخل ضابط كان يراقب الموقف صامتا ٠٠ كانت فى نظراته مودة نحونا ٠٠ همس فى اذن المأمور كلاما لم نتبينه ٠٠ ثم جاء الينا وطلب ان نتبعه ٠ وفى مكتبه دار معه حديث ودود ٠٠ قال :

ـ انا طبعا ماليش دعوة بالسياسة ٠٠ وانا عمرى ما شفت شيوعيين لكن باين عليكو ناس مثقفين ٠٠ لكن طبعا لازم تنفذوا اللايحة ٠٠ فاهمين اللايحة ٠٠

ـ احنا لا نريد غير تنفيذ اللايحة ٠

ـ مضبوط ٠٠ يا الله يا سجان خدهم على **التاديب** ٠٠

قلت محتجا ٠٠

ـ منين لايحة يا حضرة الضابط ٠ ومنين تودونا التاديب ٠٠

قال ضاحكا :

ـ تعجبنى ٠٠ اهو كده ٠٠

ثم تركنا وذهب الى مكتب المأمور ٠

فى السجون زنازين تسمى « **التاديب** » يسجن فيها المسجون الذى يرتكب مخالفة فى السجن ٠ وتأديب المسجون هو ان يسجن « انفراديا » وينام على **الأسفلت** ٠٠ ولا ياكل **الا عيش حاف** وملح الثلاث وجبات ، ولا ولا يخرج من زنزانته أبدا ٠

وطبعا وضعنا فى هذه الزنازين مخالفة واضحة للائحة السجون ٠

جاء الضابط (٠٠) قائلا وعلى وجهه ابتسامة خفيفة :

ـ أصل بقى فيه مشكلة ٠٠ انتو شيوعين والمأمور مش عاوز يخليكو مع المساجين فى العنابر ٠٠

ـ ليه بقى وهو احنا مش مساجين ؟

ضحك الرجل وقال :

ـ خايف عليهم من المبادىء الهدامة بتاعتكو دى !

ـ معنى كده اننا نعيش هنا فى سجن انفرادى ٠٠ يعنى **اشغال شاقة وتاديب** كمان ٠٠

ـ دى مسألة مؤقتة

ووجدنا الأمر يصلح للمساومة ٠٠

ـ طيب كل ثلاثة يقعدوا فى زنزانة ٠٠

مال الضابط :

ـ أنا عرضت المسألة دى على المأمور ٠٠ ووعدنى أنه بعد كام يوم يخليكو تقعدوا مع بعض كل ثلاثة ٠٠

ونظر الينا الضابط نظرة ودودة وكنا قد ارتحنا اليه حيث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لمسنا منه رغبه جادة في مساعدتنا ·· فوافقنا بشرط ان يتعهد هو بتنفيذ ما وعد به ·

وتعهد الرجل بذلك ·

في الطريق الى التأديب ·· قال الضابط (···)

ـ والله « التأديب » ده أحسن من العنابر ·· نضيف ومستعمل ·· زى الفيلا تمام · ·

ثم ضحك وقال .

ـ وعلى فكرة الفيلا اللى أنا ساكن فيها بتطل عليكو ·

قلت ضاحكا :

ـ يعني جيران ·· والجار له على الجار سبع حاجات

قال .

ـ يا سيدى خليهم عشرة الا حكاية النزاور ·

ـ على الأقل من جانبك ·· تزورنا أنت ·

مال الرجل بود :

ـ قوى ·· كل ما أكون هنا راح أمر عليكو ·

فتح السجان ٦ **زنازين** ·· دخلها الضابط الواحدة بعد الأخرى ثم

ـ كل مسجون له بطانية واحدة ·· **وبرش يا افندم** ·

قال السجان :

التفت الينا الضابط ضاحكا :

ـ شايفين واديني بقيت برش ··

ثم وجه كلامه للسجان :

ـ امشى هات لهم كل واحد بطانية زيادة ·

وزنزانة « **التأديب** » يا حبيبتى تختلف عن الزنازين العادية فى السجون والليمانات · جدرانها من **الأسمنت المسلح** · ونافذتها **الوحيدة** فى سقفها العالى جدا ، وبابها من **الحديد** · وليس به سوى ثقب صغير يسمونه فى السجون «**نضارة** » ـ أى التى ينظر السجان منها كلما أراد أن يطمئن على وجود « ودبعته » ! بعد أن يحرك قطعة الحديد التى تغطى الثقب من الخارج وينظر منه بعين واحدة · هذا الثقب الذى لا يزيد قطره عن ٥ سم هو الفاصل الوحيد بين المسجون وسجانه عندما يغلق باب الزنزانة ·

واذا حدث مرة أن أراد سجان التحدث مع مسجون وهو داخل الزنزانة كى يسلى نفسه فهو مسجون مثله داخل اسوار مبنى « التأديب » ، فعليه أن يحرك قطعة الحديد التى تسد الثقب ويمسكها بيده ، ويضع فمه على الثقب ويتكلم بصوت عال (كذا ·· كذا) ·· ثم يسرع بوضع أحدى أذنيه على الثقب ليسمع المسجون (كذا · كذا) ومرة ثانية يضع فمه على الثقب ليرد (كذا · كذا) ثم يضع أذنه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويسمع من المسجون (كذا · كذا) ، ·· وهكذا حتى « يزهق » السجان أو « يتعب » من طول الوقفة ومن وضع فمه على ثقب البابْ تارة ، ثم أحدى اذنيه تارة أخرى ·· مرات يزيد عددها كلما طال الحديث ·

داخل هذه الزنزانة ، **وفى ١٢ يناير ١٩٥٤** ، وفى عز البرد ، أمضيت الليلة الأولى · انتقلت فجأة من مسجون تحت التحقيق ، يرتدى الملابس الملكية ويأكل الأكل « الملكى » من عند « المتعهد » أو من الأهالى الى محكوم عليه بالأشغال الشاقة ، يلبس ملابس السجن البالية ·· ويأكل ؟ ··· يفتح باب الزنزانة ·· وأجد « **قرواتة** » **بها شىء لم أتبينه** · لم أكن قد جعت بعد فلم أفكر فى معرفة « هذا الشىء » ! لكن « القرواتة » كانت « سخنة » ويخرج منها « بخار » · وجلست الى جانبها ·· ربما نبعث بعض الدفء فى يدى المرتعشتين ! لسعات أسفلت أرض الزنزانه بخنرق « البرش » الذى أجلس عليه ، فأهب واقفا ، وتحتك **السلاسل الحديدية** بقدمى العاريتين ·· أمسكها بيدى ·· أزيحها عن قدمى ·· فتمتص الحرارة التى أخذتهما من بخار « القرواته » · دمائق وتتحول « القرواتة » هى الأخرى الى كتلة من **الثلج** · أفرش بطانيه مهترئة ، ممزقة ، على البرش ، وأجلس ولكن « آنى » لبرس منسوج من الليف وعليه هذه البطانية أن يحمى جسمى الذى أحاول تمديده من البرد القارص ·· أنمخ فى يدى ·· ونبعث أنفاسى فيهما الدفء ·· لكن جسمى كله يكاد يتجمد ·· كتفاى ·· وظهرى ·· وصدرى · · وقدماى · من أين يأتيهم الدف · جسم شبه عار ·· فيدوه بسلاسل حديدية ·· ويحاصره جدران الزنزانة الاسمنتية « وأرضها الاسفلتيه » ، والهواء البارد يصب على رأسى لسعاته الثلجية من نافذة الزنزانة العلوية هكذا ·· طول الليل ·· محاولات يائسة للبحث عن أقل دفء ·· أقف تارة ·· وأجلس تارة أخرى ·· وأمدد جسمى المنهك مره بالله ·· والبرد لا يرحم ·· وأصوات الحراس تطن فى اذنى بدل لحطه وأخرى .

- تا ·· ما ·· م
- تا ·· ما ·· م
- تا ·· ما ·· م

أى « **تمام** » · يتبادل الحراس الذى يقفون على سور الليمان الخارجى النداء بها طوال الليل · منذ غروب الشمس حتى شروقها فى صباح اليوم التالى .

لا أذكر كم دقيقة نمت ، ولا كيف نمت ! وهل كان **نوما ، أم كان سقوطا فى غيبوبة** ؟ كل ما أذكره أننى تنبهت على صوت « زقزقة » **العصافير التى خرجت من اعشاشها على الشجر المحيط بمبنى « التاديب »** تستقبل مولد يوم جديد · شدتنى أصواتها الجميلة وأدخلت فى نفسى هدوءا سرعان ما بدده صوت البروجى يعلن ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ تمـا ٠٠ مـا ٠٠ م ، تـا ٠٠ مـا ٠٠ م ٠

أى طلع الصباح يا مدبـر الليمان وكله « نمـام » ولـم يهـرب أى أحـد من المسجونين ! ٠ السـجان بضـع مفتاحـه فى بـاب الزنزانـة وأهب واقفـا وفى يـدى **جـردل** البول لأذهب بـه الى دورة الميـاه ، ولأمضـى « **حاجة** » « **حبستها** » طول الليـل وسببت لـى آلامـا حـادة ٠ عنـد عودتـى من دورة الميـاه ٠ وجدت على البرش ملابس سـجن أحرى ولكـن « أحسن شويـة » من هذه التى ارتديتهـا فى سـجن مصر ٠

سألت السـجان :

ـ **ألبسها ازاى ؟**

ـ أنت باين عليك « **كركـى** »

و « **كركى** » معناهـا فى لغـة السـجون هو عـدم المعرفـة بعالـم السـجون والليمانات !

ـ أيـوه « كركـى » خـالص ٠

ويبدأ الرجل فى تعليمى كيف أخلع ملابسى !! وكيف البسها !!

ورغم أن هذا السـجان وغيره كثيرون شرحـوا لى عمليـة خلـع الملابس ولبسـها فاننى لا أذكـر اننى استطعت يوما أن أقـوم بهذه العمليـة المعقـدة دون مسـاعدة السجان قبل كـل استحمام وبعده ٠

أشرح لك يا حبيبتى هذه العمليـة وأعـرف أنـك لن تفهمى منها شيئا !

لا صعوبـة فى نزع السيـور من على « وسـط الجسـم » ٠ وانما الصعوبة فى خلع الملابس ٠ ولابـد لخلع الملابس من براعة كبيرة وحـذق ٠ ان على السـجين بعد نزع فـردة السروال اليسرى أن يمررهـا بين « الحجـلة » ـ أى الحلقـة ـ والسـاق ، وأن يعيد امرارهـا فـى الاتجاه المعاكس تحـت « الحجلة » ، فبذلك تتحرر فردة السروال اليسرى تحررا تاما ٠ ويكـون على السـجين بعدئذ أن يمرر فـردة السروال اليسرى تحت « حجلة » السـاق اليمنى ، وأن يعيد امرارهـا ثانية الى الوراء مع فـردة السروال اليمنى ٠

وهذه العملية المعقدة تتم أيضـا عند لبس الملابس !

وبعد أن القـى على السجان هذه المحاضرة ٠٠ اغلق باب الزنزانـة ، وذهب الى كل زميل ٠٠ يفتح عليه ويلقى عليـه المحاضرة نفسها ثم يغلق الزنزانـة ويذهب الى زميـل ثـان ٠٠ وهكـذا ٠٠ ألقى المسـكين المحاضرة نفسها ست مرات٠٠ فقد كانت أوامر مدير الليمان أن لانجتمع نحن « الستة » أبـدا خوفـا علـى « **أمن واستقرار** » الليمان ٠ وظللنـا هـكذا **١٢ يوما** ٠٠ وفى اليوم الثالث عشر قررنا أن نتخـذ موقفا ٠ **الاضراب عـن الطعام** ٠٠ والمطالب هـى ٠٠ نقلنـا الى **ليمان طـره** فنحن « **سـابقة** »أولى ومكاننـا هناك وليس فى ابى زعبل الذى يضم « **السوابق** » !

أحكى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

٢٧ مارس ١٩٧٧

بغـداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (١١)

حبيبتـــى

فى اليـوم الثالث عشر لوجودنا فى ليمان أبى زعبل لـم أكن أنـا فقط الذى استيقظت مبكرا على صوت « بروجـى » الصباح الذى اختلط بأصـوات زقزقة العصـافير الواقفـة على أغصـان الأشـجار المحيطـة بغـــرف الزنازين ٠

ـ صباح الخير يا درش

ـ صباح الخير يا وليـم

ـ صباح الخير يا مجدى

ـ صباح الخير يا عبد الرحيـم

وكأننا ارتكبنـا جريمة لا تغتفـر ٠٠ جـاء السـجان مذعـورا يقـرع الزنازين بكـل قوتـه ويصيح ٠٠

ـ اسكت يا مسجون انت وهو ٠٠

ـ صباح الخير يا مجدى

ـ صباح الخير يا وليـم

ويصيح السـجان ٠٠

ـ يا مسـجون اسكت ٠٠ المأمور يسـمعكم

ـ وفيها أيـه لـا المأمور يسـمع ؟

ـ يا نهـار أسـود ٠٠ فيها أيـه ٠٠ فيها مصيبة ٠٠ فيهـا خصـم ١٥ يوما

ـ ليـه كـده ؟

ويهمس السـجان

ـ ده نـده علي من الصبح وقال لـى خد بالك من الجماعـة الشيوعيين دول ٠٠ واوعـى حـد يتكلم مع زميلـه والا راح اوديك فى داهيـة ٠٠

ـ طيب افتح علشـان نروح دورة الميـاه

ـ المأمور قال لـى ما تفتحش عليهم الا بوجود واحد من الضباط

ـ طيب روح انـده واحد من الضباط

ـ أهو حضرة الضابط جـه

وسمعنا السـجان يشكونا للضابط (٠٠٠) ٠٠ وتفتـح زنزانتـى وأقـول للضابط ٠

ـ صباح الخير يا حضرة الضابط

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يمسكنى السجان من كتفى وينهرنى قائلا :

ـ فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟

ويبتسم الضابط ويقول :

ـ صحيح ·· فيه مسجون يقول لحضرة الضابط صباح الخير ؟

وارد على ابتسامته بابتسامة خفيفة

ـ آه والله ما كنتش عارف ان ده مخالف **للائحة** ! !

ـ أيوه كده ·· خد بالك من اللائحة

كان يلمح لنا بان لا نتهاون فى تطبيق اللائحة ·· ورغم ان الضابط كان يحاول جاهدا أن يبدو فى مظهر « ناشف » أمامنا الا ان السجان كان فاغرا فاه من الدهشة ·· كيف يتحدث **مسجون مع ضابط بمثل هذه البساطة ؟**

قلت للضابط :

ـ ممكن أصبح على زملائى

ـ طيب ما أنت صبحت

ـ يعنى نفف مع بعض شوية ··

ـ ما فيش مانع ·· بس اجيب اذن من المأمور

ثم يقول متصنعا الحده

ـ يا سجان افتح الزنازين كلها · · وهات المساجين عندى هنا · ·

فتحت الزنازين السنة ·· وخرجنا جميعا نسلم على بعضنا البعض بود ومحبة وكاننا افترقنا لسنوات ··

الضابط يتظاهر بالانشغال فى أمور أخرى ·· والسجان يُرتفع صوته عاليا

ـ **ما حدش يكلم حد يا مسجون أنت وهوه ··**

ويتظاهر الضابط بأنه قد تنبه فجأة الى **جريمة** حديثنا مع بعض. فيقول بحدة تبدو مفتعلة · ·

ـ أيه ده يا مسجون أنت وهوه ·· تعالوا هنا ··

ونتجمع حوله ·· لكن المنظر لا يعجب السجان ويصيح

ـ أقعد يا مسجون أنت وهوه ·

ويقول الضابط

ـ سيبهم يا سجان ·· سيبهم واقفين

ويستطرد فى سخرية

ـ دول ما يستاهلوش الرحمة ··

كان يشير الى ما حدث بالأمس مساء عندما رفضنا أن نجلس « ديز » امام المأمور ·

قال الضابط برنة افهمتنا ان علينا أن لا نقبل أوامر المأمور التى يقولها ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ أوامر حضرة المأمور هى ·· **الحبس الانفرادى** ، منوع حد يتكلم م زميله **زنزانة واحدة** بس اللى بتتفتح مرة الصبح ومره بعد الظهر ولمدة **خمس دقائق بس** ··

ـ اذا ضبط أى شىء ممنوع مفيش عبر الجلد ·· سامعين ؟

ـ دى أوامر ممكن التفاهم فيها ؟

ـ دى أوامر المأمور ·

ـ طيب بقى نتفاهم مع المأمور

ـ المأمور منى عاوز يقابل حد

ـ طيب يبقى فيه طريقة تانية للتفاهم

ـ أيه الطريقه التانية دى ؟

ـ **أضراب عن الطعام**

ويبدو على وجه الضابط الارتياح ··

ـ يعنى مصممين على الأضراب ؟

وبابتسامة خفيفة أقول

ـ مصممين جدا

ـ طيب ·· يا سجان أقفل عليهم ·· أنا رايح **للمأمور** ·

ويستمر أضرابنا عن الطعام **ثلاثة أيام** ·· وكان هذا هو **الأضراب الأول فى ليمان أبو زعبل** والذى لم يشهد مثله طول تاريخه وخلال تلك الأيام الثلاثة كان الضابط يأتى الينا ،

ـ لسه مصممين على الاضراب ؟

وكنا نفهم من لهجته أن نظل مضربين

وفى **رابع يوم** جاء الضابط يبلغنا أن **النيابة وصلت** للتحقيق ·· وفى الطريق لمقابلة وكيل النيابة همس الضابط ·

ـ تمسكوا بتنفيذ اللائحة ·

طلب وكيل النيابة لائحة السجون فوجد أن ما يجرى معنا مخالف لما جاء بها فسأل المأمور عن السبب ·

وكانت أجابته

ـ **الأوامر اللى عندى** ·· أعمل ايه ؟

قال وكيل النيابة بغضب

ـ أوامر مين ·· أنت عندك اللايحة تنفذها ·

وأمر وكيل النيابة بمنع الحبس الانفرادى · وأقر حقنا فى **الطابور الصباحى وطابور بعد الظهر** ·

قلنا لوكيل النيابة

ـ باقى حاجتين ·· ان نخرج الى العمل **فى الجبل** ·· وان ننقل الى **ليمان طرة** ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ دى بقى حاجات مش فى اللائحة وبرجع فيها الى المصلحة . ووعدنا برفع مذكرة الى مصلحة السجون ٠

كانت رغبتنا فى العمل فى الجبل هو الخروج للشمس والهواء ولو حتى فى موكب « العيد » فلم يعد نطيق الحلوس فى زنزانه مقفلة نخرج منها للفسحة فى داخل مساحة صيقة جدا ٠ وكان مطلبنا للنمل الى ليمان طرة يستند الى أن **السابقة الأولى فى حكم الأشغال الشاقة** مكانه ليمان طرة حيث العمل فى الحبل هو تكسير **الحجر الجيرى** أما ليمان أبو زعبل فهو مخصص لأصحاب السوابق لأن العمل هناك هو تكسير **الحجر البازلت** ٠

ولم يسمح لنا بالخروج الى الجبل **الا بعد شهر ٠٠ وكان يوما مثيرا** ـ أقص عليك أحداثه يا حبيبتى فى الرسالة المقبلة ٠

٢٩ مارس ١٩٧٧

بغداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (١٢)

حبيبتـــى

شهر كامـل منذ جئنـا الى **ليمان أبو زعبـل** ونحن لا نعـرف شـــيئا عمـا يجرى فى خارج الأســـوار ٠الصحف ممنوعة تماما ، وليست لنـا أى صلة بالمسـاجين ٠ السجان هو صلتنـا الوحيدة بالعالم الخارجـى ٠ وعبثـــا راحت كل محاولاتنـا مع سـجان الصباح أو سـجان المسـاء الذين لـــم يتغيرا أبـــدا فكلاهما صامت لا يتكلم خوفـــا من المأمور الذى نبـــه عليهما مشددا بعدم الحديث معنا على الاطلاق ٠ وطـوال شـهر كامـل لـم ندخن خلاله نفسـا من سيجارة ٠ كان عزاؤنـا أن **لوليـم اسحق** قـدرة هائـلة على الحديث ٠٠ فكنا نقضى ليالـى بكاملهـا نستمع اليـه ٠٠ حتـى أن زملاء الزنزانـة الأخـرى أحتجوا على وعلى **مجدى فهمى** لاننـا نستأثـر بوليم فاتفقنـا أن يبيت وليم كـل ليلة فى زنزانـة ٠

وفى ذات يوم مرض سجان الليل وجـاء أخـر بـدلا منـه كـان أسـمه **عم على** ٠٠ يبلغ من العمر أكثر من ٦٠ **عاما** ٠٠ أطلق عليه وليـم أسـم عـم « كاكـا » ٠

ـ لماذا كاكا يا وليـم ؟

ـ هو كـده مفيش أسم ينفعة الا كاكـا ٠٠

فى المسـاء طلبنـا منه سيجارة ٠٠ لم يتردد الرجل ٠٠ أشـعل سـيجارة وتناولناهـا من ثقب الزنزانـة ٠٠ وعندما وصلت السيجارة الى نصفها بعد أن تبادلناهـا نحن الثلاثة ٠٠ جـاء صوت من الزنزانـة الأخرى ٠

ـ عاوزين **نفس** يا عـالم

وجرى عـم كاكا ليعطيهم سيجارة أخـرى ٠

وجرى حديث طريف ، وبعـد أن أطمأن لنـا الرجل سأله وليـم ٠

ـ أيـه الأخبار يا عم على ؟

ـ الحمد الله ٠٠ كله كويس

ـ ما تعرفش حاجة عن أخبار **الحكومة**

ـ ما لها الحكومة كويسـة ٠٠ **النحاس باشا راجل عال العال**

ـ النحاس باشا ٠٠ النحاس باشا ما له ٠٠ جرى لـه حاجة ؟

ـ حاجة أيـه ده **رئيس الحكومة**

ـ **النحاس باشا رئيس الحكومة يا عم على** ٠٠ ؟

ـ **أيـوه طبعا أمـال مين ٠٠ ؟**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وابتعد الرجل بعيدا ·· وراحت كل محاولاتنا عبثا من حتى أن يعود إلينا لنفهم شيئا ·· ولكن يبدو أن الرجل شعر بأنه تحدث معنا أكثر من اللازم فرفض بعناد أن يعاود الحديث مرة أخرى ··

ورحنا طول الليل نحلل **الموقف السياسي** · معقول جدا أن يعود **الوفد** الى الحكم ·

ليس من المعقول أن عم على مهما كان ابتعاده عن السياسة لا يدرى ان **النحاس باشا** بعيد عن الحكم منذ وقت طويل فهل عاد حقا ؟ ومن المؤكد أن عم على يعرف أن هناك سلطة جديدة وحكومة جديدة منذ أكثر من عام · لا بد أن شيئا جديدا قد حدث ·· **معقول جدا أن يعود الوفد للحكم** · ربما رضخت سلطه ٢٣ يوليو لضغط الشعب **وتولى النحاس رئاسة الحكومة** · ومكثنا طوال الليل نحلل الموقف السياسى **بعد أن** تولى الوفد الحكم وكأنه أصبح حقيقة · وبالطبع خرجنا بنتيجة منطقية هى أن **الوفد** سيعتمد فى حكمه **على اطلاق الحريات السياسية والديمقراطية** وبدا أمل الافراج عنا فى الامن ثم رحنا فى نوم عميق نحلم **بالافراج عنا ·· بالحرية** ·

وفى الصباح الباكر سمعنا صوتا عاليا يطلب أن نستعد للخروج ·

صاح وليم اسحق فى سعادة بالغة ·

— مش قلت لكم ·· أفراج ·· **يحيا الوفد**

ويقول مجدى فهمى

— أصبر يا وليم لما نشوف أية الحكاية ·· أنت دايما متفائل

ويرد وليم

— أنا صحيح فنان ومش سياسى زيكوا ·· ولكن عندى احساس فتحت الزنزانتان وخرجنا منهما ·· ليس من أجل الافراج ·· ولكن للعمل فى **الجبل** ·

علق وليم ضاحكا · ·

— أهوه برضه خروج ·· نشم الهواء ونقعد فى الشمس

ضحكنا من الاعماق ·· لم نفقد الأمل أن يكون **النحاس باشا** قد تولى الحكم بالفعل ·· وضرورى من كام يوم وسوف يفرج عنا · ولكن أحدا لم يصرح بما فى نفسه لزميله ·

كان خروجنا الى العمل فى الجبل أمرا مثيرا لكل المساجين الذين سمعوا عنا ولم يرونا أبدا · كنا محور حديثهم طوال الشهر الذى أنقضى · وكثرت الأحاديث حولنا بين المساجين والسجانة · لاحظنا هذا عندما وضعونا فى **مؤخرة طابور** المساجين · رأينا الجميع ينظر خلف ظهره ليرى هؤلاء الشيوعيين الذين تفرض عليهم هذه **الحراسة المشددة**، أطلقوا علينا أسم « **الفرقة المخصوصة** » وكان يحرسنا **حارسان وصول وضابط اى أن أربعة يحرسون ستة** ، وهذه حراسة خاصة · الى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حاب الحراسه العامه المكونـه من عشرات الجنود والضباط ٠

سرنـا فى نهايـة طابـور العبيـد فى طريقنـا الى **الجبـل** ٠٠ ومن حسن حظنـا أن ضابط العمل كان فى ذلك اليوم صديقنـا **الضابط** (٠٠٠) ٠ أقترب منـا ودون أن يلتفت الينا وهو يركب حصانه قال :

ـ أزى الحـال ٠

ـ الحمد لله ٠٠ **أيه حكاية النحاس باشـا ؟**

لـم يستطع الرجل أن يمسـك نفسه من الضحك ٠

ـ **نحاس باشا مين ٠٠ انت بتحلم ٠٠ ؟**

ربددت كل احلامنـا ٠٠ كل التخيلات السياسية راحـت هبـاء ٠٠ جراك الله يا عم كاكا ٠

ووصلنـا الى مكان العمل ٠٠ الى الجبل ٠٠ حفرة **هائلة** يبلغ **اتساعهـا أكثر من عشرة كيلو مترات** ٠٠ يحيط بها **جبل** كبير من حجـر البازلت والعمل هناك مقسـم ، هذه مجموعـة من المسـاجين تضـع الديناميت فى فتحات الجبل ثم تفجرها ٠ وهذه مجموعه ثانية تفكك **الأحجـار الكبيـرة** بعـد أن تفجر الديناميت ٠ وهذه مجموعة ثالثه تحمل أحجـار البازلت الضخمـة الى مجموعات منهمة من المساجين ليقوموا بتكسيرهـا بالشاكوش الـى قطـع صغيرة ٠ وبعيداً عن كل المساجين أجلسـونا فى ركن بعيـد ٠٠ يحرسنا السجانان والصـول والضابط أكثر من نصف سـاعة لـم نتكلم ٠٠ ننظر الى ما حولنـا منـدوهين ٠٠ كلما حـاول مسـجون الاقتراب منـا نهـره الحراس بشـده فيبتعد خائفـا ٠٠ ثـم جـاء الضابط وقال :

ـ دلوقت بقـى ٠٠ كل واحد يكسر **٧ قلقـان** من الحجر ده ٠

ـ حجر أيـه الى نكسره ده ٠٠ ؟

ـ حجر البازلت ده ٠

ـ ما عندناش خبـرة بالمسئلة دى ٠

ـ كلها يوم وتعرفوا

فلقـاباصرار ٠

ـ لا نوم ولا بوعين ـ احنا مكانسا مس عنـا ٠٠ عاوزين نـروح ليمـان **طـره** ٠

وظهرت ابتسـامة على وجـه الضابط

ـ لازم نعملوا **الطريحة** لغايـة ما تروحوا ليمان طـرة ٠

ـ لا طريحة ولا غبره مضربين عن الطعام

وارتاحت أسارير الرجـل ٠٠ وقال بلهجته التى اعتدناها والتـى تعنى التشـجيـع ٠٠

ـ يعنى **مضربين على الاضراب** ٠

ـ أيـوه مضربين ٠

بعد أن اتخذنا قـرار الاضراب عن الطعـام ٠ ٠ كان أمامنـا مشـكلة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ارسال خطاب الى زملائنا فى الخارج ٠ كيف ؟ ممكن عن طريق واحد من المسجونين العاديين ٠ ولكن كيف نتصل بهم ؟ نحن محاصرون من كل جانب ٠ نجلس بعيدا عن كل المسجونين ولا يستطيع أحدا منهم أن يقترب منا ٠ والسجان يلازمنا لا يتركنا لحظه ٠ والصول ياسى انه بس الحين والحين « ينمم » علينا ٠ قلت **لوليم اسحق** :

ـ تصرف يا وليم

يمسك وليم بيد الزميل **عبد الرحيم عثمان** ويفرأ له الكف ٠ وكلما يقول وليم شيئا يرد عليه عبدالرحيم ٠٠ مضبوط ٠٠ تمام ٠ والسجان فاغر فاه من الدهشة ٠٠ فجأة يقول لوليم ٠٠

ـ ممكن نشوف كفى ؟

ـ قوى ٠٠ قوى ٠٠

ويستمر وليم فى متابعة السجان وقتا يتمكن خلاله **مجدى فهمى** من لمح مسجون من حى «بولاق» ويتعرف عليه ٠٠

ـ أنت مجدى فهمى أخو مصطفى مهمى ؟

ـ أيوه ٠٠

ـ أنت شبهه تمام ٠٠

ـ عاوزين خدمة صغيرة ٠٠

ـ رفيقتى ٠

ويذهب المسجون (٠٠٠) ويحمل حجرا كبيرا ويأتى به الينا ويضعه أمامنا ٠

ما أن يراه السجان حتى يصيح ٠٠

ـ ايه اللى جابك هنا يا مسجون ؟

ـ حضرة الصول مال لى أعلمهم ازاى يكسروا الحجارة ٠

ويقول وليم للسجان ٠

ـ خليك معايا أنت ٠٠ ما تبوظش الشغل ٠

ونواصل قراءة **كف السجان** ٠ بينما ينفق مجدى مع صديقه المسجون (٠٠٠) على توصيل خطاب كتبه على ورقة صغيره كانت ملفوفه فى بطن الجبل « **وبعقب** » ملم رصاص كان المسجون يخبئه فى ملابسه ٠ يعطيه مجدى للمسجون (٠٠٠) ويسأله ٠

ـ امتى يوصل الخطاب ده لأخى مصطفى ؟

ـ النهارده راح يكون عنده !

فى اليوم التالى لم نخرج الى العمل ولمدة أربعة أيام وصلت خلالها الى **ادارة الليمان ومصلحة السجون** برقيات من أهالينا تطالب بتحقيق مطالبنا ونقلنا الى **ليمان طره** ٠ وفى اليوم التالى (الخامس) وصلت النيابة للتحقيق ٠ كان مطلبنا محددا هو النقل الى ليمان طرة فنحن سابقة أولى ٠ وأن نخرج الى الجبل حتى يتقرر نقلنا الى ليمان طرة

من قبل مصلحة السجون ، وحين أعترض المأمور على خروجنا الى الجبل سأله وكيل النيابة عن السبب ·· فقال بغضب ··

– يا بيه دول فى أقل من ٤ ساعات أتصلوا بأهاليهم وجت التلغرافات ترف ·

يقول وكيل النيابة :

– شدد الحراسة عليهم ·

ويرد المأمور

– أكثر من ٢ سجانة وصول ؟

ورفض المأمور بأصرار أن نخرج الى الجبل ولما هددنا بالاضراب عن الطعام سمح لنا بالخروج وكنا نعتبر الخروج كل يوم بمثابة نزهة وخلال هذا الشهر استطعنا أن نحصل على بعض الصحف وأن نرسل خطابات الى الخارج ·

بعدها نقلنا الى ليمان طرة · ولكن فى منتصف ذلك الشهر جاءت عائلاتنا لزيارتنا · فالمحكوم عليه بالأشغال الشاقة يستحق الزيارة بعد ٤٥ يوم · · وجاء أخى مسعد وزوجتى السابقة لزيارتى ·· وهى زيارة تستحق أن أكتب عنها رسالتى المقبلة يا حبيبتى ·

أول ابريل ١٩٧٧

بغداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (١٣)

حبيبتـــى

مضى علينـا شهر ونصف لـم نحلق ذقوننـا كان كـل مـا بنصـــور بشاعة مظهره حين ينظر الى زميله • الأمواس ممنوعـه فى الســـجن • غير ان ذقـون كل المساجين ناعمة تماما •• فالجمـع عندهم أمواس ويحلمـون ذقونهم •• ولم يكن بوسعنـا أن نحصل على أمواس حتى يـوم موعدنـا **بزيـارة أهالينـا** •

نادوا علينـا للزيارة وسط حراسة مشـددة • **والزيارة** فى السـجون تتـم من خلال **حاجزين** من الاسـلاك يبعدان عن بعضهما حوالـى **متر ونصـف** • يقف المســجون خلف الحاجـز السلكـى داخـل السـجن ويقف الزائـــر خلف الحاجز الآخـر القريب من باب السجن • وبين الحاجزين يقف السجانـة حتى لا يتكلم المساجين مع أهاليهم كلاما خارجا **عـن القـانون** •• أو يقوموا بتهريب ممنوعات •

كان فى زيارتـى أخـى مسعد « رحمه الله » وزوجتـى السابقة •

كما ان علاقـة الـدم وحدهـا ليست كافيـة لقيـام علاقـة انســانية حقيقيـة كذلك فان علاقـة الزواج وحدهـــا ليست كافيـة لبنـاء علاقـــة حب حقيقيـة • والبـوم بعـد أكثر من ٢٢ عاما وأنـا أحـــاول أن أستعيـد ماذا كانت علـه مساعرى وأحاسيسى حيال أخونى عامـة ومسعد خاصـة ، كـذا مسـاعرى وأحاسيســى حيال زوجتـــى السابقة أجد أن علاقتـى بأخـى مسعد كانت علاقـة انتماء بكـل ما تحمل هذه الكلمـــة من معنـى ، بينما كانت علاقتـى بأخوتـى الآخرين مجرد علاقـة دم • أما علاقتـــى بزوجتـى السابقة فلم تكن أكثر من علاقـة عطف من جانبـى ، وحب مريض من جانبها •

وأعـود بذاكرتـى الى ظروف تعرفـى عليهـا •

ذات يوم من أيـام **صيف ١٩٥٠** دعانـى زميل فى العمل الى رحـــلة نيلية فى القناطـر الخيريـة ، وقبلت الدعـوة كنـوع من التغيير فى حياتـى اليومية التى لا تتغير • العمل صباحـا ثـم الاجتماعات التنظيمية حتـــى ساعة متأخـرة من الليـل ثـم أعـــود الى حجرتـى الجرداء من كل شـيء سـوى سرير صغير وبعض الكتب الملقـاة على أرض الحجرة •• وحيـــدا لا أجد من اتبادل معـه كلمة •

على سطح السفينة المتجهـة الى القناطر الخيريـة صدحت الموسيقـى الراقصـة وراح الجميـع يغنـون وأنا جـالس بعيـدا تتضارب الأفـــكار فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رأسى · هـل يتفق هذا مع القيـم الثورية ؟ مـرة أقـول لا ومرة أخرى ·· ماذا فى هذا ؟ وهل يرمص الثورى ؟ ولماذا لا والوقت الذى يروح فى الرقص والغناء هل هـو وقت ضـائع ؟ الثورى لا يحب أن يضيـع وقتـه ؟ كل الوقـت يجب أن يكـون للثورة ·ولكن أليس من حق الثورى أن يستمتع أحيانـا بمثـل هذه الحيـاة ؟

بقيت هكذا منـره ·· لا أجـد اجابـة واضحـة علـى مـا يدور فى رأسى ·· حتى وجدت نفسى محاطـا بزميلـى فى العمـل وصديقتـه ومعمـى صديقتهـا ·

ـ لماذا لا ترقص ؟

ـ لا أعـرف ·

قال زميلـى ضاحـكا :

ـ الرقص لا يتعارض مع السياسة ·

ويسـتطرد :

ـ يا اخى أن لبدنك عليك حقـا ·

وقالت منى برقـة :

ـ أعلمك الرقص ·· هناك فى مؤخرة السفينة

وبشـكل تلقائـى وجدت نفسـى أرقص معها ·

وبعد قليل صـاحت :

ـ أنت هابل ·· تعال بقى نروح « البست »

ومرة أخرى أجـد نفسى بين أحضانها نرقص مع الراقصين ·

رقصت معها طول وقت رحلة السفينة الى القناطر الخيرية ·

كانت هذه أول مـرة أذهب فيها الى هنـاك · وبشـكل تلقائـى وجدت نفسى أسير معها ونجلس على الحشائش وما كدنـا نبـدأ حديث التعارف حتى سمعت من يصيح علينـا ··

ـ ماما ·· ماما ·· عاوزين نركب فلوكـة ·

كانت طفلة عمرهـا سبع سنوات وطفـل لا يزيد عن ٩ سنوات · قالت وضحكـة حزينـة تمـلأ وجهها ·

ـ تيتى ·· ولوسى ·· أولادى ·

يبدو أن تعبيرات وجهى ·· كشفت ما فى أعماقى وقتئذ ·· ما الذى كان فى داخلـى · كان عمرى وقتئذ ٢٥ عاما ولـم تنشـا بينى وبين امرأة أى علاقـة عاطفيـة أو حسية · فما الذى كان يدور فى رأسى ؟ » ·

قالت والدموع تجرى من عينيهـا :

ـ ولكنـى الآن مطلقـة ··

قـلت :

ـ وهل عندكم طـلاق ؟

قـالت :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ اعلنت اسلامى حتى احصل على الطلاق ٠

وبدأت تحكى مصتها والدموع لا تجف من عينيها ٠

كان أبوها الايطالى الجنسية مهندسا معماريا ويشغل وظيفة كبيرة فى وزارة الأشغال ٠ ولدت فى روما وحضرت وهى طفلة مع والدها واخوها الذى يكبرها وأختها الأصغر منها ٠ بعد سنوات أصبح أخوها ملبونيرا من أعمال المقاولات وتزوجت اختها من امريكى وسافرت معه ٠ ولما توفى ابوها وتزوج أخوها وترك المنزل بعد أن تركته اختها ، وجدت نفسها وحيدة فقد توفيت والدتها منذ زمن ٠ كان عمرها يوم مات أبوها ١٨ عاما ٠٠ لا تعرف من العربيه الا كلمات قليلة وتعيش فى شقة كبيرة وحيدة الا من مربية عجوز ترعاها ٠ وكانت عائلة لبنانية تسكن فى الشقة المجاورة لها ٠ وفى احدى الحفلات التى كانت تقيمها هذه العائلة تعرف عليها شاب لبنانى وتزوجته حتى لا تعيش وحيدة٠

وفى بيت الزوجية وجدت ما لا تعرفه مع نمط الاحلاقية ٠ حفلات يقيمها الزوج ويدعو اليها سحصبات بارزه فى الدولة وبعض رجال الأعمال لعقد صفقات ٠ وكثيرا ما كان يخرج ويتركها مع بعض ضيوفه !

اشتكت اليه مرارا من تصرفات اصدقائه ٠ فى البداية كان لا يعلق على شكواها ٠ ثم انتهى به الأمر ان كان يطلب منها مقابلة بعض أصدقائه اثناء غيابه عن المنزل كى يستطيع ان يعقد معهم صفقات تجارية ٠٠ ورفضت باصرار وضربها أكثر من مرة ٠ وذات يوم هربت من المنزل هائمة على وجهها الى ان استقر بها المقام مع عائلة مفبرة فى حى القلعة ٠ ومكثت هناك ٧ سنوات تحيك الملابس لأهل الحى كى تعيش ٠ وحين أعلنت رغبتها فى الاسلام وجدت من يساعدها من أهل الحى ٠ وباعلان اسلامها حصلت على الطلاق وعادت الى أولادها الذين كانوا فى منزل جدتهم حيث لم تستطع البقاء أكثر من شهر ٠ فأجرت شقة مستقلة ورفض زوجها السابق ان تأخذ أولادها وعاشت معذبة سنوات أخرى حتى سمح لاولادها ان يعيشوا معها كل يوم احد ٠٠ يوم عطلتها حيث كانت تعمل فى احد المحلات التجارية ٠

قالت لها.

ـ أولادك ينتظرونك كى تركبى معهم المركب ٠

قالت :

ـ نركب كلنا معا ٠

وتلقائيا وجدت نفسى مع الأم وولديها والمركب تغتف بنا فى عرض النيل ٠ ووجدت الأولاد يتعلقون فى رقبتى اقبلهم ويقبلوننى ٠

وخلال رحلة العودة الى القاهرة والتى بدأت مع مغيب الشمس ، ظللت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أرقص معها طول الوقت ·· ضممتها الى صـــدرى ·· وضمتنـــى وغبنـــا أكثر من مرة فى أكثر من قبلة ·

ومن مرسى الباخـرة فى روض الفـرج ركبنـا الترام حتـى بـــاب الحديد ، ومن هناك ركبنـــا المترو الى مصر الجديدة وكانت ابنتهـــا تمسك بيـدى فتـرة ·· ثـم يحتـج الابن ويطلب حفـــه فى ان يمســـك يدى ·· حتى أوصلتهم الى بيتهم فى مصر الجديدة ·

وجدت نفسى أفكـر فى هذا الذى حدث اليـوم عندما انفـردت بنفسى فى حجرتـى على السطوح فى حدائق القبـة · لـم أصـل الى شىء محـدد سـوى اننى فى حاجة الى امرأة ··ولكن ليست أى امـرأة ·· ربما كنت فى حاجـة الـى امرأة من أجـل علاقـة حسـية ·· لكـن تجربتـى كشـــاب اكدت لـى ان ما اطلبـه ليس مجرد علاقـة حسـية ·· انما اطلب شيئا آخر ·· اطلب الحب · ولكن ما هو الحب ؟ حقيقـة لـم اكن أعـرف ·· ولم أعرفـه بعد ذلك الا أخيـرا وبعـــد أكثر من ٢٢ عاما ·

فى مسـاء اليوم التالـى كنت انتظرهـا على باب المحل التجارى الذى تعمل بـه · فوجئت بـى فلم نكن على موعـــد سـابق · عرضت عليهـــا ان نذهب الى سينما صيفـى فوافقت · وبعـــد السينما ركبت معهـا المتـرو حتى بيتها · وعندما عـدت الى منزلـى سألت نفسى مرة أخـــرى ·· ما الذى اريـده بالتحديد ؟ يبدو اننى فى حاجـــة الى علاقـة انسانية ·· فى حاجة الى حنـان حرمت منه بعـد وفـاة أمى التى كانت تحبنـى حبـــا يفـــوق كل حبهـا لاخوتـى · وتذكرت يوم ماتت أمى ·· أصرت على ان تضـــع رأسها على رجلـى وهى تلفظ أنفاسـها الأخيرة ·· كانت أخر كلماتها ·

ـ خد بالك من مسعد يا مصطفـى ·· خليه يكمل دراسـته ·· مسـعد أمانـة فى رقبتك انت يا مصطفـى ·

وعادت بـى الذاكـرة الى عامين قبل ذلك اليـــوم · بعـد وفـاه أمى تحول المنزل الى جحيم · كانت أمى رحمها الله تعرف اننى كنت أعمـــل بالسياسـة وكانت تخـاف على وعلى مسـعد ، ولكنها كانت تحمينـا من أبـى ومن اخوتى الكبار ، بموتها فقدت أنا ومسعد الحمايـة فى منزلنـا بشبرا فتركنـــاه الى غرفة فى العباسية ، واتفقت مع مسعد على اقتســـام مرتبـى حتى يكمل دراسـته ويجد وظيفـة · ·

ربما كنت فى حاجة الى حنـان ؟ ولكن ليس فقط حنـان الأم ·· انمـا حنـان المرأة فأنـا أريـد حقـــا ولكنى أيضا أملك القـدرة على العطـــاء ·· والعطاء بسخاء · حقا اننى أعطـى للنضال الثورى كل ما أملك من حياتـى ·· ولكن هـل يغنينى هذا عن علاقـة خاصـة جدا مع امرأة ؟ ·· وهـل هـذه المرأة هى التى يمكن ان تنشـأ معها مثل هذه العلاقـة ؟

وظـل السـؤال بلا جواب حاسـم ·· وجدت نفسى فى ذات الوقـــت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أقابلها يوميا أما فى عملها أو فى أى مكان آخر كلما سنحت لى ظروف العمل السياسى . وذات يوم كنت اقوم بتوصيلها الى منزلها قابلت وليم اسحق ومعه صديقته التى تصادف انها تعرفها . وذهبنا جميعا الى مرسم وليم وكان يطيب لى ان اذهب اليه كلما سنحت لى الفرصة فى جلسات انسانية رائعة .

بعد أيام عرضت على وليم هذا السؤال الذى لا أجد له جوابا .

سألنى : هل تحبها ؟

سألته : وما هو الحب ؟

قال : علاقة انسانية وعاطفية

قلت : وفكرية أيضا

ـ اذا توفر يكون أفضل

ـ اذن فانا لا أحبها

ـ ولكنك لا تستطيع الاستغناء عنها

ـ ربما

ـ بل من المؤكد

ـ لنفرض ذلك

ـ فلتكن علاقة

ـ حسية ؟

ـ وانسانية

ـ احساسى انها لن تكون تلك العلاقة التى انشدها

قال ضاحكا :

ـ وما هى مواصفات هذه العلاقة التى تنشدها ؟

قلت بأسى :

ـ المصيبة لا أعرف مقوماتها

واعدت مناقشة هذه المسألة مع عدد من الزملاء المقربين . بعد المناقشة ازدادت حيرتى . مشكلتك هى العلاقة الحسية .. ولتكن قاصرة على هذا فقط . مشكلتك هى الاستقرار فى بيت وحاجتك الى الحنان . يا اخى تزوجها واخلص فسوف يساعدك ذلك على الاستقرار النفسى حين تحل مشكلتك الحسية ... و . و . و . وتضاعفت حيرتى عشرات المرات وكادت تنحول الى أزمة نفسية .

وذات مساء . . ودون أى حديث سابق .. طلبت منها ان نتزوج . وافقت فورا وسألتنى أمتى ؟ قلت الآن وفورا . وذهبت الى مأذون فى شارع الجيش ومعى صديقان مررت عليهما فى الطريق وجاءا معى كشاهدين على العقد وفى اليوم التالى قمت بايجار غرفة مفروشة حتى اسسنا شقة قامت هى بالنصيب الأعظم فى مصاريفها . ومكثت معها ١١ شهرا بعدها القى القبض علىّ . وخلال تلك الشهور رغم كل العناية التى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كانت توليها لـى ، ورغم حنانهـا وحبها وتفانيها الذى وصـل الـى حـد تكلبفهـا ببعض الأعمـال التنظيمية ، فاننى لـم أشـعر يوما بان هـذه هى العلاقـة التـى احتاج اليهـا ٠

حبيبتـى ٠٠

لقـد افضت فى حديثى عن زوجتى السـابقة قبل ان القاها فى أول زيارة بعـد صدور الحكم على **بالاشغال الشـاقة ١٠ سنوات** ٠ ربمـا عى محاولة لتفسير مسلكى الجـاف معهـا فى الزيارة ٠

ما ان رأتنى حتى راحت تبكى بتشنج ٠٠

واحترت ٠٠ هل تبكى حزنا على مظهرى ٠٠ الملابس الممزقـة ٠٠ **والقيـود** فى اقدامى ٠٠ وذقنى الطويلة ! ٠٠ أم تبكى لافتراقنا ؟ قلت لهـا بـلا أى مقـدمات

ـ انا افضل الانفصـال

رفضت بشـدة رغم الحاحى وقالت انهـا تفضل الموت على الانفصال ٠٠ غير أنـه بعـد **٦ سنوات** لـم تقـم خلالها بزيارتى الا مـرات قليلة وصلنـى **حكم المحكمة فى الواحات بالانفصال** ٠

الغريب اننى لم افكـر فى مسألة انفصالى عنها الا فى الدقائق الاولى من الزيارة ٠ والاغـرب اننى لم أشعر بأى أسف بعـد الزيارة ولا بعـد ان انفصلنا ٠ حتى اننى خشيت ان يكـون موقفى هذا لا انسانيا ٠ على ان الاعجب من هذا وذاك هو اننى بعـد خروجى من السجن **بعـد ١٢ عـاما** ورغم مقابلتى الجـافة لهـا حين جـاءت لمقابلتى فقـد تزوجنا مـرة أخـرى بعـد خروجى بشهرين ثـم انفصلت عنهـا بعـد شهر واحد ولم أرها بعـد ذلـك ابـدا حتى البـوم ٠ وايضـا لم أشعر بأى أسف رغم انهـا قامت بـكل ما بمكن ان تقـوم بـه امرأة من أجل رجل تحبـه حبـا مريضا ٠

لكن حصيلة الزيارة كانت انسانيـة أحكى لك عنها فى الرسـالة المقبلـة ياحبيبتـى

٣ ابريل ١٩٧٧

بغـداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (١٤)

حبيبتـــى :

رغم شـدة القيـود التي كانت مفروضة علينـا خلال الزيارة ، فقد كانت الحصيله كبيرة • الأربعة أعـداد الأخيره من «رايـة الشـعب» جريـدة الحزب والعدد الأخير من « الحقيقه » نسرة الحزب الدخلية • ورسـاله من زملائنا فى الخارج، عرفنا من الرسالة اننا سوف ننتقل قريبا الى لبمان طره،وان حملة كبيرة خارج البلاد من أجل تحسين معاملتنـا من قبل الاحزاب والقوى التقدميـه فى أوربـا مـد أحـدنت أثرهـا • ومرأنـا اعـداد « رايـة التشـعب » و « الحقيقـــة » وكانـــت لنـــا عليهـا بعض الاعتراضات أرسلناهـا للمكتب السـياسى للحـزب • أمـا عن حالتنـا المعيشـية فقـد ارتفعت نسبيا حيث أصبح فى مقدرتنا أن نشترى سجاير وحـلاوة طحينية فقـد وضع أهالينـا فى كانتين السجن ٢ جنيه باسم كل منـا • وهذا شىء عظيم جـدا . فقـد أصبح فى وسـعنا ان نشـترى علب سردين وسلامون وبعض المأكولات الأخـرى •• كانت سعادتنا كبيـرة وقضينـا الليـل كله تقريبـا فى القراءة والمناقشة والدردشة واحتلت أخبار الزيـارة جـزءا كبيرا من الوقت • • كان مجدى فهمى يملك القدر الأكبـر من حصيـلة الزيارة •• حكى لنـا كيف تقـوم والـدته التى تقـدم بها السن بنشـاط كبير بين أهالى المسجونين السياسيين • تجمعهم أحيانا كى تذهب بهم الى مصلحة السجون لتقـديم مذكرة بشأن سـوء المعاملة مثـلا • وترسل البرقيات للمسئولين اذا اضربنـا عن الطعام لمطلب النـيابة للتحقيق • وحـدث حين وصل البهـا خطاب مجدى الخاص باضرابنا الأخير • • رفضت ان تسـلمه الى أحـد الزملاء الا بعـد ان تأكـدت من اخى مسعد بأنه يمكن الاطمئنـــان اليه • ومجدى فهمى أصغر أخوته وهو أقربهم الى أمهم •• لا لأنه آخـر العنقود •• ولكن لأنه « مجدى » والنسـان كمـا يقول أهله دائما •• وتكمل•• خصوصا بعـد ما بقى سياسى •• وكانت تخشى ان تقـول « شـيوعى » خوفا عليه ، حتى بعـد القبض عليه لم تقلها كى لا تـكون دليـلا ضـده فى المحاكمـة ، ولكن بعـد الحكم عليه لم يعـد هنـاك ما يمنعها من ذلك ، وزوجـات أخـوة مجدى وأولادهم يحبونـه كثيرا • عند كل زيارة تحـدث خناقـة بينهم • من الذى يذهب للزيـارة ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأم تمسكت بحفهـا فى الزيارة باستمرار ·· لكنهم اعتبروا ان هـذا انانيـة · واتفقوا على ان يقوم مجدى بحل المشكلة وكان الحل هـو ان تاتى أمـه فى كل زيارة يصحبها من تقع عليـه القرعة بين البافين الـذين لم يزورونه بعـد · وفى الزيارة الأخيرة وقعت القرعة على « **منـى** » ابنـه أخيه والتى كان مجدى فى شوق شديد لرؤيتها ·· فقـد جائنه فـى « **الحلم** » قبل الزيارة الأخيرة بأيام !

ـ واخبار **الجـو** أيه يا وليـم ؟

لم يستطع ان يخفى رنـه الاسى فى صوته ·· وقال بسخريه :

ـ جـو أيه اللـى أنت جاى تقـول عليه

ويكمل مجـدى ضاحكـا ··

ـ وهو « الجـو » يعرف برضه معنى الحب أيه ؟

يقول وليم وكل تعبيرات وجهه تنطق بالألم :

ـ حب أيه ·· و « جـو » أيه ·· سيبونا من الحكاية دى ·

وليم اسحق فنان عبقرى ·· وانسان يفيض رقـة وعذوبة ·· قـدرته على العطـاء « هائلة » كانت لـه تجربة مع فتـاة كنت اخشى عليه منهـا · كان يحبها حبا جنونيا ·· رسمها فى أكثر من **٢٠ لوحـة** ، وكانت كلما تدللت عليه كلمـا ازداد تعلقـا بهـا · كـان يـدرك أنها لا تحبـه ولكنهـا لاتتركـه لحظة واحدة حين يكـون فى مرسـمه ··

ذات يوم وكنت فى مرسم وليم ·· لاحظ اننى وضعت عـددا من اللوحات التى رسمها لصديقته (···) ورحت اتأمل فيها قـال :

ـ عاوز تعـرف أيـه ؟

ـ عاوز اعرف ما تقوله فرشاتك ·· ولا يقوله لسانك

ـ وهل عـرفت ؟

ـ لم اعـرف ·· وانمـا احس

ـ وماذا تحس ؟

ـ لم أصل بعـد الى مرحلة نقل الاحساس الى كلام ·

ويضحك بصوت عـال محاولا اخفـاء المـه ·

ـ أنت يا درش ·· ذكى جـدا ·· وغويط خالص ·

كنت فى خوف دائم على وليم من أى حديث مباشر عن صديقته · أنـه يعرف ان العلاقة من جانبه هو فقط ·· ولكنـه كـان يهرب دائمـا مـن هذه الحقيقة مكتفيـا بالجو الانسانى الذى يشعر به عند وجودها معه فى المرسـم قال لى فجأة ··

ـ منيـة قالت لك حاجة

فوجئت بالسـؤال · ما دفعنـى الى محاولة معرفـة شعور وليم نحوهـا من خلال مقـارنة لوحاتها المختلفـة ، هو انهـا قالت لى بوضوح انها لاتحبه.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حيث لاتجد فيه الاخر الذى تريده وهو بالنسبة لها فنان كبير وانسان عظيم يملأ جانبا من حياتها !

قلت

ـ راح تقول أبه بعنى ·· دى معجبة جدا بيك يا وليم

ادركت انى اخطأت التعبير · · وحاولت تصحيح الخطأ ·· لكنه أسرع يقول والألم يكاد يمزقه ·

ـ ما انا عارف ·· مجرد اعجاب ··

وساد الصمت دقائق ·· ثم جاءت صديقته (···) ·· ورأيت تعبيرات أخرى على وجه وليم ·· تعبيرات طفل عثر على لعبته التى ضاعت منه ·

كان من المستحيل ان يستمر الحديث مع وليم عن صديقته ·· لكنا فهمنا كل شىء · وتأكد فهمنا بعد ذلك ·· بعد القبض على وليم دخلت الفتاة فى علاقة أخرى مع آخر كنت أعرفه ولا ارتاح اليه سياسيا واضع أمامه علامة استفهام ·

وسادت فترة صمت رحنا بعدها فى نوم عميق حتى استيقظنا على صوت « **البروجى** » وزقزقة العصافير الواقفه على الاشجار المحيطة بمبنى « **النـاديب** » ··

عندما فتح السجان الزنزانة قال :

ـ حضروا ملابسكم ·· حضرة الضابط حاى ·

ـ ليه خير ·· فيه أيه ؟

ـ والله ما انا عارف ··

عرفنا أننا مرحلون الى ليمان طره ·

قال الضابط (···) وهو يبتسم

ـ والله راح توحشونا يا جماعة ·· يعنى هبة طره أحسن من هنا · وتبادل الضابط معنا حديثا وديا · شكرناه على حسن معاملته وسعة أفقه · وتمنى الرجل ان نلتقى به فى ظروف أفضل ·

وحتى مأمور السجن الذى استقبلنا عند حضورنا بطريقة سيئة اعتذر عن ذلك بعد الأوامر من **العليا** · وتأثر الرجل كثيرا حين ملنا له انه يستر موقفه تماما · ونحن من جانبنا نعتذر أيضا اذا كنا قد سببنا له أى ازعاج فقد كان من الضرورى ان يكون لنا موقف منذ البداية ولكنه ليس موقفا ضده ·

وكانت مفاجأة أن وجدنا بعض الاهالى على **باب الليمان** فى انتظارنا ·· وبدأت المساومات مع الضابط رئيس الحرس حول مقابلتهم والجلوس معهم قليلا خلال الطريق الى **ليمان طره** · كان الضابط متأثرا الى حد كبير يريد ان يحقق لنا مطلبنا · · لكنه يخشى أن يراه أحد من **ضباط المباحث** · · قال بود ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ طبب سيبونى اتصرف ..

وطلب من الاهالى ان يسبقونا وينتظروا فى منتصف الطريق من الليمان حتى محطه السكة الحديد .. وهو طريق طويل خال من الماره تماما . وسارت بنا عربة السجن التى تقلنا وعندما مرت بالاهالى وسبقتهم بحوالى ٢٠٠ متر طلب من السائق ان يتوقف .

قال للسائق ..

ـ أنا نسيت أوراق فى ظرف على مكتب المأمور .. خد العربة وروح هاتها بسرعة .. والحرس ينتظر هنا مع المساجين .

وحتى عاد السائق وكان قد مضى وقتا لا يقل عن نصف ساعة بحثنا عن الأوراق الوهمية كنا نجلس مع الاهالى على قارعة الطريق فى زيارة خاصة أكلنا خلالها لحما ودجاجا وأطعمه أخرى دسمه .

وقبل ان نسير بنا السيارة مرة أخرى قال الضابط سود

ـ ان شاء الله ممكن نعمل لكم زيارة تانية عند ليمان طره

وخرجب دعوات كبيرة من الأمهات ..

ـ ربنا يحميك لشبابك يا ابنى أنت واللى زيك

وعند ليمان طره تحقق ما وعد به الضابط .. وهكذا زرنا أهلنا **٣ مرات فى أقل من ٢٤ ساعة** حصلنا خلالها على كميات من الأكل والنقود والاخبار .

وفى ليمان طره قابلنا زملاءنا الخمسة .. جمعونا فى زنزانة واحدة . مع **الحراسة الشددة** .

أحكى لك قصة الليلة الأولى فى ليمان طره فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٥ ابريل ١٩٧٧
بغداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (١٥)

حبيبتـــى .

لم ننـم طـول ليلة وصولنا الى ليمـان طـره ٠٠ فبعـد أكثـر من شهرين يلتقى كل الزملاء المحكوم عليهم بالأشغال الشـاقة وفى زنزانة واحـــدة ٠ وكـان حمعنا فى زنزانة واحدة امتيـاز كبير لا يحصل عليه الا الذين تفرض عليهم الحراسـة المشددة والخطرين الذين يجب ان يعزلوا عن بقية المساجين ، فالزنزانـة فى ليمان طـره تسع ما بين ٢٥ و ٣٠ مسجونا ٠ وبينما تطفأ الأنوار فى الزنازين فى ساعة محددة ، فان زنزانة « الخطـرين » لا تطفـأ أنوارها طـول الليل ٠٠ أيضـا كأجـراء من اجراءات الحراسة المشددة ٠٠ وكـان هذا ايضـا امتيـاز اعطانا فرصـة اعـادة قراءة المطبوعات التى حصلنا عليهـا فى ليمـان أبو زعبل والتى حصل عليهـا زملاءنا فى ليمان طـره قبل حضورنا ٠ كمـا ناقشنا وضعنا الجديد فى الليمـان على ضوء خبـرة زملاءنا الذين سبقونا اليـه منذ شهور ٠ الفـرق بين ليمـان طـره وليمان أبو زعبل كالفرق بين حى الزمالك وحى بولاق ٠ الأول بضم « **وجهـاء** » « المجـرمين » والثانى يضم **حتالتهم** فضـلا عن ذوى السوابـــق الكثيرة ٠ **والفقراء** الموجودون بليمان طـره هو فقط لخدمة هؤلاء « الوجهاء » أو الذين ينوبون عنهم من تجار المخدرات و « جرائم الشأر » وغيرها من تلك الجرائم التى تتفق مرتكبوهـا مع المسئولين على أن يحل محلهم « فرافير » وكله بثمنه ٠ هؤلاء « الوجهـاء » بحكم أوضاعهم الطبقية وما يملكون من مـال ، يملكون ايضا « السلطة » ٠ مهم لا يخرجون للعمل فى الحدل ، واذا خرج بعضهم لسبب أو آخـر ففـى وسعهم ان يستأجروا من الفقراء من يعمل بـدلا منهم ٠ والزنازين لا تغلق عليهم طول النهار ولهم الحق فى التجول فى كـل انحاء السجن ، ويأتيهم من بيوتهم أو من « حروبى » أفخـر أنـواع المأكولات والمشروبات ٠ حتـى الممنوعة داخلنا ٠ أمـا زياراتهم فهى تتـم دائمـا فى مستشفى السجن حيث يدخل الزوار الى حجراتهم بالمستشفى ويمكثون معهم بالساعات تحت سـمع وبصر ضباط السجن مع ان مـدة الزياره « الخاصة » لاتزيد عن نصف ساعة ٠

و « الجرائم » السياسية يعامل أصحابها حسب نـوع « الجريمـة » ٠٠ **كريم ثابت** « **المستشار الصحفى للملك فـاروق** » ٠ مثلا كـان يعيش فـى الليمـان « **كباشـا** » اذا سـار يحيط به عـدد من الضباط ٠٠ ويضرب لـه الجنود « **تعظيم سـلام** » عندما يمر بهم ٠٠ ولا يمنع هذا ما يعرفونه عـن الدور الحقيقى الذى كـان يقـوم به كريم ثابت خارج السجن ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويمكن لبعض المسجونين العاديين « الحمراء » ان يحصلوا على بعض الامتيازات التى يحصل عليها أصحاب المال اذا كان لهم ضابط « بلديات » .

هدف اتصالنا بالمسجونين ادبى هو تنفيذ اللائحة . ووسيلة اتصالنا بهم هى **الجريدة** . لكن هذه الجريدة تحتاج الى انصار .. يراسلونها .. ويوزعونها فى **العنابر الأربعة بادوارها الستة عشر دورا** . فكيف تختارهم فى ظروف هذه الحراسة المشددة علينا ؟ . . نحن لا نحتاج فى البداية سوى لأربعة أنصار .. لكل **عنبر** نصير واحد . لكن اختيار الأربعة يحتاج الى حذر شديد ففى الليمان **جواسيس** رسميا للادارة وآخرون للمباحث العامة . وهؤلاء يمكن معرفتهم بسهولة .. حيث سيكلمون بالاتصال بنا لمعرفة « الاخبار » و « الاحوال » .. كما حدث مع بعض زملائنا الخمسة الذين سبقونا الى هذا الليمان .. وبالطبع لم يعرفوا شيئا .

كانت المشكلة الأساسية اذن أمام صدور « **الجريدة** » هى الاتصال بالمساجين . فكيف نتغلب على هذه المشكلة ؟ الزنزانة التى نعيش فيها فى الدور الثانى **فى عنبر ٤** تفتح علينا فى الصباح بعد خروج كل المساجين الى العمل فى الجبل كى نذهب الى دورة المياة التى **يخلونها** تماما حتى من المساجين الذين يقومون بتنظيفها . ثم نعود الى الزنزانة ، وتتكرر هذه العملية بعد الظهر ويغلق علينا باب الزنزانة حتى الصباح . حتى امكانية الحديث مع مسجون من خلال « **ثقب** » الزنزانة معدومة تماما ، فالحارس يقف على بابها لا يفارقها ليمنع أى مسجون من الاقتراب منها .

وكان قرارنا فى تلك الليلة هو تكليف وليم بعمل ماكيت الجريدة . وتكليف الزميل الذى يذهب يوميا مع الحارس لاحضار الغداء والعشاء من المطبخ ان يستفيد من هذه الامكانية الوحيدة ومحاولة خلق صلة صداقة عادية مع المسجونين الذين يعملون فى المطبخ أو الذين يترددون عليه لاختيار من يصلح مندوبا للجريدة .

وبعد حوالى شهر صدر العدد الأول من « **الطريق** » شعارها **حمامة سلام** وقد مزقت **القيود الحديدية** برجليها وهدفها « تطبيق لائحة المسجونين » .

كيف استجاب المساجين للعدد الأول من « **الطريق** » ؟

وماذا كان موقف الادارة ؟

أحكى لك ذلك فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٨ ابريل ١٩٧٧
بغداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (١٦)

حبيبتـــى :

كان صدور العدد الأول من جريدة « **الطويق** » يعنى بالنسبة لنـا علاقـــة وثيقـة بالمساجين ، وعلاقة متوترة بالادارة • كان الليمان كله من رجـــال الادارة والمساجين يعرفون اننـا وراء اصدار الجريدة ، لكن ينقصهم الدليل• وبقـدر ما كان استقبال المسجونين للجريدة رائعـا بقـدر ما كـان رد فعل الادارة عنيفا خاصة وأنها لـم تعرف بصدور الجريدة الا بعد العـــدد **السادس** ، أى بعـد شهرين ونصف فقـد كـان تصـدر كل **١٥ يومـا** • وقبل ان يقع العدد السادس فى ايـدى رجال الادارة كانوا حائرين فى أمـــر المسجونين الذين بـدأو فجأة يطالبون بحقوقهم ويهددون **بالاضراب عن الطعام** ويرسلون الى النيـابه شكاواهم •• الخ • اذكـر ان مأمور السجن جـاءنا بومـا على رأس حملة من السجانة لتفتيش زنزانتنـا بعـد منتصف الليـل وهذا لا يحدث أبـدا الا فى حـالات خاصة فالمفـروض ان الزنزانة بعد التمام لا تفتح الا بأمر من **النيابة العامة أو بأمـر مدير مصلحة السجون** • فـى تلك الليلة كنت أول من استيقظ على صوت مفتاح الزنزانة •• ثـم صوت عال ••

ـ انتبـــاه ••

و« **انتباه** » نعنـى أن يقف المسجونون اسـتعدادا للفتيش •

ما كدنا نقف حتى كانت الغرفة قد امتلأت بالسجانة والضباط **للتفتيش**•• لم يجدوا « ممنوعات » والممنوعات تبدأ من الشاى الناشف والأمواس حتى الورق والأقـلام والكتب والمنشورات ، وبالطبع لم يكونوا يبحثون الا عن دليـــل يثبت علاقتنـا بالجريدة • وكنـا على استعداد لهذه الحملة التى كنا نتوقعها حيث عرفنا أن مأمور السجن (•••) بدهائه استطاع أن يحصل على نسخة من الجريدة من أحـد المسجونين الذى كان يثق بـه • والواقع أن هذا المسجون كـان لـه العذر حين وثق بالمأمور الذى استطاع بدهائه أن يكسب ليس فقط ثقـة عدد كبير من المسجونين ولكن ايضـا عدد من زملائنـا الذين خـــدعوا فيـه • فقـد كـان الرجل يطمع فى أن يكـون هو مديـرا لليمان وكان هذا المنصب خاليا • وسعى الرجل الى كسب ثقـة المسجونين والسجانة والضباط بمختلف الطـرق حتى شـاع بين الجميع بأنه سـوف يرقى الى رتبة لـواء ويتولى منصب المدير • غير أنه فوجىء كما فوجىء الجميع بتعيين مدير جديد لليمـان وكـان هذا المدير مكروها من الضباط لأن عسكريته « **ناشفة** » **ومكروها**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من المساجين الذين يعرفونه ماسيا عليهم منذ كان ضابطا صغيرا ولم ييأس المأمور (...) بعد قدوم المدير الجديد وراح يعمل على احراجه أمام المسئولين فى مصلحة السجون حتى يثبت لهم أنه غير كفء لهذا المنصب .

ومع ان العدد السادس من مجلة « الطريق » لم يكن هو العدد الوحيد الذى وصله فقد وصله عن طريق نفس المسجون العدد الخامس . ولما لم يحدث شيئا خلال الخمسة عشر يوما بين العددين ، اطمأن اليه المسجون، بل ان بعض رملائى اطمأنوا اليه حتى انهم حين عرفوا بخبر وصول العدد السادس له لم يتوقعوا هذه **الحملة التفتيشية** وكانت هذه النقطة محل نقاشنا لمدة ساعات قبل الحملة وأنتهت بتوقع حدوثها فى نفس الليلة لاحراج المدير الجديد الذى لم يكن قد مضى على قدومه الا عشرة أيام ، وبالتالى اراد أن يستغل الفرصة .

قال المأمور وهو يدخل الزنزانة على رأس الحملة وقد ملأت وجهه ابتسامة خبيثة :

ـ لا مؤاخذة .. يا جماعة .. أعمل أيه .. أوامر المدير .

ـ خير ان شاء الله .. أيه الحكاية ؟

ـ المدير الجديد ياسيدى .. **ضبط المجلة** .. كان حقكوا تاخذوا بالكو

قال أحد الزملاء بسخرية :

ـ مجلة آخر ساعة .

ـ آخر ساعة مين يا راجل .. دى مجلة الحكومة .. مجلة تانية .. شوف ومد الرجل يده الى .. لاحظت ان كلمة « **العدد السادس** » قد مسحت بعناية وكتب « **العدد الأول** » .

ـ ده العدد الأول . . لحقتوا تضبطوها ؟

وأدرك الرجل أن أمره قد انفضح أمامنا .. وأن تظاهرنا امامه بالثقة فيه طوال الفترة السابقة الى حد أنه خدع بذلك قد انتهى . فقال غاضبا وموجها حديثه الى الضباط والجنود وكانوا قد انتهوا من التفتيش

ـ واقفين كده ليه .. فتش كويس

قال أحد الضباط :

ـ فتشنا يا أفندم . . مفيش حاجة . .

قال بغضب أكثر :

ـ فتش فى **الحيطان** .. **فى الأرض** .. فى كل حته

ثم قال لأحد الجنود :

ـ روح هات **شاكوش** . .

قلت بسخرية .. بينما الجنود والضباط فى دهشة من هذا الطلب الغريب

ـ وليه بقى الشاكوش ؟

ارتفعت نبرات صوته الغاضب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ أنت عارف كويس ·· بلاش استهبال

قلت بحـــدة :

ـ حضرة المأمور ·· فم بمهمتك حسب القانون ·· ولا تـزد ·

وكـان السجان قـد جـاء بالشاكوش ·· أخذه المأمور وراح **يدق بـــه** على جميع **جدران الزنزانة** وعلى **أرضيتها** ·· **لكن** رجع كل الدقات كـــانت **صمـاء** · كان يدحث عن **مخبـأ** فى الأرض أو فى الحائط ولكن دون جـدوى· كان المخبأ على غـير العادة فى **سقف الزنزانة** · لا أحـد يتصور عمل مخبـأ فى سقف عـال ·· فكيف الوصول اليـه ؟ لحفـر المخبأ ، ثـم لاستخدامه بعـد ذلك يومـا · لكننـا لمـده **شهر ونصف** كان شغلنا الشاغل هو عمـل هذا المخبأ · حفرناه بموس حلاقة ، وكـان الزميل الذى يقوم بالحفر يحمله زميل آخـر ويحمل الزميلان زميل ثالث · وكان العمل يبدأ يوميا بعد **منتصف الليل** حتى **الفجـر** ·

ولمـا لـم يعثـر المأمور على ضالته ، أراد بعـد افتضاح أمـره أمامنـا أن لا يقطع حبل « الود » · قال ··

ـ يا جماعة أنا متأسف ·· دى أوامر المديـر ·· تصوروا صحانى مـن النـوم وأمـرنى بتفتيشكم بعـد ما جاب موافقة مديـر مصلحة السجون ·

قلت ·

ـ واسمعنى أحنـا بالـذات

ـ متفهمش ·· دى المجلة حتى ما فيهاش ولا كلمة سياسية ومـد يـده يتنـاولنى الجريدة

ـ حتى خـد شوف ·· اقـرأ

تظاهرت بتصفحها سريعا وقلت :

ـ طبب ما نصرفوا لهم **ملابس الصيف**

ـ هو انا لحقت ـ المدير الجديد جه من هنـا وكل حاجة ومفتش هنـا

ـ وقفت لـه

ـ مستنى أوامـر ··

ثـم استطرد وابتسـامة لئيمـة تملأ وجهـه ·

ـ والا أيـــه ؟

قلت بابتسامة لهـا معناها

ـ لك حق ·· وأنت الاحق

وفهم الرجل ما أقصده ·· أنـه أحق من المديـر الجـديد بهـذا المنصب . أردت أن اطمئنه فهو وأن افتضح أمـــره بالنسبة لنـا ·· يمكن الاسـتفادة من تناقضه مع المديـر الجديد المكروه من الجميع ، بشكل أكثـر ولمصلحـة كل المسجونين ··

وفى صباح اليوم التـالى بعث المأمور فى طلبى ودارت مناقشة صريحـة وأن بدأت بالرمز · قال وابتسامته المصنوعة تملأ وجهه وبعد ان اخلى مكتبه·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ أنا متأسف قـوى يا أستاذ ٠٠ أنت عارف دى أوامـر
قلت بسـخرية
ـ أمـرك يا سيدى !
قال وقـد زالت ابتسامته ٠
ـ أحسن ننكلم بصراحـة ٠
ـ أحسن ٠٠ والمصلحة مشتركة ٠٠ على الأقل لفتـرة
ضحك الرجل وقـال
ـ وليـه لفتـرة ؟
ـ لغـاية ما تتعين أنت مديـر
ضحك مـرة أخـرى وقـال
ـ ابـدا ٠٠ ابـدا ٠٠ هوه يعنى المنصب راح يغيرنى
ـ يعنـى ٠٠
ـ يعنى أيـه ؟
ضحكت وقلت
ـ الهدف راح يتغير ٠٠
قـال بخبث
ـ وبالتـالى التاكتيك
ـ أهو كـده ٠٠
ـ يعنى ننفق على التاكتيك
ـ تمـام ٠٠
ـ وفيك من يكتم السر
ـ فى عاشر بيـر ٠٠
ـ وتعرف كام سر لغاية دلوقت ؟
ـ سرين ٠٠ واحد مؤكـد ٠٠ والثانى استنتاج حتى اعرف منك ٠
ـ أيه هوه المؤكـد ؟
ـ حكاية المجلة
ـ مضبوط ٠ ٠ والاستنتاج ؟
ـ مترتب على الأول
ضحك الرجل بصوت عـال
ـ برافو انا اللـى طلبت من المصلحة اذن بتفتيشكم ٠
قلت بابتسـامة
ـ معلهش ٠٠ طلعت «آوت» المـرة دى
ـ يبقى نتفق ٠٠
ـ نتفق ٠٠ على أيه ؟
ـ ما أنت فاهم ٠٠
ـ شيلنى واشيلك ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ نعجبنـــى ·
ـ والضمان ؟
ـ طلباتـــــك ؟
ـ كله بوقتـــه ·
ـ يبقى اتفقنـــا ·

السياسة كمـــا يقولون فن · والشاطر هو الذى يلعب على التنافضات فى صفوف الأعداء · هذا المأمور داهيـــة ذكى ، ناعم ، لـــه بعض القدرات الثقافية وهو يسخر كل قدراته فى معركته ضـــد المديـــر الذى « اغتصب » حقه فـــى منصب المديـــر · والمدير يتميز بالغبـــاء الشديد مكـــروه من الضباط والساجين والجنود ولا يدرى أن المأمور يعبىء الليمان كلـــه ضـــده لاحراجه أمام رؤساءه· ولقـــد خلقت هذه المباراة ظـــروفا موضوعية مواتية لاستمرار صدور الجريدة ولتحقيق أكبـــر قـــدر من مطالب المسجونين ، فضلا عن امكانية أكبـــر لتحركنا بين المساجين والاتصال بهم وفى المقابـــل لعب هذا المأمور الداهيـــة لعبتـــــه بذكاء ضد المدير الى حـــــد جعله مهزلة أمـــام كل المسجونين ·

أحكى لك واحدة من ألعابه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـــى ·

١١ ابريل ١٩٧٧
بغـــداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (١٧)

حبيبتـــى

صـدر العـدد **السابع من مجلة الطريق** فى وقت كان فيـه الليمان فى قمة الغليـان • المأمور الداهية لـم يعـد يتصدى لحـل أى مشكلة للمسجونين كما كان يفعل قبل قدوم المدير الجديد، وكان ضباط السجن معه بشكل أو بآخر •

وبالطبع استطاع المأمور فى ظل هذا الجـو أن يورط المدير فى عـــدد مـن الأعمال الاستفزازية ضـد جميع المساجين حتى أتى عمـلا استفزازيا ضدنـا وتحدينـاه باعلان **الاضراب عن الطعام الذى استمر ١٨ يوما** • كنـا نخـرج الى الجبل يوميـا عـدا زميلنـا **وليم اسحق** حيث تعفيه اللائحة **من الأعمال الشاقة** اذ رأى الطبيب ان صحته لا تحتملها • وكان خروجنا الى الجبـل بناء على طلبنـا وان كنا لا نعمل شيئا حسب اتفاقنا مع المأمور • وفى يوم من الأيام كان وليم يسير فى حوش الليمان مع حارس ولما رآه المديـر أمـــر الحارس ان يخرج به الى الجبل مخالفـا بذلك اللائحة ، وحين اعترض وليم على ذلك سبه وانهـال عليه ضربا ، ثـم حمله عدد من السجانة الى الجبل •

ولم تمض دقائق حتى رأينا المدير على رأس عـدد من الجنود وقد أحاطوا بنـا من كل جانب تحت سفح الجبـل ومعه المأمور وعلى وجهـه ابتسامته الصفراء المعهوده • صـاح المدير بأعلى صوته :

ـ يا الله يا مذنب أنت وهوه •• كله يشتغل

لـم يتحرك أحـد منـا من مكانه •

صاح مـرة ثانيـة وبصوت أعلى ، والمأمور الى جانبه لا يتكلم وتمـــلأ وجهـه ابتسـامته المسيـــئة •

ـ بعـد دقيقة واحـدة عاوز كل منكم يروح يشيل الحجارة •• والا راح استخدم القـــوة •

تقدمت اليه وقلت بهـدوء •

ـ أحسن استعمل القـوة

صـاح بغضب

ـ أنت بتتحـدانى •

قلت بهدوء أكثـــر

ـ لا اتحداك وانمـا **اللائحـة** هى التى تتحداك •

جن جنون الرجل •• وابتسامة المأمور تتسع أكثـر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ اللائحـة ·· اللائحة ·· كل المساجين بتقول اللائحة ·· مالها اللائحه
ـ اللائحة تمنعك من اخراج زميلنـا بالقوة والاعتداء عليه ·
ـ أنا ما اعرفش حاجة اسمها لائحـة
ـ لكن احنـا نعرفها ونطالب بتطبيقها ! ·

وازداد جنون الرجل فسب اللائحة اللى مجيناه وواضعى اللائحة الذين لا يفهمون ، وقـال ·

ـ انا أوامـرى هى اللائحـة
ـ ونحن ننمسك باللائحه ·· ونعلن **اضرابنا عن الطعام** ·

تبك الرجل وازدادت ابتسامة المأمور اتساعا · وهز الضباط رؤوسـهم يشجعوننا وجرى عدد من المساجين الى زملائهم المنتشرين تحت سفح الجبل يبلغونهم الخبـر ·

وبعـد دقائق دـرت فى صمت · انتحى المأمور بالمدير وهمس فى اذنـه ببعض كلمـات قال المأمور بعدها

ـ سعادة المديـر كلفنى انى اتفاهم معاكم
ـ نحن نفضل التفاهم مع النيـابه

صاح المديـر بغضب

ـ ودخلها أيـه النيابـة ؟

قلت بهدوء

ـ واجبهـا التحقيق فى أسباب اضرابنا عن الطعام

قال المأمور بلهجتـه التى نعرفها

ـ يا جماعة بلاش حكاية الاضراب دى ·· وكل شىء بالتفاهم
ـ لن نتفاهم الا مع النيـابة

وبخبث شديد وجه المأمور كلامه الى المديـر

ـ يا سيادة المدير ·· اتفضل سعادتك وانا راح اتكلم معاهم ·

لوى المديـر لجام حصانه ليعود الى الليمـان ونظرات الضباط والجنود والمساجين السـاخرة تلاحقـه ·

همس المأمور فى اذنى

ـ واضح انكو مصرين على الاضراب
ـ أيـه رأيك أنت ؟ مش فرصة برضـه ؟
ـ وبعدين ويـاك ؟
ـ يعنى علشان نأكـد لك ان احنا فاهمين بعض ·

كان موعـد الغذاء قـد حل وأصوات تنـادى علينا بالذهاب « **بالقروانات** » لاستلام العدس أو الفول الذى كنـا نطلق عليه « **السوس الفول** » بـدلا مـن « **الفـول السوس** »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التفت المأمور الى أحـد الحراس وقال
ـ روح هات لهم الغداء ·· ثم التفت الى وقال
ـ والا أبـــه ؟
قلت
ـ آه طبعـا هـات الغدا أمـال أيـه ؟
امتقع وجه المأمور ونعبيرات وجهه نتساءل ، هل عدلنـا عن الاضراب ، وقال
ـ آه طبعـا مفيش داعى للاضراب
ـ احنـا مضربين
صاح المأمور بغضب
ـ أمال عـاوز الغدا ليـه ؟
ـ علشان يا حضرة المأمور تشوف بنفسك ان الغدا جالنا واحنا رفضنـاه وتثبت ده **فى المحضر** ·· وألا أيـه · ؟
ـ لك حق ·· روح يا سجان هات الغدا بتاعهم ووديه الليمان فى مكتبى ·· وانتو بقى تتفضلوا تروحوا الليمان وبكـره انشاء الله نعمل المحضر ·
ـ بكره زى دلوقت ·· والا أبـه يا حضرة المأمور ؟
قال بلهجـة تأكيـد
ـ طبعا · طبعا ·· أنا فاهم اللائحـة ·
تنص اللائحة حين يضرب المسجون عن الطعام يعمل محضر بعد **٢٤ ساعة** من ساعة الاضراب · لكن ادارة السجن عـادة لا تنفذ هذا النص الا بعـد مرور ٤ أيـام على الأقل · وخلال هذه الأيام تستخدم الادارة كل وسـائل **الارهاب** حتى يعدل المسجون عن **الاضراب** وبالتـالى لا يثبت فـى أوراق السجن ان اضرابا عن الطعام قـد حدث · وبالطبع كنـا متأكدين ان المأمور سوف يفتح لنـا المحضر فى الموعـد الذى تنص عليه اللائحة بعـد ٢٤ ساعة· هكذا بـدأنا الاضراب عن الطعام وسط عطف المسجونين وعدد كبير من الضباط والسجانة ، ومع تأكدنا بأن المأمور سوف يبلغ ادارة السجون بخبر الاضراب بأقصى سرعة امعانا فى احراج المدير · ونحن فى الطريق الى الليمـــان اقترب منى مسجون ـ **من هيئة تحرير الطريق** · وهمس :
ـ أبه رأيك نصدر عدد خاص من الطريق ؟
ـ موافق وبأقصى سرعة
ـ وسنرسل الخبر الى الاهالى وكل الجهات المسئولة
ـ همتك أنت وزملائك ·
ـ رقابنا ·· انتو بتضحوا وتجوعوا علشاننا احنا الغلابة ·
بعـد **٢٤ ساعة** بالضبط كنت فى مكتب المأمور لعمـل **المحضر** · فوجئت بأن المحضر مكتوب بطريقة قانونية تضع المدير أمـام مسئولية **الاعتـــداء على وليم وخرق اللائحة** · كذلك سب **اللائحة والذين وضعوها** ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد أن قرأت المحضر قال المأمور :

ـ أيه رأيك ٠٠ انا لمت ابتدى أكتب المحضر ٠ ٠ أظن تمام كده ؟

قلت مبتسما ٠٠

ـ عظيم جدا ٠٠ بس شوية اضافات كده

ـ قوى قوى ٠٠ قول ٠

ـ يعنى مطالبنا بتحسين المعاملة بوصفنا **مسجونين سياسيين** ، وصرف استحقاقات المسجونين من **الغذاء والملابس** وغيره

وقام المأمور باثبات هذه الطلبات ٠

عدت الى العنبر كى نحمل متاعنا « **البرش والبطانية** » ونذهب الى « **التأديب** » ٠٠ زنازين انفرادية يسجن فيها **المخالف للنظام والمضرب عن الطعام** ٠ كان المسجونون فى العنابر الأخرى والمنتشرين فى الحوش ومكاتب الادارة والورش يلوحون بأيديهم **تحية** لنا وتشجيعا ٠ ومن استطاع منهم أن يقترب منا كان يعرض خدماته ٠ وعلى باب التأديب كان هناك من ينتظرنا كى يعطينا العدد الخاص من مجلة « الطريق » ٠ كان هذا العدد هو الثالث الذى تحرره اقلام المسجونين بكامله وبغير أى مساعده منا كانت افتتاحية العدد الخاص عن حادث الاعتداء على زميلنا وليم ثم موقفنا من المدير تحت سفح الجبل وعن اضرابنا الذى يستهدف تحسين معاملة المسجونين جميعا وصرف الملابس والاغذية التى يستحقونها ٠ وطالبت الافتتاحية فى الختام بمساندتنا والوقوف الى جانبنا وذلك بتوصية أهاليهم بارسال برقيات احتجاج الى المسئولين والى النيابة لسرعة حضورها للتحقيق ٠

أصعب الاوقات التى يواجهها **المضرب عن الطعام** هى الايام الثلاثة الأولى بعدها تكون المعدة قد تعودت على عدم استقبال الطعام ، ثم يبدأ التعب فى هد الجسم ٠ وعادة يتعجل المضربون عن الطعام حضور النيابة للتحقيق فى مطالبهم ومن المفروض ان تأتى فى موعد لا يزيد عن **٤٨ ساعة** منذ بداية الاضراب ٠ ومع أن مأمور السجن أرسل التحقيق الادارى الى المسئولين فى مصلحة السجون التى عليها ان ترسل فى طلب النيابة فقد مضى **اليوم العاشر** ولم تأت ٠ والعدول عن الاضراب قبل أن تأتى النيابة للتحقيق يعتبر هزيمة لنا ٠

كان عدم حضور النيابة شكل من أشكال الضغط التى بدأت **الحكومة** تمارسها علينا فقد انهالت عليها **البرقيات** من عدد كبير من **الهيئات والمنظمات والأحزاب التقدمية العالمية** فضلا عن **المظاهرات اليومية** التى كان الأهالى يقومون بها عند **رئاسة الجمهورية ووزارة الداخلية ومصلحة السجون** ٠ وأمام هذا الضغط المحلى والعالمى رفضت الحكومة أن تبلغ النيابة حتى لا يثبت فى أوراق رسمية ما يدل على اضرابنا بسبب الاعتداء علينا ٠ أخذت المعركة طابعا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سياسيا • وقررنا الاستمرار فى **الاضراب عن الطعام** مع مضاعفة الحملة فى الخارج وبين الاهالى •

وفى اليوم الحادى عشر صدر عدد من مجلة الطريق كل مادته حول استمرار اضرابنا حتى تحضر النيابة للتحقيق باعتباره حقا لنا تعمل الحكومة على اهداره حتى تبرر موقفها أمام الرأى العام العالمى • ونشرت المجلة مقتطفات من البرقيات المطولة التى وصلت الى الصحف المصرية من عدد من الهيئات العالمية ولم ننشرها ، ومقتطفات من البيانات التى أرسلها **أهالى المسجونين** الى الجهات المسئولة •

وفى اليوم **الثالث عشر** ساءت صحة زميلين الى درجة خطيرة ومع ذلك لم ينقلا الى **المستشفى الا** فى اليوم **السابع عشر** بعد أن أعلن الطبيب عدم مسئوليته عما يحدث لهما اذا لم يعدلا عن الاضراب وتناول **العلاج الضرورى** • فمع انه فى اليوم الثالث عشر بعد أن كشف عليهما أمر بنقلهما الى المستشفى ، فان ادارة السجن امتنعت عن تنفيذ توصية الطبيب هربا من أى دليل يثبت اننا أضربنا عن الطعام وبالتالى امتنع هو الآخر **عن الحضور** اليهما فى الزنزانة •

وفى مساء **اليوم السابع عشر** نقل الزميلان الى المستشفى ولكنهما امتنعا عن تناول العلاج حتى تأتى **النيابة** لاثبات أسباب دخولهما المستشفى •• وفى صباح اليوم **الثامن عشر** علمنا أن الزميلين بين **الحياة والموت** وأن الطبيب كتب **تقريرا** بذلك ذهب به بنفسه الى ادارة مصلحة السجون بعد أن أثبت فى دفاتر السجن سبب دخول الزميلين المستشفى وامتناعهما عن أخذ العلاج الضرورى • وعلمنا أيضا أن البرقيات مازالت تنهال على الجهات المسئولة تحملها مسئولية موت مناضلين مصممين على الاضراب حتى تجاب مطالبهم •

وفى مساء نفس اليوم **الثامن عشر** ، حوالى العاشرة مساء ، فتحت الزنازين فجأة ، أخبرا حضرت **النيابة ومعها المدير والمأمور وطبيب السجن** وقبل أن يبدأ التحقيق قال وكيل النيابة :

– قبل حضورى الى هنا حصلت على موافقة مصلحة السجون بأن لا تخرجوا الى الجبل •

قلت :

– قبل هذا كله •• ارجو ان تثبت النيابة انها حضرت فى اليوم الثامن عشر منذ بدأ أضرابنا عن الطعام •

قال :

– أنا يا ابنى جيت بمجرد ما بلغونا •

– وهذا هو بالتحديد ما أريد اثباته وهو ما يمليه عليك واجبك •

وجه وكيل النيابة كلامه الى المدير :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

– هـل اخطرتم المصلحة بالاضراب فى الموعـد القانونـى . . ؟
التفت المدير الى المأمور الذى قـال :
– أنا من ناحيتى حولت المحضر لسيادتك .
قـال المديـر :
– وأنا أرسـلته الى المصلحة .
سأله وكيل النيابـة :
– متـى ؟

لـم يجب ، وانتحـى بوكيل النيابة جانبا واخذا يتهامسان . ورغم **الاعياء** الشديد الذى كنت اعانيه . كان ذهنـى يقظا لكـل ما يـدور حولـى . انتهز المأمور فرصـة انشـغال وكيل النيابـة مع المديـر وهمس لـى وهـو يبتسـم بخبث .

– سمع كلامهم **الشـفوى بالتليفـون** وعطل ارسـال المحضر عشرة **ايـام** وطبعا هو اللـى راح يتحمل **المسـئولية** .
عـاد وكيل النيابـة ومعـه المديـر وبدأت مساومة ، قـال :
– سيادة المديـر مستعد لأن نجيب كل طلباتكم .
– منشكرين .
– يعنى موافـق .
– ازاى ما أوافقش على اجابة كل طلباتنـا .
– يبقـى اتفقنـا .
– طبعا بعد اثبات حضورك بعد ١٨ يوما . .
– أمـال يبقى اتفقنـا على ايـه ؟
– على تحقيق مطالبنـا . .
قال الرجل فى محاولة لاثـارة عطفنـا على المديـر الذى سـيتحمل المسـئولية .
– وأبـه لازمة المدير يتحمل المسئولية وكان عنده أوامـر ؟
– على من ينصـدى لوقـع المسـئولية ان يتحمل نتيجـة مواقفـه .

وأمـام اصرارنـا انصرف **المديـر** تاركـا كل شـىء فى يـد **وكيل النيابـة والمأمور** . أرسل المأمور لاحضار دفاتر السجن كى يثبت عـدم مسـئوليته وبالتالـى يلقـى المسئولية على المديـر الذى تأخـر فى ارسـال **محضر بـدء الاضراب عن الطعام** . وبعـد أن اثبت وكيـل النيابـة ذلك كمـا اثبـت واقعـة الاعتداء على زميلنـا ولبـم ، حـاول المأمور أن يوحـى لوكيـل النيابة بانهـاء المحضر فقلت :
– نتكلم بقـى عن مطالب المسجونين ؟
قـال المأمور بغضب :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- أنت مالك بقـى ومال المسجونين ؟
- لأنـى مسجون زيهم ٠

وأدرك وكيل النيابـة أن فـى الأمـر شيئا لا يعرفـه ٠٠ انتحـى بـى جانبـا وسأل ، فقلت :

- أصل المأمور هو المسئول عن هذا الموضوع ٠

وأصر وكيل النيابة على أن يثبت كل مطالب المسجونين ٠

- **ملابس الصيف** لـم تصرف ٠

قال المأمـور :

- بـل صرفت ٠٠

سـأل وكيل النيابـة ؟

- متـى ؟

- أمس ٠

سأل وكيل النيابـة :

- أمس فقط ٠٠ **الصيف قرب يخلص** ٠

والتفت الـى وقـال :

- وأيـه كمان ٠٠ قـول :

- **كمية العسل قليلة ٠ ٠ ووزن اللحمة أقل من المقرر** ٠٠ و ٠٠

وأثبت الرجل كـل شيء ٠ وقفـل المحضر بانهـاء الاضراب عن الطعـام وعلامات الغضب باديـة على وجه المأمور الذى قـال :

- يعنى احنا حرامية يا أستاذ ؟

ثـم اشـار الى حذائـه وقـال :

- يا أخـى ده أنـا جزمتى مقطعة ٠

قلت بسـخرية :

- أظن ده مش دليـل كاف

قـال بغضب :

- يعنى بتتهمنـى ؟

- الجهـة التى تملك الاتهـام ٠٠ آهـى ٠

وتدخل وكيـل النيابـة :

- يا حضرة المأمور أفتـكر بقـى تعمل اجـراءات فك الاضراب ٠

ولأن المعدة لا تحتمل بعـد توقفهـا عن العمل مـدة فالمفروض أن تبـدأ نشاطها ببعض السـوائـل ٠ وحين أمـر الطبيب باحضـار عصير قصب ، الذى مـا كدنـا نبـدأ فى تناولـه حتى فوجئنـا بالمديـر يأتـى ومعـه سجان يحمل كميـات من البرتقـال وعصير البرتقـال واكـواب ٠ وراح الرجل بنفسـه يوزع علينـا كميـات البرتقـال والعصير ، ولـما شـكرتـه قـال بتأثـر :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ يا ابنـــى انتـــو برضـــه زى أولادى ٠

تأثرنا جـدا بموقف الرجل وكدنـا نطلب من وكيـل النيابـة أن يعـدل المحضر حتى لا تقـع أى مسـئولية على المديـر ٠ ان النورى الذى بحسـبه الناس قاســيا ولا قلب لــه ، فى أعماقــه طفـل يتأثـر بأى عمـل طيب أو لمسـة انسانيـة ، والغريب أننا شعرنـا بعـد انتهـــاء الاضراب ولأكثر من أسـبوع بانه كان يجب أن لا نحمـل المديـر أى مسـئولية وخصوصـا وأن المسـئولية الحمبقيـه تقـع على **الحكومة** وعلى وجـه التحديد **وزيـر داخليتهـا** الذى ينفـذ سياسـها ، لقـد ظـل تساؤلنـا هذا قائما حتـى يـوم الاجتماع الكبير الذى دعـى اليـه مديـر السـجن ٠ فماذا حـدث فى ذلك اليوم المشـهود ؟

أحكى لك ذلك فى الرسـالة المقبـلة يا حبيبتـى ٠٠

٢٥ أبريل ١٩٧٧
بغـداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (١٨)

حبيبتـــى

فى رسالتـى السابقة حكيت لك قصـة **اضرابنـا عن الطعـام** وأسبابه ·· وأهدافـه المباشرة داخل السجن · غير أن أبعـاد هذا الاضراب كانت أكبـر من ذلك بكثير · كانت لـه ابعـاده السياسية داخل البـلاد وخارجهـا فقد أصبحت قضيـة معاملتنـا كسياسين قضيـة حيـة فى أذهـان الناس وعلى عكس مـا كـان يتوقعـه **مدير الليمان** الذى عطـل ارسـال محضر الاضراب الـى المسئولين حيث كـان ينتظـر مسـاءلتـه قانونيـا ، فقـد أطلقت يـده بشـكل كبير فـى الليمـان كـى يعيـد اليه « **النظـام** » ، الذى «**اختل** » خـلال الاضراب · لكن المديـر لـم يفهم ماذا تعنيـه « **أوامـر** » اعـادة النظـام · أما المأمور فقد فهمها جدا · فهم انهـا مضايقتنـا الى أقصى حـد ومحاولة استفزازنـا وعزلنـا عن المسـجونين الذين بدعمت علاقتنـا بهم · واقامـة الدليـل على أننا وراء صـدور جريدة « **الطريـق** » ، وحتى لا ينفضـح أمـر المأمور أمامنـا وأمـام المسـجونين عامة راح الرجـل يوعز الى المديـر بتطبيق نظـام صـارم فى الليمـان كله ليسـتطيع من خلالـه أن ينفذ مهمته ازائنـا ·

وبدأت الأوامـر تنهـال : ممنوع بيـع السـكر فى الكانتين حتى لا يستخدمه المساجين فى عمل الشـاى فى الزنازين ، فاشـعال أى **نـار** تحرمه اللائحـة · لا يصرح لأى مسجون أن يشترى أكثر من ٣ **علب سجاير** فى الأسبوع وبحيث لا يدخن الا خارج الزنزانـة نهارا فالمفروض أن لا يكـون مـع المسـجون **كبريت** · وهكذا سلسلة من الأوامـر التى راح يصدرهـا المدير لاعـادة « النظـام » بايعـاز من المأمور الذى كـان يجرى يوميـا تفتيشـا وهميـا لزنازين بعض المسـجونين ، وتفتيشـا يوميا لزنزانتنـا بهـدف اسـتفزازنـا ·

كانت مجموعـة من زملاء « **حدتو** » قـد حـكم عليهم بالأشـغال الشـاقة ووصـلوا الى السـجن خـلال اضرابنـا عن الطعـام وبعـد صـدور حوالـى سـبعة أعـداد من مجلة الطريـق · وكان المأمور بحـكم صلاتـه يعـرف أن هنـاك خلافـا بيننا وبينهم ، وبـدأت خطتـه لتحقيق هدفـه بمحاولـة تعميق الخلافـات بيننا وبينهم · ومع أن الزملاء كانـوا متنبهين الـى ذلك

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

غير ان الرجل استطاع أن يخدعهم لفترة طويلة ، فهو حين يقوم بتفتيش زنزانتهم يشكو لهم منا وكيف اننا لا نفهمه على حقيقته رغم أنه ساعدنا كثيرا ، ويتبادل الشعر مع **زكى مراد** ، ويسمح للدكتور **شريف حتاته** بالذهاب الى المستشفى أحيانا للكشف على بعض المرضى أثناء غياب طبيب السجن • لعب الرجل على خلافاتنا السياسية مع الزملاء بذكاء ومهارة الى حد أثر بشكل بارز على علاقتنا معهم • ومع أننا قلنا لهم خبرتنا مع هذا الرجل وعن الاتفاق الضمنى الذى جرى معه حتى افتضح أمره أثناء الاضراب عن الطعام حين أراد استغلالنا فى صراعه مع المدير الا انهم أرادوا أن يدخلوا التجربة بأنفسهم •

ومع استمرار صدور الأوامر لم يحتمل المسجونين هذا التضييق على حبادهم ، تكثرت لقاءاتهم مع المدير الذى كان دصر عَلى اعادة « النظام » والمأمور الذى كان « يناصل » للتخفيف عنهم ولكن المدير « نظامى جدا » ! • وصدرت « الطريق » تعلن انها ستحتشد المسجونين من أجل الاضراب عن الطعام اذا لم تلغ الادارة أوامرها التعسفية فى موعد أقصاه **عشرة أيام** • ويبدو أن ما نشرته « الطريق » عن التهديد بالاضراب العام قد وصل الى المدير ، وربما يكون الذى أبلغه هذا الخبر هو المأمور الذى أوحى له أن يدعوا الى **اجتماع عام لكل المسجونين** لمناقشتهم فى مطالبهم فبعد يومين وقبل صدور « الطريق » صدرت الأوامر بعدم خروج المساجين الى العمل فى الجبل وفى كل الورش •

حوش اللبمان واسع جدا • تتوسطه منصة عالية نسميها المساجين « **البرج** » • كان **المأمور الانجليزى** يحشد المساجين فى هذا الحوش ويجلس على هذا « البرج » العالى **ليتسلى** بمنظر السجانة وهم يضربون المساجين بالعصى والكرابيج •• وبعد أن ننتابه الملل يصدر الأوامر بوقف الضرب وتوزيع التمر والعسل عليهم ! •

كانت هذه أول مرة يستخدم فيها « البرج » منذ أن رحلت **الادارة البريطانية عن السجون** • حوالى ٤٠٠٠ مسجون يحلسون القرفصاء فى شكل مجموعات • يحيط بكل مجموعة عدد من السجانة يحملون **المدافع الرشاشة** ، وكان مكاننا فى آخر الحوش حيث جلسنا القرفصاء • يحيط بنا عدد أكبر من الجنود المسطين بالرشاشات وثلاث ضباط على رأسهم أحد مأمورى السجن ، (•••) الذى كان يقف قريبا منى •• سألته :

ـ أيه الحكاية ؟

ابتسم الرجل الذى كان بالنسبة لنا كنوز شمعة فى ظلام السجن الحالك :

ـ والله ما أنا عارف • علمى علمك •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان المدير يجلس منتفخا فى « برجه » العالى والى يمينه يجلس المأمور الأول « ابـاه » وبـدأ أغـرب اجتماع شـهدتـه فـى حياتـى بكلمة من المديـر قـــال :

– انتو عارفين ٠ أنا راجـل شـديد طول عمرى من يـوم ما كنت **ضـابط ملازم هنـا** ٠ فاكرين ؟ ٠ وسرت همسـات بين المسـاجين ٠٠ قطعهـــا الرجل بصوت جهورى ٠

– النظافـة أهم حاجـة عندى ٠ احنـا **مسـلمين** ونحب النظافـــة ٠ تبادلت النظرات مع (٠٠٠) الضابط المسيحـى ٠ ٠ وسرت همهمات بيـن المساجين المسيحين ٠٠ واستطرد الرجل :

– وعلشـان كـده لازم كل واحـــد يطلع فرشـه « **البرش** » « والبطاطين » من الصبح لغايـة **التمام** ٠٠ حسـب اللوائح والقوانين ٠

وعلت الهمهمات بين المسـاجين ٠٠ وبدت علامـات الغضب والضيق على وجوههم وطلب أحـدهم الكـلام ٠٠ لكن المأمور طلب منـه الانتظـار حتـى ينتهـى « **سعادة الديـر** » من نصائحه وحديثه ٠٠ ويرتفع صـــوت الرجل ٠

– وممنوع الاتصـال بالخارج منعـا باتـا ٠ الجوابات ٠٠ والأكل اللـى بييجـى من بره ممنوع ٠٠ **العسـكرى اللى بياخد ١٠ أو ٢٠ قرش** مـــن المسجون ده حرامـى ٠٠

وبان الضيق على وجـــوه السجانـة ٠٠ وسرت همهمات بينهم ٠ ٠ واسـتطرد المديـر .

– والضابط لازم بفرض النظـام ٠٠ مسالة **البلديات** دى لازم تنتهـى ٠٠ الضابط الى يحابـى بلدياته لا يقـوم بواجبـه ٠ ٠

هكذا استطاع المديـر « بعبقريتـه » الفذة أن يكـون جبهـة ضـده ٠٠ **المسلمون والمسيحيون والضباط والسجانة** ٠

وعلت الهمهمات بين الجميـع ٠٠ ووضـع السجانـة **الرشاشـات** الـــى جانبهم بعد أن كانت فى وضـع الاسـتعداد ٠ ٠ واختلت صفوف المسجونين المنتظمة ٠٠ خـرج بعضهم عن الصـف ٠٠ ووقف البعض الآخـر ٠٠ وطـالب بعض المسجونين **بالتعقيب** على كـلام المديـر ٠٠ غير أن المأمور بعـــد أن همس فى اذن المديـر وهو يشير الينـا ٠٠ قـال :

– بعد سـعادة المدير ما يخلص حديثه راح يسـمح لكم بالتعقيب ٠٠

ويستطرد المديـر:

– وهناك **قلـة** لا وزن لهـا ٠٠ سنضربها بيد من حديد ٠٠

وشعرنا أنه يشير الينـا ٠

– **أنت** اللـى تبعث برقيـة تقـول فيهـا ان احنا بنضرب هذه القـلة دى تبقـى سـت (٠٠٠) ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وغلى الدم فى عروقنا ·· ووقف **سعد باسيلى** يقول :

ـ نحن لا نسمح بهذا الكلام الذى يحاسب عليه القانون ·

ووقف الزميل **زكى مراد وقال :**

ـ نحن نحتفظ بحقنا برفع دعوى ضدك ، قضية **سب علنى لاحدى زوجاتنا أو شقيقاتنا أو بناتنا** ·

ووقف عدد من المسجونين يندد بكلام المدير ويطلب التعقيب ·· وساد الهرج والمرج ·· ووقف كل المسجونين يعلنون احتجاجهم ·· ليس دفاعا عنا وعن شرفنا الذين أهين علنا ولكن أيضا عن حقوقهم ·· وارتفع صوت المدير فى محاولة للحديث ، وبعد أكثر من نصف ساعة ·· تركه المسجونون يكمل ·· قال وهو يشير الينا :

ـ أنا يا ولادى ما أقصدش حد من قرايبكم ·· دى واحدة من ايطاليا بتقول انها سكرتيرة منطقة ميلانو ·· باعته تحتج ··

ووقف زميل ثالث :

ـ وهذه أيضا لا نسمح لك باهانتها ··

ووقف مسجون يطلب الكلمة ·· قال :

ـ يا حضرة المدير احنا عارفينك من زمان ·· أنت طول عمرك شديد ·· واحنا طول عمرنا ضدك ·· ومش راح نسمح أبدا بأيام زمان تتكرر تانى ·

ووقف تان ·· وثالث ·· ثم وقف الجميع يهتفون ضد المدير وظلمه وتعسفه ·· لم يقترب منهم جندى واحد ·· أو ضابط ·· عجز المدير عن عمل أى شىء ·· وامتلك المأمور الموقف كله ·· قال وابتسامة صفراء تكسو وجهه :

ـ يا للا يا سجانة كل واحد ياخد المسجونين بتوعه على العنبر ·· لكن المسجونين لم يتحركوا من أماكنهم ·· وقال المأمور :

ـ سيادة المدير راح يطلب عدد منكم علشان يتكلم معاهم عن مطالبكم

قال مسجون :

ـ لا عاوزينه يتكلم هنا ·· معانا كلنا ··

وقال آخر :

ـ لازم يسحب كل الكلام اللى قاله

وقال ثالث

ـ مطالبنا لازم تتحقق ··

وقال رابع :

ـ الفرش مش راح يطلع بره **الزنزانة** ابدا ·· والكانتين لازم يرجع زى ما كان ··

وهتف خامس :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ يسـقط الظـلم ..

وارتفعت أصوات المساجين تردد وراءه ..

ـ يسـقط الظلم .. يسقط الظلم ..

ويتقدم الضباط الذين يتعاطفون مـع المسـاجين يطلبـون منهم الهدوء .. ويستجيب المساجين .. ويقول المدير بصوت ضعيف :

ـ يا أولادى انتـم فهمتونـى غلط . راح انظر فى مطالبكم .

لـم يكترث بـه المساجين ، قاطعـوه ، اختلطت مجموعاتهم ، لـم يحاول السجانة أو الضباط اعـادة الضبط والربـط ، وبصـوت منهوك طـلب المدير من المامور أن يصرف المسـاجين . وعـاد المسجونون الى عنابـرهم فـى **شبه مظاهـرة** لم يشهدها الليمان مـن قبـل يهتفـون يسـقط الظلـم .. يسـقط الظلم . نريـد حقوقنـا . نريـد حقوقنـا . هـل سـيعدل المديـر عن أوامـره التعسـفية ؟ ، وما العمل اذا لـم يعـدل عنهـا ؟ المديـر فـى موقف ضعيف ، والمسـاجين فى الموقف الأقـوى ، ويجب الاسـتفادة مـن هذه الظروف . كيف ؟ الاصرار على تنفيذ اللائحـة . واتفـق علـى أن يصـدر عـدد خاص من « الطريق » ، بعـد يومين يتضـح خلالهما الموقـف .

وبعد ثلاثة أيـام صـدرت الطريق **تدعو الى الاضراب العام لكل المسجونين** . ولأول مـرة فى تاريخ ليمان طـرة يضرب كـل المسجونين عن الطعـام حتى تجاب مطالبهم . وبالفعـل تحققت كل مطالب المسجونين .

أحكى لك قصـة ذلك اليوم فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـى .

٣ مايو ١٩٧٧

بغـداد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (١٩)

حبيبتـــى

فى رسالتـى السابقة حكيت لك ما انتهـى اليـه اجتماع مدير الليمان بالمسجونين • كان من الطبيعـى أن يسـود المسجونين جـو من الثقـة بعـودة الحياة فى الليمان الـى ما كانت عليـه قبـل الاجـراءات التـى فرضهـا المديـر • لكننا كنـا نرى غير ذلك • ان تراجـع المدير عـن الاجراءات التى اتخذهـا ـ على الرغم من أنهـا كانت محـل مؤاخـذة من رؤسـائه ـ سـوف يخلق ظروفـا مواتية للمشجونين لتطبيق كـل بنـود اللائحة ، وهو أمـر لا يريد بعض **كبار الضباط** حيث يسد بابا « **للرزق** » **هم** حريصـون على أن يظـل مفتوحـا • هذا الدافـع الذاتـى سيدفـع بهم الـى اتخـاذ اجراءات شـاذة « **لتطهير** » أفـكار المسجونين من الأفـكار « **الهدامة** » • وكنا نتوقـع أمرين : الأول : عمليـة تنكيـل بالمسجونين الذين تحـدوا المدير اثناء الاجتماع العام ، والثانى : تشـديد الحراسة علينـا لمحاصرتنا وعزلنا عن المسجونين تماما مع محاولات لاستفزازنـا أو فـرض **معركـة للتنكيـل بنـا** • ومر يومـان ولـم يبـد فى الأفـق ما يشير الى عـدول المدير عن الاجـراءات الشـاذة التى وعـد بالغائهـا • وعبثـا راحت كـل محاولات المسجونين لمعرفـة مـا يـدور فى رؤوس المدير وكبـار الضباط فـى مصلحة السجون الذين كثرت زياراتهم لليمان واجتماعاتهم بالمدير والمأمور •

المأمور الذى كان دائـم الصـلة بالمسجونين وعلى وجهـه ابتسـامتـه التقليديـة ، وعلى شـفتيـه الوعـود بتحقيق مطالب المسجونين اختفـى تماما • والضباط المتعاطفون مع المسجونين أصبحوا أكثر حرصـا فى اظهار تعاطفهم ويبذلون جهـدا لاخفـاء تعاطفهم ، ولا يقدمون تفسيرا **للاجتماعات الكثيرة** التى تتم بين كبـار المسئولين فـى مصلحة السـجون وبين المدير ، فهم على الأرجح كانـوا لا يعرفـون • حتـى السجانـة كانـوا يتوقعـون شيئا رهيبـا ضدنـا بشـكل خاص ، وضـد المسجونين بصفة **عامـة** • وكنا نرى فى عيونهم نظرات العطف ، وأبـدى بعضهم استعدادهم لمساعدتنـا • فى مساء **اليوم الثالث** عقدنـا اجتماعا لمناقشة كل احتمالات المعركـة التى سوف تفرضها علينـا **الدولة** • أرسلنا الى التنظيم تقريرا وافيـا عن الوضع واقتراحات بعمل حملـة واسـعة من البيانات الى المنظمـات الجماهيرية والنقابية والمهنيـة ، والى الهيئات العالميـة الديمقراطيـة •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

والى الصحف ، والمسئولين ورئاسة الجمهورية • كما أرسلنا خطابات الى أهالينا لتكوين وفود تذهب الى المسئولين • وأخرى لتتواجد بشكل **دائم خارج السجن** لترقب الموقف والتحرك بسرعة اذا حدث شيء ضدنا • وكان قرارنا هو الصمود مهما كلفنا ذلك من تضحيات ، حتى **الحياة ذاتها** ، بعد هذا القرار ، كان أمامنا فى تلك الليلة مشكلتان : الأولى **توصيل** ما كتبناه الى التنظيم والى الأهالى بأقصى سرعة ممكنة • والثانية هى الاتصال بهيئة تحرير « الطردى » لاصدار العدد المتفق عليه بعد الاحتماع « اياه » ليدعو المسجونين الى **الاضراب العام عن الطعام** • كيف يمكن التغلب على هاتين المشكلتين ونحن معزولون فى زنزانة مغلقة ، معزولة عن سجن معزول عن العالم الخارجى ؟ الوقت يمضى بسرعة **والمؤامرة** بدت خيوطها خلال اليومين الماضين فى عيون المدير ونظراته الكريهة ، واختفاء المأمور المفاجىء وغير المبرر ، ونظرات العطف والاشفاق فى عيون الضباط الذين لا يعرفون ما يجرى فى مكتب المدير ، وتعليقات بعض السجانة التى تحمل **الخوف** من المصدر الذى ينتظرنا ، كانوا يعرفون أن المثل الشعبى « وقوع البلاء ولا انتظاره » يعبر أصدق تعبير عن المعاناة التى يعانيها من ينتظر « البلاء » فيتعجل وقوعه ليتخلص من معاناته وآلامه الأكثر قسوة من آلام البلاء ذاته • ومع أننا كنا نعانى من انتظار « البلاء » الا أننا لم نتعجله أبدا وفضلنا المعاناة الأشد ألما والاكثر قسوة، ساعدنا على ذلك حالة التحدى التى هيأنا أنفسنا لها مساء اليوم الذى جرى فيه اجتماع المدير بكل المسجونين ، حيث لم تخدعنا الظروف التى نتجت عن ذلك الاجتماع • كذلك لم تكن المسألة بالنسبة لنا مسألة ذاتية ، وانما كانت فى الأساس موقفا موضوعيا •

كان صوت **سجان صديق** •• تبينا صوته ولكننا لم نعرف من هو • قام **مجدى فهمى** من على « برشه » ليتحدث مع هذا الصديق من ثقب باب الزنزانة • قال مجدى فهمى بعد أن تبين ملامح وجه السجان بصعوبة •

ـ أهلا •• أنت « ••• » جيت امتى ؟

تشاء الصدف أن يكون هذا الصديق هو السجان الذى يعرفه مجدى فهمى من حى **بولاق** والذى قام بتوصيل الخطابات التى أرسلناها الى الأهالى من **ليمان أبى زعبل** •

قال الصديق :

ـ نقلت من ليمان أبو زعبل الى هنا • • من يومين فقط •

قال مجدى :

ـ لكن دى الادارة حاطة سجان من بتوعها من ثلاث أيام •• ولم يتغير ليل ولا نهار •• ايه اللى جرى •• ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ضحك الصديق وقـال :

ـ جـاله مغص وخدوه على المستشفـى وجيت بدالـه ٠

ـ أيـه الصدفـة الغريبـة دى ؟

قال الرجل بكل الصـدق :

ـ ده تدبير ربنـا ٠٠ انتو ناس جدعـان

قال مجدى فهمى بنبرة صوته الودودة :

ـ الله يخليك يا « ٠٠٠ » عاوزين خدمة من خدماتك العظيمة ٠

ـ رقبتـى يا مجدى ٠٠ ان ماكانش علشـان انتو رجـاله ٠ فعلـى الأقـل علشـانك أنت ٠٠ ابن حتتى ٠

أعطاه مجدى التقرير والخطابات وقال لـه :

ـ دول لازم يوصلوا بأقصى سرعـة

ـ قبل الشمس ما تطلع راح يكونوا وصلوا لأصحابهم ٠

ـ متشكرين جـدا ٠٠ أنت راجل عظيـم ٠

ـ يا مجدى لا شكر على واجب ٠٠ أنا متأكـد اننى باعمل خدمـة لوطنـى ٠

ثـم يسـتطـرد ٠٠

ـ على قد ما أقـدر بقـى أنا مش زيكـو

ـ اللى بتعمله ده ما يقلش أبـدا عن عملنـا ٠

ويستطرد مجدى :

ـ بس فيه مهمة ثانيـة ٠٠ يمكن تكون صعبـة شوية ٠

ـ مفيش صعب علشانكم وعلشان الشعب ٠٠

ويبدأ مجدى فـى حديث مع السجان الصديق عن مجلة « **الطريق** » ٠ ويقاطعه الرجـل :

ـ أيـوه أنا سمعت عنهـا ٠

ـ قريتهـا ؟

ـ لا ٠٠ لكن كـل المسجونين بيمدحوا فيهـا وبيحبوهـا ٠

ويعلق مجـدى :

ـ وأظن منتظرين صدورهـا **بكـره** ٠

ـ تمام ٠٠ تطلب ايـه منـى ؟

ناوله مجدى خطـاب موجـه الى هيئة تحرير مجلة الطريق ٠٠ وقال :

ـ عاوزين الجواب ده يوصـل **لغنبر ٢ للمسجون** (٠٠٠) قبـل السـجن مـا يفتح ٠٠ ممكن ؟

ـ صعبة أوى الحكاية دى ٠٠ لكن راح أتصرف ٠

ويصيح مجـدى :

ـ انت عظيـم ٠

وكلمة « عظيم » لازمة من لزمات مجدى ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويضحك السجان الصديق :

ـ عيه كل حاجة عظيم ·· عظيم · فين العظمة دى ؟

ويضحك مجدى :

ـ ملهوش هايل ·· بلاش عظيم ·

ـ يا عم لا هايل ولا عظيم ·· أنا فى الخدمة ، ناموا انتو بقى وأنا راح أتصرف ·

ـ لا مش راح ننام قبل ما نعرف منك ان الجواب وصل لعنبر ٢ ·

ويقول الرجل بثقة غريبة :

ـ ماشى ·· استنى شوية لغاية ما أرجع لك تانى ·

لم يكن لدينا أدنى أمل فى أن يصل الخطاب الى عنبر ٢ ، فالسجان الصديق مسجون مثلنا تماما · الفرق الوحيد بينه وبيننا ، أننا داخل زنزانة بابها مغلق علينا · وهو داخل عنبر واسع يضم أربع أدوار ، وبابه الخارجى مغلق عليه · فكيف يصل هذا الخطاب الى عنبر ٢ ، من الذى سيحمله من عنبر ٤ الذى نعيش فيه ، الى الباب الخارجى لعنبر ٢ ، ثم الى الزنزانة رقم ٣٢ التى يعيش فيها اثنان من هيئة تحرير الطريق » ؟

بعد أقل من ساعة سمعنا دقا على باب الزنزانة ·· أسرع مجدى لينظر من ثقب الباب ثم سمعنا صوت الصديق يقول :

ـ كله تمام يا رجاله ·· ناموا بقى ·

ويصيح مجدى بفرح غامر :

عظيم ·· انت هايل ·

ـ تانى ! ·· عظيم وهايل ·· !

ويسأل مجدى فهمى :

ـ لكن ازاى وصل الجواب لعنبر ٢ ·

ـ يا سيدى ده شغلنا بقى ·

ويلح مجدى على الصديق ليعرف كيف وصل الخطاب بهذه السرعة الى **عنبر ٢ ـ زنزانة رقم ٣٢ !** ، ويحكى الرجل :

بسيطة قوى ·· كان معايا علبة سجاير هوليود « لارج » فكيت الورق « القزاز » بعناية وكذا العلبة · وأخذت منها سيجارة وحطيت بدالها سيجارة تانية **فيها الجواب** · وطلبت من السجان اللى فى الحوش يوصلها لصاحبى وابن حتتى (···) فى عنبر ٢ زنزانة رقم ٣٢ ·

ويسأل مجدى :

ـ لكن أنت متأكد ان العلبة وصلت ؟

ويجيب الرجل بثقة :

ـ الا متأكد ·· ودى فيها كلام ··

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ يعنـــى

ويقاطعه الرجـل ..

ـ يعنى أيـه بقـى .. أمـال فين الثقة بالشعب ..

ويرد مجدى بلهجة ودودة :

ـ لك حق .. متأسـف .

ما كدنـا نطفـىء أنـوار **الزنزانـة** اسـتعدادا للنـوم حتى رأينـا خيـوط فجر يوم جديد تخترق قضبـان نوافـذ الزنزانـة لتبـدد ظلامها الدامس . وجاءنـا صـوت مألوف على أسماعنـا يؤذن **لصـلاة الفجـر** . كان صوت الصديق من هيئة تحرير « الطريق » يخبرنـا بان الرسالة قـد وصلته ، وكنـا قـد اتفقنـا معه على أنـه فى حـالات محـددة ، وبعـد أن يبـدأ مؤذن الجامـع المجـاور لليمان بآذان المقطـع الأول يبدأ هو فى الأذان . وتأكدنـا من وصـول الرسـالة ومن اعـداد العـدد الخاص من « الطريق » الذى يدعو الى **الاضراب العام عن الطعام** . وعن هذا الاضراب أكتب لك رسالتى المقبـلة يـا حبيبتـى .

١٢ يونيو ١٩٧٧
القاهـرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٢٠)

حبيبتـــى

الأقنعـة الزائفـة وان بـدا بريقهـا يخطف الأبصـار ، فـى لحظـة من اللحظات ، لا تسـتطيع أن تخفـى تماما وجـه صاحبها **القبيـح** • عين الانسـان الصـادق تستطيـع أن تخترق تلك الأقنعـة لتلحظ أقـل تصرف ذاتـى وتضـع أمامـه علامة اسـتفهام ؟ ويبـدأ سـقوط الأقنعـة ، فناعـا وراء قنـاع حتى يتعـرى تماما وجـه صاحبهـا ، ويبدو علـى حقيقته ، شريرا ، دنسـا انتهازيـا يسخر كل شىء وأى شـىء مـن أجل ذاتـه • الغاية عنـده تبـرر الوسيلة • ، ذكـاء صـفة أساسـية من صفـات الانتهازى تعطيـه القـدرة على الخـدع حيث يسـتطيع استخدام كل الظروف لصـالحه • لكن ، لأنـه يفتقـد جوهـر الانسـان يفتضـح أمـره لكـل المخدوعين بـه عنـد وضـعه فى تجربـة انسانيه •

المأمور (•••) الذى حدثتك عنه فـى رسائلـى السابقة ، واحـد من انتهازين كثيرين منتشرين بين كل طبقـات وفئـات المجتمـع ، هـذا الرجل الذى زعم يومـا أنـه صديق لنـا وللمسجونين وخدعنـا فيـه بعض الوقت ، وكنـا أكثر ذكاء منـه حين استخدمناه لصالح المسـجونين ، وبالتالـى لـم يفضـح أمـره تماما لكـل المسجونين ، سـقطت كـل اقنعتـه الزائفـة فى لحظة واحـدة •

فى **ظهر يوم الاضراب العام عن الطعام** والذى دخله كـل المسـجونين ـ عدانا وباتفاق سابق ـ وعـدا الاخوان المسلمين ـ فلم يكن لهم أى علاقة بنشاط المسجونين ، أغلقت زنزانتنـا ـ على غير العـادة ـ ، بعدهـا فتح بـاب الزنزانـة لنجدهـا فى لحظـة وقـد امتـلأت بعدد **كبير من السجانة والضباط وعلى رأسهم المأمور** •

قـال وعلى وجهه ابتسـامة كالحـة :

ـ هما الجماعة دول مضربين ليـه ؟

ـ جماعة مين ؟

ـ المسـجونين •

ـ مسجونين مين ؟

ـ المسجونين كلهم •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ لكن احنـا مش مضربين ٠
ـ ليـــه ؟
ـ علشـان كـــده ٠
هو القيـادة مش لازم تضرب المثل ؟
ـ أســـأل القيـادة ؟
ـ طب ما انتـو القيـادة ٠
ـ عاوز أيـه بالضبط ؟
ـ عاوز اثبات قانونـي ٠
ـ لكـل مجتهـد نصيب ٠
ـ وأنا مجتهـد ٠٠ والا أيـه رأيكو ؟
ـ فعـلا ٠٠ بس انتهـازى ٠

ووسط ضحكات الزملاء العاليـة والسـاخرة ، وابتسـامات علـى وجوه عـدد من الضباط والسجانة ، ارتفـع صوت المأمور عاليا :

ـ يا له يا سـجان انت وهو ٠٠ فتش كل حاجة ٠٠

بعض السجانـة قـام **بتمزيق كل ملابسـنا** ، والبعض الآخـر كان يفتش بطريقـة **شـكلية** ٠ وتناول المأمور « **جاكوش وأجنه** » كان يحملهـا أحـد السـجانة وأخـذ بنفسـه يحفـر اجـزاء من أرض الزنزانـة ، ومـن جدرانها ، آمـلا فى أن يعثر على مخبأ يجد فيـه الدليـل القانونـي الذى يثبت صلتنـا **باضراب السجونين** ٠ وبعد أكثر من سـاعتين ، انصرف المأمـور ومن معـه وقـد تركـوا كـل ملابسـنا ممزقـة ، وجـدران الزنزانـة وسـقفها وأرضها وقد امتـلأت بالحفر ٠ وبعـد أقـل من عشر دقائق جاءنـا السـجان الصديق يحمل لنـا رسـالة من مسـجون صـديق أرسـلها من « الجبـل » ٠ ووقف على باب الزنزانـة المغلقـة حتى نقـرأ الرسـالة ونعطيه الـرد عليهـا ٠ وكانت الرسـالة تحمل وصـفا دقيقـا للأسـلوب الذى تـم بـه الاضراب ، وللدور القـذر الذى قـام بـه **المأمور** ضد المسجونين لتحطيـم الاضراب ٠

فى صباح ذلك اليوم خرج المسجونون كالعادة للعمل فى « الجبـل » ٠ كان كل شـىء طبيعيـا ٠ انتظمت الفرق المختلفة وبـدأت فى عملهـا ٠ العمل يبـدأ عـادة فى الساعة الثامنة حتى نوبـة الظهـر فى السـاعة ١٢ حيث يأخـذ المسجونون راحـة لتناول الغـذاء ٠ وعندما نودى علـى المسجونين لاسـتلام وجبـة الغـذاء ذهبـوا جميعـا كالمعتـاد وفى صفوف منتظمة يحملون « **القروانـات** » ٠ وبـدلا من أن يتجمعوا كعادتهم كـل يـوم فى مجموعات لتناول الطعام ، ذهبـوا بنفس الصفوف المنتظمـة الـى **مأمور « العمل »** ورصـوا أمامه كـل القروانـات ، ثـم عـادوا الـى حيث يجلسـون لقضـاء فتـرة راحـة الظهيرة ٠ ذهب اليهم المأمور ومعـه عـدد **من السجانة يسألهم** ٠٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ أيـه الحكاية يا مسجون انت وهو ؟

ويقف واحد من المجموعة ويقـول :

ـ مضربين عن الطعـــام ٠

ويذهب الى مجموعة أخرى :

ـ مضربين عن الطعـــام ٠

ويذهب الى مجموعة ثالثة ، ورابعـة ٠٠ الخ :

ـ مضربيين عن الطعـام ٠

لـم يفعل الضـابط شيئا ، ولم يعلق ، فهـو من جانب يواجه موقـف لـم يحدث فى الليمان من قبل ، وهو من جانب آخـر متعاطف مع المسجونين وارسـل الـى المدير من يبلغـه الخبر الخطير ٠ وبعـد أقـل من نصـف سـاعة جـاء المأمور « ٠٠٠ » ، يحمل الحصـان جسـده السمين ، ويحمل وجهـه ابتسـامته الصفراء :

ـ أيـه الحكاية يا جماعـة ؟

ـ مضربين عن الطعـام ٠٠

ـ لكم حق ٠٠ لكن كان لازم تعطونى فرصـة ٠

ـ بقا لنـا أربع أيـام والاجراءات زى ما هيـة ٠

ـ لكن أنـا كنت فى أجـازة ٠

ـ وأديك جيت ٠٠ حقق مطالبنـا ٠

ـ انتـم عارفين ٠٠ أنا مش فى ايدى حاجة

ـ طيب عاوز فرصـة ليـه ؟

ـ علشـان أتصـل بالمسـئولين ٠

وكـاد بعض المسجونين أن يخـدع بقولـه ٠ قـام مسـجون صـديق وقـال :

ـ على العموم الاضراب مستمر حتى تتحقق مطالبنـا ٠

ـ لكن المسألة تأخذ كـام يوم ٠٠

ـ راح نفضـل مضربين الكـام يوم دول ٠

ـ طيب تعالـى انت ومعاك ثلاثة تانيين مغايـا نتناقش مع المديـر والمسـئولين اللى زمانهم وصـلوا الليمان ٠

وذهب معه أربعـة ٠ اثنـان من هيئـة تحرير « الطريق » واثنـان من قـادة المسجونين الى الليمان ٠ كان فى مكتب المديـر عـدد من كبـار ضبـاط مصلحة السجون وعدد من ضباط الجيش ـ قيـل انهم من المخابـرات العامـة ـ وحاولت هذه المجموعـة من الضباط بالارهـاب تـارة والترغيـب تـارة أخرى انتـزاع أى كـلام منهم يشير الى أننا نحن الذين وراء الاضراب ٠ ولكن عبثـا راحت كل محاولاتهم ٠ قـال زميـل من الزملاء الأربعـة :

ـ احنا مش صغيرين ٠٠ مفيش حـد وراء الاضراب ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سأله أحـــد الضباط :

ومين اللى بيصدر مجلة الطريق ؟

قـال بكـل شـجاعة :

ـ أنا المسـئول عنهـــا ٠

قال الضـابط مهـــددا :

ـ ده اعتراف ٠٠ أنا راح أقدمك للمحاكمة ٠

قـال الزميـل :

ـ ليس فى المجلة ما يتعارض مع القانون ٠

ـ طيب ليه بتطلعوهـا بطريقـة سرية ؟

ـ لأن الادارة لـم تسـمح لنـا باصدار جريدة علنية ٠

ـ وانتـو محتاجين لجريدة ليـه ؟

ـ علشـان تدافـع عن مطالبنـا ٠

ـ وأيـه مطالبـكم ؟

ـ تطبيق **اللائحـــة** ٠

تدخل واحـد من **ضباط الجيش** :

ـ وأيـه اللى مش مطبق من اللائحـة ؟

ـ حاجات كتير ٠٠ الملابس لا تصرف لنـا فى المواعيـد المحـددة ٠ كمية الغذاء من لحـوم وعسـل وخلافـه ٠٠ كلها وزنها أقـل من الوزن المقرر فى اللائحة ٠

ووجه **ضابط الجيش** حديثه الى **مدير الليمان والمامور** :

ـ صحيح الكلام ده ٠٠٠ ؟

قال المأمور :

ـ أبـدا غير صحيح ٠ ٠

قال الزمبـل :

ـ أرجو الرجوع الى محاضر النيابة ٠

سأل ضابط الجيش مدير الليمان :

ـ أيـه محاضر النيابة دى ؟ ٠٠

لـم يجب

وحين تكرر الضابط السـؤال ٠٠ قال المأمور :

ـ يا أفنـدم ده قصـده محاضر النيابة الخاصـة باضراب الشـيوعين عن الطعـام ٠ وسـادت فتـرة من الصمت ٠ ٠

قال ضابط الجيش موجهـا حديثه الى الزملاء الأربعة :

ـ طيب انتو بقـى تروحوا لشـغلكوا ٠٠ وتفكوا الاضراب ٠٠ وراح نتفاهم

قال واحـد من الزملاء الأربعـة :

ـ أرجو أن تسمح لنـا بالاستمرار فى الاضراب حتى يتـم التفاهم ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ لكن أنـا وعدتك ..

ـ يا أفنـدم سمعنا وعودا كثيرة قبل كـده . .

قال ضابط الجيش :

ـ لكن يا ابنـى احنـا **ضباط اتصال من قيادة الثورة** .

قال زميـل . .

ـ يا أفنـدم نحن نحترم ونقـدر اهتمام قيادة الثورة .. لكن . .

ـ لكن أيـه ؟

ـ ممكن تصدروا أوامـر فـورا بالغاء الاجراءات الأخيرة . .

ـ طيب روحوا انتـو للشـغل .. ثم نـادى على المأمور وهمس فـى اننـه . .

وبينما كان الزملاء الأربعـة يعودون الى عملهم بصحبـة واحـد مـن ضباط السـجن وعـدد من السـجانة .. كان المأمـور يتجـه ومعـه عـدد من ضباط السجن والسـجانة الى عنبر ٤ زنزانـة رقـم ٦٤ حيث يقـوم باجـراء التفتيش الذى حدثتك عنـه من قبـل . وفى الوقت الذى كـان المأمور فيـه يجرى تفتيش زنزانتنـا كان **مدير السجن** فى الجبـل يرتكب احدى حماقاتـه . توجـه المدير بنفسـه الـى هنـاك تحيط بـه مجموعـة مـن الضباط والسجانة ورجال « **الهجانـة** » .. هذا يحمـل **مدفعـا رشاشـا** .. وهذا يحمل **بندقيـة** .. ورجـال « الهجانـة » يمسـكون **بكرابيجهم** المعروفة . كانت **مظاهـرة عسـكرية** لارهـاب المسجونين . وبعد مناقشـة لـم تـدم أكثر من عشر دقائق صـاح المديـر بأعلـى صوتـه وهو يشير الـى الزميـل المسـجون الذى كان يناقشـه :

ـ اجلدوا المسجون ده **عشرين جلـده** ./.

أسرع عـدد من السـاجنة ينصبون « **العروسة** » . . ويمسـكون بالمسـجون لربطـه عليها لتنفيذ حـكم الجلـد .. وقبـل أن يبـدا التنفيذ همس واحد من الضباط فى اذن المديـر بكلام لم يسمعه المسجونون صـاح المدير مـرة أخرى :

ـ أجرى يا سـجان هات طبيب السـجن .

تنص اللائحة على أن لا ينفذ حـكم الجلد الا بعد كشـف الطبيب علـى المحكوم عليـه بالجلـد ليقـرر اذا كـان يتحمل الجلد أم لا . كـذا ! القانـون لا يمنع جلـد المسـجون **بالسياط** ، ولكنـه حريص على أن **لا يموت** ، لاحبـا للانسـان ولكن خوفـا من المحاسـبة ، لا مانـع من تعذيب المسـجون حتى يصـل الى حافـة الموت . هذا ما يكفله القانـون للطغـاة الصـغار .. يتسـلمون المسجون حيـا وعليهم أن يحافظـوا عليـه حيـا علـى حافـة الموت فقط . أمـا الطغـاة الكبـار فلا شـىء يحـد من طغيانهم .. **فهم أصحاب البلد ومـا عليهـا من بشر وما بهـا من ثروات !** .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جـاء طبيب السجن ·· شاب حديث التخرج ·· عرفنـاه من قبـل · فقد وقف موقفـا مشرفـا خـلال **اضرابنـا عن الطعام** منذ مـدة ـ وقـد أشرت اليـه فى رسـالة سـابقة · كان وجهـه يجسـد كل ما يعانيـه من آلام · تبـا لهذه المهمة ، هل يحتم شرف المهنة على الطبيب أن يكـون صادقـا فى مثل هذه الحـالة ؟ الواجب يحتم ذلك · وما هو الواجب ؟ كلمة من ستة حروف صاغهـا الطغـاة لارهـاب موظفيهم · من ينور ضميره ويتمرد على هذا « الواجب » مصيره معروف ·· الفصـل من الوظيفـة على أقـل تقدير · ومن يطرح ضميره جانبـا فهذا هو الموظف الجيـد ، فهـو يقـوم بواجب الوظيفـة ! ما أفـدح الثمن الذى تدفعـه نظير صـدقك ! أن تكون صادقا مع نفسـك ومع الآخرين فانت بطـل اسـطورى · الصدق فى العالم يا حبيبتى شىء نـادر · وهو أكثر نـدرة فى عـالم الطغاة ·

بـدأ الطبيب الكشـف على المسـجون المحكوم عليـه بعقوبـة القرون الوسـطى خـلال النصف الثانـى من القرن العشرين ! وضـع الطبيب الشاب سماعته على صـدر المسـجون ·· وبـدأ الارتيـاح على وجـه الطبيب · واتسـعت معالـم الارتياح على وجهـه حين قاس ضغط المسـجون · كتـب تقريره ، وهم بالانصراف صـاح المدير :

ـ يا للا يا سـجان نفذ الحـكم ·

قال الطبيب :

ـ نفذه على مسـئوليتك · ·

ـ كيف ؟

ـ الضغط واطـى ·· ونبضات القلب سريعة ·

وأسـقط فى يـد المديـر ، انـه لـم يتعـود على مثل هذا الموقف · ان كشـف الطبيب بالنسبة لـه اجـراء شـكلى ليس الا ، اجـراء لاسـتكمال **الشكل القانونـى** ! **فالحكم يجب أن يكون بالقانون** ! ، صـاح المدير :

ـ يا دكتور قـم بواجبـك ··

قال الطبيب بهـدوء :

ـ لقـد قمت بواجبـى على أكمل وجـه ·

صـاح المديـر :

ـ سأستدعـى طبيبـا آخـر ·

قال الطبيب وهو أكثر هـدوءا :

ـ أفعل ما شـئت · · ولكنـى لن اسـكت اذا نفذ **الحكم بالجلد** ·

صـاح المديـر :

ـ سأجد طبيبـا آخـر يقـرر ما أريـده ·

قال الطبيب فى تحـد · ·

ـ لن تجد ··

وانصرف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان هناك أربعة أطباء يشرفون على علاج المسجونين من بينهم هذا الطبيب الشاب • **رفض** زملائه الثلاثة اعادة الكشف على المسجون •

عاد المدير مع **مظاهرته العسكرية** يحمل خفي حنين ، ازدادت ثقة المسجونين بأنفسهم وبوحدتهم واطمأنوا الى انه حتى في ظلام السجن وبين أنياب الارهاب سيجدون بين الموظفين من يتعاطف معهم ويقف الى جانب قضاياهم العادلة • ما أعظم الانسان هذا الكائن الغريب • انه حتى وهو بين فكي مفترسيه لا يفقد جوهره الانساني • المسجونون يلتفون حول المسجون المحكوم عليه بعقوبة الجلد التي لم تنفذ • يحتضنونه بحب • يقبلونه ويهنئونه ، وعدد من الضباط ، والسجانة يشاركون المسجونين عبر نظرات العطف الذي تفيض بها عيونهم • كانوا يكتفون بنظراتهم العطوفة التي تصل مباشرة الى قلوب المسجونين الذين يبادلونهم نظرات الحب والتقدير • كان هذا اللقاء الروحي أقوى من صخر الجبل الذي يحيط بهم من كل جانب • أقوى من **الارهاب والتعذيب والسلاسل** التي تقيد أرجل المسجونين •

ارتفع صوت البروجي يعلن انتهاء يوم العمل ، اختلطت نغماته بأصوات المسجونين •

ـ **الله أكبر على الظالم •• الله أكبر على الظالم** •

وفي سرعة لم يشهدها « الجبل » من قبل انتظم الجوعى واشباه الموتى المنهكين في مجموعاتهم ، **رنات مئات السلاسل** في أقدامهم تمتزج بنغمات البروجي وأصوات الساجين الهادرة •

ـ الله أكبر على الظالم •• الله أكبر على الظالم •

انتظمت صفوف موكب « **العبيد** » ، يحملون « **قروناتهم** » بها وجبة الغذاء من العدس ليسلمونه الى ادارة السجن لعمل **محضر اضراب عن الطعام** • كانت الشمس تختفي وراء الأفق • يبدد الظلام أشعتها ، ونبضات قلوب « العبيد » في موكبهم تعلو على رنات **قيودهم الحديدية** التي تكبل أقدامهم ، تؤكد ثقتها وايمانها بمولد يوم جديد تشرق فيه الشمس • شمس يوم جديد لا يعرف أمراض مجتمع الاستغلال وضحاياه •

وعلى غير العادة كان **مدير الليمان** يقف على الباب الكبير لليمان الذي يدخل منه موكب « العبيد » كل يوم بعد العمل الى السجن • وقبل أن ينصرف المسجونون الى زنازينهم يجرى « التمام » كي تطمئن الادارة على أن أحدا لم يهرب • في ذلك اليوم أمر المدير بان لا ينصرف الساجين بعد « التمام » عليهم ، تحدث اليهم عن مطالبهم وأعلن أنه قد الغى كل الاجراءات التي اتخذها ، وان كل شيء سوف يعود الى حالته الطبيعية • وطلب منهم انهاء الاضراب عن الطعام • وقف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الزملاء الأصدقـاء من هيئة تحرير « الطريق » واحـدا بعـد الآخـر وأعلنوا باسم المسجونين انهاء الاضراب عن الطعام • كانت هذه **أول مـرة** يتحـدث فيهـا مسجون باسـم زملائه • فالمفروض أن يتكلم كل مسـجون باسـمه فقط وكانت هذه أول مـرة يحقق فيها المسجونون مطالبهم خلال معركة جماهيرية •

لكن أمـرا كان **مبيتا** ضـد الزملاء الأربعـة الذين قادوا المعركـة وأمـرا آخـر كان مبيتا ضدنـا ، وحتى يمكن تنفيذ ما دبروه تراجـع المدير عـن كل الاجـراءات التى اتخذهـا •

وفى الرسالة المقبلة ، يا حبيبتـى : أحكى لك ذلك •

١٥ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٢١)

حبيبتـــى

هكذا وبالاضراب العـام عن الطعام وبوحـدة كـل المسجونين الرائعـــة تحطمت كـل الاجراءات الشـاذة التى اتخذهـــا مدير ليمان طـــرة • وصدرت « الطريق » فى اليوم التالـى من **صفحة واحـدة** ، تحيـى وحـدة المسجونين باعتبارها الأداة الفعالة لتحقيق مطالبهم • وحذرت « الطريـق » من محاولات الادارة التى لن تتوقف لضرب وحدتهم بمختلف الوسائل ، فهى أى « **الادارة** » اذا كانت قـد تراجعت فانهـــا سوف تنتهز أول فرصـة مناسبة لهـا للانتقـام من هزيمتها التى لـم تحدث من قبل فى تاريخ السـجون فى مصر • ومضى يومان لم يحدث خلالهما ما يشير الى أى شىء ضد المسجونين بل انهم كسبوا مزيدا من المكاسب ، وساد فى الليمان جو ودى وأخوى بين المسـجونين وضباط الادارة والسـجانة ، وكان مدير الليمان يتودد اليهم بطريقـــة تتعارض مع طبيعـة تكوينه الانسانـى والنفسـى ، فضـلا عن أنـه هـزم فى معركة كانت موجهـة ضـده فى الأساس • وبذل مأمور السـجن جهـدا كبيرا بين المسجونين كى يعود الى موقعـه القـديم قبـل أن يفضحوه • حتـى نحن ، خففت الادارة **قيـود الحراسـة** المشـددة علينـا ، وعـاد المأمـور يتودد الينـا بشكل مبالغ فيه • حتـى المديـر لـم يكن يعترض على بعض مطالبنـا التى كان يرفضهـــا من قبل • لـم نقابـل هذا الجـو العـام بالارتيـاح ، فنحن مسجونون فى قبضتهم يسـتيطعون التنكيل بنـا فـى أى لحظـة وليس هناك أدنـى شـك عند الادارة فى أننا كنـا وراء هذه المعركـة التى هزمت فيهـا • فضـلا عن أن المعركـة كان لهـا طابعهـــا السياسـى رغم جوهرهـا الاقتصادى ، وبالتالى فان الدولة لن تقف مكتوفـة الأيـدى ، **وأن مؤامرة تدبـر ضدنـا** • كان هذا ملخصـا للرأى الذى انتهينـا اليـه بعد مناقشـة فى مسـاء اليوم الثالث للاضراب العـام •

وتشـاء الصدفـة أن يصلنـا فى نفس الليلة ما يؤكـد تحليلنا للموقف • كان هنـاك سجانان يتبادلان حراسـتنا اثنـاء الليـل بصفة دائمـة ، وسـجان ثالث يتولـى حراسـتنا خلال النهار • وكان هؤلاء الثلاثـة لا يتغيرون خلافـا لمـا يتم بالنسبة لباقـى المسجونين ، وذلك كـــى تستطيع الادارة فرض الرقابـة على هؤلاء السـجانة وتفتيشـهم تفتيشـا دقيقـا عند دخولهم الليمان أو الخروج منه ، وخوفـا من احتمال قيامهم بادخـال أو اخراج رسائل لنـا • وكان من بين هـؤلاء الثلاثة رجل معروف بشراسـته

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصلته **بالمباحث العامة** • كان هذا الرجل بمـوم كالمعتـاد فى تلك الليلـة بنوبـه حراسـته علينـا التى تبـدأ من غروب الشمس ـ موعـد اغـلاق الزنزانـة ـ حتى منتصف الليـل ، لكننا لاحظنـا أن زميله فى الحراسـة لـم يتسلمها منه كالمعتاد ، واستمر هو فـى الحراسـة • فـى الظـروف العاديـة يمكن أن لا يثير ذلك انتباهنـا • وضعنـا علامـة استفهام وقررنـا رغم مقاطعتنا لهذا الرجل الذى كان دائم الاستفزاز لنـا أن نجـرى معـه حوارا نعرف منـه سبب استمراره فى حراستنا وهل هو أمـر عـادى ؟ أو هو مرتبـط بحملة تفتيش فى الصباح ؟ هذا الرجـل يأتـى باسـتمرار فى كل حملات التفتيش ومهمتـه الرئيسية هى استفزازنـا ، وكان خـلال نوبة حراسته لا يترك باب الزنزانة بنظر من ثقبها ليرى ما نفعل ، واذا غابت عينه اليمنى أو اليسرى عن ثقب الزنزانه فهو لا يستطيع أن يـرى بعينيـه معاً من هذا الثقب الصغير ـ يتصنت علينـا ليسـمع ما نقول دون أن نراه • وكنا علـى حـذر دائـم منـه ، ورغم مقاطعتنـا له تماما الا أننا كنـا نحتفظ بأحـد الخيوط معه ، وكان خيطنـا هو **وليـم اسـحق** الذى بـدأ حوارا معه ، تبينـا منـه أن المسـألة لـم تكن مجرد تفتيش مفاجـىء استفزازى ، وانما هو أمـر أخطر من ذلك بكثير ، صـاح وليم ينادى :

ـ يا شاويش (•••) « اسم الحارس الآخر الذى لـم يحضر » •

ـ عاوز أيـه يا مسـجون ؟

ـ الله •• هو أنت • ؟

ـ لا •• خيالـى •

ـ وهو الخيال بيتكلم برضـه ؟

ـ عايز أيـه ؟

ـ خلاص بقى ، كنت فاكرك الشاويش (•••) •

قال الرجل بضيـق :

ـ لا يا سيدى •• جيت اسلمه قالوا لـى ما تسلمهوش واستمر أنـت !

ـ ليـه هو • عيـان ؟

قال ورنه الغضب فى صوتـه •

ـ عيـان ايـه ده زى الطـور •

قال وليـم وهو يضحك •

ـ والله ما لهم حـق • • بوظوا مشروعاتـك •

ـ مشروعات أيـه ؟

ـ يعنـى •

ـ يعنى أيـه يا مسجون •

ـ يعنى •• أنت برضه لسه متجوز جديد •

أصابت الكلمة الرجل فى الصميم • وقال بأسى وحزن :

ـ وأنا كنت جاهـز على الآخـر !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ ما هو أنت ممكن تستحمل ٠٠ لكن هى بقى ٠ ٠

قال الرجل بانزعاج ٠٠

ـ هى أيه ؟ ٠٠ ما هى تستحمل برضه ٠

ـ على العموم ما تفكرنيش ٠

ـ ما أفكركتش بايه ؟ ٠

ـ لا مالوش لزوم ٠٠ أضايقك ٠ ٠

ـ تضايقنى ؟ ٠ ازاى ؟ ٠

ـ أصل أنا حصلت لى ظروف كده زيك ٠٠

ـ وبعدين ؟

ـ فى يوم كده كنت جاهز زيك ٠٠ ومراتى منتظرانى ٠٠ وما روحتش ٠٠

اشتد انزعاج الرجل وقال :

ـ حصل أيه بس ٠٠ قول ٠٠ ؟

ـ حصل اللى حصل بقى ٠٠

ويكمل وليم

ـ على العموم ما نشبلش هم ٠٠ مش كل الستات زى بعض

ـ أيه بس اللى حصل ٠ ٠ ؟

ـ رأسها وألف سيف لازم تتطلق ٠٠

ـ يا ساتر للدرجة دى ٠٠

ـ أصل ما عندكشى فكرة ٠٠ الست مش زى الراجل ٠٠ لما تجهر ٠ لازم يحصل ٠ ٠

ـ طب واذا ما حصلش ٠

ـ والله بقى ٠٠ مش عارف أقول لك أيه ٠

ـ يا نهار أسود ٠٠ طب دنا مسافر بكره ٠

ـ مسافر ٠٠ فين ؟

ـ أنا عارف قالوا لى أعمل حسابك بكره علشان تسافر فى مهمة من الصبح ٠

ـ واسمعنى انت يعنى ؟

ـ فيه سجانة تانيين وضباط ٠٠ راح يسافروا ٠

ـ همه راح ينقلوا السجن والا أيه ؟

ـ أيه بتهزر ؟

ـ على العموم ما تاخدش فى بالك ٠٠ راح تتاخر كتير ٠٠ ؟

ـ أنا عارف راح اتهبب قد أيه ٠٠ الله يخرب بيت بتوع السياسة ٠٠

ـ وبتوع السياسة مالهم ٠٠ ؟

ادرك الرجل انه قد استدرج ، عرفنا نحن اننا سوف نرحل فى الصباح الى اين ؟ هذا ما لا نعرفه ٠ هل يعرف الرجل ؟ واستمر وليم فى حواره الطريف معه ٠ وبدأ مجدى فهمى يعاونه الزملاء فى الاستعداد للرحلة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الى **المجهول** صباح الغـد · أخـذوا فى تخبـئة ممتلكاتنـا من نقود وكتب· لأخذهـا معنـا · سلاحنـا الدائـم معنـا هو الكتب · ونحن دائما جاهـزون للرحيل نأخذهـا معنـا اينما نذهب وبوسائلنا الخاصة ·

ويستمر **وليم اسـحق** فى حواره مع السجان :

ـ وراح يودوا الاخوان المسلمين فين ؟

ـ ما أعرفش · أنـا قلت حاجـة ؟

ـ ولا أنا سمعت حاجـة ·

ـ أمـال بتسـأل عن أيـه ·· ؟

ـ يا شاويش (···) احنـا رجاله وانت عارف ·

ـ وأنا مالـى ·· رجاله ولا مش رجالـه ··

ـ يعنى رقبتنـا ولا يمكن نقول ان احنـا عرفنا منك حاجة

ـ حاجة أيـه ؟ وأنـا قلت حاجـة ؟

ـ يعنى ·· احنـا برضـه بنفهم ··

ـ وفهمت أيـه ؟

ـ فهمت اننا راح نترحل بكره ·

ـ وفهمت من مين ؟

ـ يعنى ·· الكلام أخذ وجاب معاك ··

ـ لكن أنا ما قلتش حاجـة ··

ـ يا راجل واذا كنت قلت ·· احنا رجالة ·· رقبتنـا يا شاويش (···) ـ

ويرد الرجل مسـتعطفـا ··

ـ لكن أنا عملت فيكو كتير ··

ـ يا راجل ما تقولش الكلام ده ·· احنا اخوات ··

ويستطرد الرجل بنـدم :

ـ صحيح يا أخى ·· لسانك حصانك ان صنته صانك ·

ـ يا راجـل ولا كأنـى سمعت حاجـة ·· لكن راح يرحلونا فين ؟

ـ لا ما أقدرش أقول بقـى ؟

ـ على العموم ·· يعنى راح نعمل أيـه لو عرفنـا راح نترحل فين ؟

ويرد الرجل بـود لـم نعهده من قبل ··

ـ ريتنـا معاكـو ··

ـ أهو سجن زى كل السجون ؟

ـ مين عـارف ··

ـ حيكون أيه يعنى ·· أبو زعبل ؟ · كنا عندك ··

ـ يا ريـت · ·

ـ فيه أكتر من أبو زعبـل ؟

ـ أيـوه فيـه · ·

ـ فين ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ **وراء الشمس** ٠

وانصرف الرجل ، وعبثا راحت كل محاولات وليم لمعرفة هذا المكان الذى يقع **وراء الشمس** ٠ وأخذنا نضرب أخماسا فى أسداس ٠ ربما سنرحل الى **معتقل الطور** ؟ لكن **معتقل الطور** يستقبل منذ العهد الملكى أفواجا من المعتقلين وأصبح مثله مثل كل السجون ٠ ولم نصل الى تحديد هذا المكان الذى سنرحل اليه صباح غد والذى يقع وراء الشمس ٠ كان من الضرورى أن ننقل هذا الخبر الى زملائنا فى **الزنزانة المجاورة** ٠ وصاح وليم بأعلى صوته :

ـ دكتور شريف حتاته ٠

وصاح السجان :

ـ اسكت يا مسجون ٠

ـ يا شاويش عاوز أسأل الدكتور شريف على اسم دوا ٠

ـ طيب قول وأنا أساله ٠

ـ أصل اسمه بالانجليزى ٠٠

ويصيح شريف من الزنزانة المجاورة ٠

ـ فيه ايه يا وليم ٠٠ مالك ؟

ويقاطعهما السجان :

ـ اسكت يا مسجون أنت وهو ٠

ويقول وليم :

ـ يا شاويش طيب هات ورقة وقلم علشان أكتب اسم الدوا للدكتور شريف ٠

ويطير صواب السجان ويصيح بأعلى صوته :

ـ يا نهار أسود ٠٠ ورقة وقلم أنت عاوز تودينى فى داهية ٠

ويقول وليم :

ـ طيب تعالى اساله أنت

ويحضر السجان ليعرف اسم الدواء ويطلبه من الدكتور شريف ، ويقول له وليم كلام باللغة الانجليزية لا يستطيع السجان أن يستوعب كلمة منه ٠ وأخيرا يقترح وليم أن يطلب من الدكتور شريف أن يقف على «**جردل البول**» وسيقول له اسم الدواء أمامه ٠ يقبل السجان الاقتراح بعد أن يطلب منه بالحاح أن لا يقول له شيئا عن مسألة ترحيلنا ٠ وينقل وليم الخبر الى الدكتور شريف حتاتة بالانجليزية ويدور بينهما حوار بالانجليزية ، سريع ولكنه ينتهى الى اتفاق حول ضرورة مواجهة وضعنا الجديد بوحدة تامة لا تسمح بأى فرصة لاستغلال الخلافات السياسية بيننا ٠ كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا وكنا قد اعددنا أنفسنا للرحلة **الى المجهول** ، الى وراء الشمس كما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وصفه السجان · أخلينا كل المخابىء من ثروتنا الثمينة من الكتب ، وقمنا بتخبئتها بوسائل خاصة تتبع عند الرحيل · وبدأ دور مجدى فهمى المعروف · أخذ يحدثنا بطريقته العبقرية فى رفع معنوياتنا وشحذ هممنا ، وتأكيد ايماننا بالقضية العادلة التى وهبنا حياتنا من أجلها ، قضية مصر الحبيبة وشعبها العظيم وترابها المقدس · ثم أخذنا نردد نشيد بلادى · بلادى · ونغنى أغانى سيد درويش · ومع الأشعة الأولى لشمس اليوم الذى سنرحل فيه الى **المجهول** كنا نغنى : طلعت ياما أحلى نورها ، شمس الشموسه ، نعم ما أحلى نور الشمس الذى يجدد الحياة حين يعطى اشارة العمل للكادحين · ما أحلاه حتى لنا نحن الذين لا نعرف حتى هذه اللحظة ، أي مكان هذا الذى سنرحل اليه ، هذا المكان المجهول الذى يقع وراء الشمس · ·

كيف رحلنا ؟ والى أين ؟

الى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ،،

٢٠ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٢٢)

حبيبتـــى

الايمـان ، الالتزام ، اليقين ، الانتمـاء ، كلمات تتداولهـا كثيرا أدبيات السياسـة والفكر والأيديولوجيـة • والمناضلون هم أكثر الناس ادراكـا ووعيـا بدلالاتها لأنهم يعيشونها ، لكن المحـن المختلفـة التـى يتعـرض لهـا المناضلون ، وبصـفة خاصـة فى السجن تجسـد أمامهم كـل ما تعبر عنهـا من مسئولية • فان تكون مؤمنـا بفكرة ، ملتزما بالنضـال من أجلهـا ، وعلى يقين من انتصارهـا ، وتتحمل مسـئولية الانتماء اليهـا وأنت خارج السجن أمـر مختلف تماما عنـه وأنت داخـله • فى السـجن تجـد نفسـك أمـام اختبـار حاسـم أمـا الاستمرار مهما كانت التضحيات ، أو الانهيـار والاستسـلام • والثورى انسـان تمر بـه لحظـات ضـعف كما تمر بكـل انسـان ، لكن ما يفـرق الثورى عن الانسان العادى ، هـو عدرته على التغلب على تلك اللحظات من الضعف ، بالتغلب على الـذات وهذه هى البطولـة •

ولحظـات الضعف التى مـرت بى وبزملائى خـلال الساعات القليلة التـى سبقت ترحيلنـا الى « وراء الشمس » كانت من أقسى اللحظات التى مـرت بنـا خـلال السـنوات السـابقة ، فى سـجن مصر ، وليمـان ابو زعبل ، وليمـان طـره ، كدنـا نصل الى يقين باننـا ذاهبون فى مكـان لاتمتـد اليـه الا يـد البطش والارهاب والتعذيب حتى الموت • ولم يكن أمامنـا كى نجتـاز تلك اللحظـات الرهيبـة من الضعف الانسانى الا أن نؤكـد مـن جديد المعانـى العظيمة التى تحملها كلمات الايمان ، والالتزام ، واليقين ، والانتماء ، تـارة بمخاطبة عقونـا ، وقـد توليت أنا هذه المهمـة ، وتـارة بمخاطبة الوجدان ، وتولاها مجدى فهمى بأسلوبه الساحر وتارة باستثارة كل مكنونات الانسان الخيرة وقـام بهـا وليم اسحق ، ثـم بحماس الشبـاب واندفاعه وكان محمـد خليفـه ـ عمره يومذاك ١٩ سـنة ـ ونحن نـردد وراءه الأناشيد الثورية والوطنية ، ثـم وحتى الدقائـق الأخيرة لمعرفة المكـان الذى سنذهب اليـه ، باستعادة مواقف بعض الرواد الأبطال الـذين عـرفتهم البشرية فى مختلف الميادين السياسية والعلمية والدينيـة • هكذا قضينـا الساعات الأولى من صباح يـوم ترحيلنا بعـد فتح بـاب الزنزانة ، كـان المأمور على رأس الحملة التى قامت بالتفتيش بطـريقة عـادية تمامـا •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لاحظ المأمور وجـــود رمـــاد ورق محروق فى « جردل البـــول » هز رأســـه وابتســـم ابتسامة حبيثـــة وقـــال :

— أيـــه الورق المحروق ده ؟

— كنـــا بنعمل شـــاى ٠

— شـــاى ولا شيوعيـــة ؟

— ظـــريفة ٠

— عجبتك ٠٠ ؟

— تعجب الباشـــا ٠٠

— ما خلاص مفيش باشوات

— كل سنة وأنت طبب

— قصـــدك أيـــه ؟

— قصدى اللى قلتـــه

— والمعنى فى بطن الشـــاعر طبعـــا ٠

— فى أى بطن تعجبك

— كلام يحاسب عليـــه القانون ٠

— قـــم بواجبك

— غلبت وغلب غلبى معاكو

— ولســـــه

وابتسم الرجل ابتسامة ماكـــرة حاقدة ، وقال بصوت كـــريه :

— كل واحـــد يلم هدومه راح نرحلكو من هنـــا

— فين ؟ ٠

— راح تعرف لمـــا توصل

وتحـــرك الرجل بخطوات متثاقلة نحو باب الزنزانة ، وقال :

— سيبوهم ياخدوا الورق اللى عاوزينـــه ٠٠ هو مين هناك راح يقـــرا مجـــــلات !!

وسأل ســـجان :

— والكتب يابيـــه ؟

— ياخدوها معاهم ٠٠ مفيش أى خطـــر منها هنـــاك ٠٠

ويستطـــرد :

— وكمان اذا لقيتوا منشـــورات سيبوها لهم ٠٠ لاضرر منها هنـــاك ٠٠ المشـــطارة بقى تجيبوا غيرها ٠

ويعـــرد عليه مجدى فهمى بتحـــدى ٠٠

— طول مافيناً نفس ٠٠ لن يتوقف نشاطنا ٠

ويتصرف الرجل مسرعا ٠٠ بينمـــا يقـــوم السجانة بتفتيش شكلى ٠٠

ويهمس ضابط صديق :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ **الواحات الخارجة ..**

ويهمس آخـــر :

ـ شدوا حيلكو .. ربنـــا معاكو ..

الواحات الخارجـه ! من هو هذا الغاشى الذى تفتق ذهنـه الشرير عـن فكـرة **نفيذا فى قلب الصحراء** . كـــان الفاشست يلقـون بالمنـــاضلين الوطنيين الى **أفـران الموت** . وهؤلاء الفاشست ، هل يسوقونا الى المـوت جوعـا وعطشـا هـل ددروا اننـا الموت **بسم الثعابين فى الصحراء** . وانتبهنا فجاة على صوت سجان شرير يقـول :

ـ لدغـة « **الطريشة** » هناك هـى والقبر على طول . .

وترتسم ابتسامة هادئة على وجـه **وليـم اسحق** ويقـول :

ـ مين عارف .. ممكن أول لدغـة « **طريشة** » تكون من نصيبك .

وتظهر ملامح خـوف على وجه هذا السجان الجبـان . لحظـــة صمت رهيب .. يقطعهـا صوت **الضابط الصديق :**

ـ يا جماعة ما تسمعوش كلام السجان ده .. مش للدرجة دى .

ويصيح فى الســجانة :

ـ يالله بقى .. مش خلاص ؟

ويلتفت الينـا ويقول بصوت ودود :

ـ شـوية كده .. ارتاحوا .. لغاية ما ننادى عليكو ..

وتمضى أكثـر من ساعة ، لم نتوقف خلالها عن الحديث بعـد أن أغلقت علينـا الزنزانة من جديد . **مجدى فهمى** باسلوبه البسيط المقنع يؤكـد لنـا أن النظـام أضعف من أن يقـوم بعمليـة ابادة جماعية لنـا ، فمثل هـــذا العمل الاجرامى لايمكن أن يمـر بسهولة ليس فى مصر فقط ، وانمـــا ايضـا فى العـالم التقدمى . ويذكرنا بموقف القـوى التقدمية ومساندتها لنا خلال **الاضرابات عن الطعام** التى قمنا بهـا **ووليم اسحق** بصوته الانسانى العميق يحدثنا عن بطولات الذين استشهدوا من أجل **أفكارهم وآرائهم . ومحمد خليفه** بصوته الجهورى الذى يفبض شبابا وحيوية ينشد وترتفع أصواتنا وراءه تقـول بكل التحـدى ..

ـ سنتونا فى المنافـى .. واملاؤا منـا السجون .

سوف تأنيكم ليـالى .. برقها عصف المنون

ثـم تنضم أصواتنا الى أصوات زملاءنا فى الزنزانة المجاورة ..

بلادى بلادى .. لك حبى وفؤادى .

وتفتح الزنازين .. وتستمر اصواتنا جميعـا تردد من الأعماق مصر انت اليوم حـــرة .. فوق جبين الدهـر درة .

يا بلادى عيشى حـرة .. واسلمى رغم الاعـادى .

وبين صفين من السجانة الذين يحملون **البنـادق والرشاشات** ، تعـــلو **متافاتنا بحياة مصر وشعب مصر ، وبالديمقراطية ، والحريات السياسية ،**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انتظار ترحيلهم تمتزج مع أصواتهم التى تردد .. **الله أكبر ولله الحمد** .. وتصل أصواتنا الى أسماع عدد من **الأخوان المسلمين** الذين سبقونا فى وبالقرب منهم جلسنا نتبادل معهم النظرات الودودة والكلمات الخاطفة المشجعة (كنا قد نظمنا معهم مناقشات سياسية ساكتب لك عنها فى رسائل مقبلة) ..

وكان **مدير الليمان** يقف منفوشا كالديك الرومى ، يحيط به عدد من السجانة يحملون **سلاسل حديدية** ، طويلة ، وغليظة ، وعدد آخر يحمل **مطارق وسنادين** ، وارتفع صوته المرتعش يقول :

ـ أى نوع من المقاومة ستقابل **باطلاق الرصاص فورا** .

وترتفع أصواتنا :

ـ دماؤنا فداؤك يا مصر

ويعود صوت المدير يردد :

ـ أى خروج على النظام .. معناه عصيان ، والعصيان فى السجن يقابل **بضرب الرصاص فورا** .

ماذا يريد المدير من وراء ترديده هذه الكلمة ؟

هل تبدأ مؤامرة أبادتنا باطلاق **بعض الرصاصات الميته** لبعضنا لارهاب من يبقى حيا . ترديد هذه الكلمات اذن هى محاولة لاستمزازنا وجرنا جرا الى **المؤامرة** . وبسرعة اتخذنا قرارا بالتوقف تماما عن الهتافات وترديد الاناشيد . ومضت دقائق فى صمت رهيب ساد الجميع ، المسجونون المساقون الى « **وراء الشمس** » والسجانة الذين يحرسونهم ، والضباط الذين لا يعرف أكثرهم ما يجرى وما سوف يجرى لنا . حتى المدير نفسه توقف عن اصدار الأوامر واطلاق كلمات التهديد . صوت قطار يأتى من بعيد ببدد هذا الصمت الذى ران على الجميع ، ودخان أسود كثيف يخرج من مدخنة القطار ليغطى سماء حوش الليمان ، ويتلاشى بسرعة فى أشعة الشمس القوية حين يتوقف نعيق « **قطار الموت** » ويهمس صوت الضابط الصديق ..

ـ أرجوكم .. نفذوا الأوامر .. وتوقفوا تماما عن الهتافات والاناشيد.

لقد صح ما توقعناه اذن . هذا الصوت الودود المخلص نثق فيه . حياتنا ثمينة ويجب أن نحافظ عليها . كانت هتافاتنا واناشيدنا من أجل رفع روحنا المعنوية ولقد أدت دورها . عفا ، ان الانسان موقف . لقد اخترنا بارادتنا موقفنا قبل السجن .. النضال من أجل حرية مصر وحق شعبها فى أن يحيا حياة كريمة . . وهو موقف ازداد اقتناعنا به خلال السجن رغم التعذيب والأرهاب ، ولن نحيد عنه حتى آخر لحظة من حياتنا ، وفى هذه اللحظة الحرجة التى تتعرض فيها حياتنا للخطر لن يكون تصرفنا « دون كيشوتيا » . نعم لن نساوم على أفكارنا ، ولن نستسلم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

للارهاب · ولكن يجب أن تدرك أن شعرة واحدة تفصل بين الموقف النورى وبين الموقف المغامر · وقررنا أن ننفذ نصيحة **الضابط الصديق** ·

وارتفع صوت المدير فى محاولة أخرى لاستفزازنا وجرنا الى **معركة الصوت** :

ـ أكرر مرة ثانية ·· أى حركة من أى مسجون ستقابل **بضرب الرصاص** ·

وتلتفت الى حاملى **البنادق والدافع الرشاشة** :

ـ الجنود ·· **فى وضع الاستعداد** ··

ومى لحظة رأينا أفواه البنادق والرشاشات مصوبة الى **صدورنا** ··

ويسود الصمت الجميع ·· لاكلمة واحدة من أحد ·· بل ولا حركة · **نحن والاخوان المسلمون** نجلس القرفصاء على الأرض · أفواه البنادق مصوبة **نحونا** · والجنود يحيطون بنا من كل جانب ، **والقطار** يقف بعيدا عنا ، وفجأة يبدد هذا الصمت الرهيب صوت « **البروجى** » يعلن قدوم « **اللواء** » مدير مصلحة السجون وبرفقته عدد من **ضباط الجيش** والسجون وعدد من **الأفندية ضباط المباحث العامة والمخابرات** · يتقدم اليهم مدير الليمان والمأمور ·· يلفون اليهم التحية ·· ويتقدمون جميعا نحونا · ويرتفع صوت غليظ ··

ـ انتبـــاه ··

ونقف جميعا صفوفا منتظمة ··

ويرتفع الصوت الغليظ مرة أخرى :

ـ أقعـــد ··

ونعود الى جلسة القرفصاء « الديز »

ويعود الصمت مرة أخرى ، لكن همسا يدور بين أصحاب « **الكابات** » الحمراء **والنياشين الكثيرة** على صدورهم ، و « **الأفندية** » **الذين** تبدو عليهم البساطة اذا قورنوا بزملائهم القادمين بصحبتهم ، ولكن الحقيقة انهم هم أصحاب الأمر والنهى · ويستمر الهمس دقائق تمر كالدهر ، نشعر خلالها بأن آخر أنفاسنا معلقة بما يدور بينهم من همس · ربما يعنفون مدير الليمان الذى لم ينجح فى تدبير **مجزرة** يروح ضحيتها عدد منا ؟ ربما يدبرون **مؤامرة** بديلة ؟ ويناقشون « أفضل » طريقة لاستفزازنا ؟ ·· على أى حال لن نستجيب لأى نوع من أنواع الاستفزاز ، دون أى تفريط فى كرامتنا ، كما لن نقبل أى اهانة لافكارنا ·

ورأينا على البعد ·· واحدا من « **الأفندية** » يقبل نحونا ، الابتسامة الصفراء تكسو وجهه · يبدو أنه رجل **مخابرات خطير** ، ويصيح سجان بصوته الغليظ :

ـ انتبـــاه ··

ونقف صفوفا فى انتظار القادم · ويهمس الضابط الصديق :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ لا تستجيبوا لأى استفزاز ..

ويذهب سريعـا الى الاخوان المسلمين يبلغهم رجاءه .

ماهوذا « الأفندى » يسير بين صفوفنـا فى خيلاء وغطرسة الجبنـاء ، ينظر لينا ، ويقف بين الحين والحين أمام واحد من الزملاء . واستمر هكذا دون أن ينطق بحرف واحـد . لكن ابتسامته صفراء تكسو وجهه الجامد الخـالى من أى تعبير ثـم عـاد الى « **هيئة أركان حرب** » وراح يتحدث معهم ، وساد الصمت مـرة أخـرى . التفت الينـا الضابط الصديق وتبادلنا معه ابتسامات مودة ، ثـم تركنـا واتجه الى حيث يقف **الضباط الكبار والأفنديات** بعـد أن همس لنـا :

ـ أروح أشـوف الاخبار .

ما الذى كان يريده ، هذا « الأفنـدى » ؟ وما معنى صمته التـام ؟ أنـه لم يوجـه الى أحـد منـا كلمة واحـدة لاستفزازه ، فقط كـان ينظر الـى عيوننا ، ما الـذى كـان يريـد أن يراه فيها ؟ أنـه بالتأكيد لـم يـر فى عيونـا شيئا مما كان يريـد ان يـراه . لـم ير منها غير بريـق التحـدى والاصرار . وهؤلاء البشر يا حبيبتى جبنـاء .. أنهم بكل ما يملكون من قوات البطش والتعذيب والارهاب يجبنون أمـام نظـرة تحدى واحـدة . ولقـد شهد الرجل عشرات من نظرات التحدى والاصرار ، فهل عـدل عـن تنفيذ مهمته التى جاء من أجلها ؟ ولماذا ؟ ربما استفظت فجـأة نبضـة من ضميره الميت فاستجاب لهـا انسانيا ، وربمـا جبن أمـام نظـرات التحدى التى وجدها فى عيوننـا . ونرى من بعيـد الاجابة على وجه الضابط الصديق القـادم الينـا من جديد بعـد أن أصدروا اليـه الأوامـر التى لـم نسمعهـا . كنـا نعـرف ما يريـد أن يقوله لنـا من خـلال تعبيرات وجهه، كنـا قـد امتلكنـا القـدرة على أن نعـرف ماذا تحمل لنـا ابتسامته حين تكون انسانية ومودة . وحين تكون حزينـة ، وعرفنـا من ابتسامته كـل شىء قبل أن يقـول لنـا :

ـ اطمئنوا أنا سأسافر معاكم ..

مهمـا يكن الأمـر ، فان وجود هذا الضابط الصديق معنـا سوف يخفف كثيـرا من آلام رحلة العذاب الى « **وراء الشمس** » .

قال لنا الصديق :

ـ أنهم أن ينفذوا كل الأوامـر حتى يرحلوا الشمال ويسيبونـا . اتفقنا؟

ـ اتفقنـا ..

وبـدأت عمليـة اعدادنا للسفـر الى **الواحات** ، عمليـة تستحق رسـالة بكاملها . فالى الرسـالة المقبلة يا حبيبتى ،،

٢٢ يونيـو ١٩٧٧
القاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٢٣)

حبيبتـــى

فى حديقة الحيوانات ، يضعون الوحوش المفترسة فى أقفاص من الحديد كى لا تفترس الناس الذين يتفرجون عليهـا • وفى السجون يضعون **المحكوم عليهم بالأعـدام** فى زنازين تشبه هذه الأقفاص ، ليس خـوفا منهم علـى الناس ، ولكن خوفا عليهم ! فمهمـة الحارس الذى لا يفارق قفص المحكـوم عليه بالأعدام هى أن لا يعطيه فرصـة **الانتحـار** ! فهل كانوا يخافون علـى الناس منـا ، أم يخافون علينـا حين كدسونا مقيدين **بالسلاسل الحـديدية الغليظـة** فى أقدامنا داخل أقفاص الوحوش المفترسة ، الملحقـة بالقاطـرة التى جرتهـا الى **الواحـات** ؟ لا هذا ، ولا ذاك بالطبع ، وانمـا كـانوا يخافون أن نهـرب ! **الشيطان** نفسـه لا يستطيع أن يهرب لو قيدوه بالسلاسل كمـا قيدونا ، ووضعوه فى زنزانة حدرانها من اسياخ **الحـديد الصلب ، وعلى** كل باب من أبوابها يجلس **حارسان** يمسكان **بالمدافع الرشاشـة** وكل خمسـة أشخاص **مقيدون بسلسلة واحدة غليظة** ، اذا تحـرك شخص واحـد فلابـد أن يتحـرك الأربعـة الآخـرون معه ، وفوق هذا كله فالقطـار يجرى بسرعة لا تقل عن ٦٠ كيلو متـرا فى الساعة !

مازلت أذكـر بكل التفاصيل الصغيرة عمليـة اعـدادنا للترحيـل الـى **الواحـات** • قسمونا الى مجموعات ، كل مجموعة من خمسة زمـلاء ينـادون عليهم بالاسم من كشف كان فى يـد المديـر • بعـد أن يتجمع الخمسة يحيط بهم ٤ سجانة وضابط ويذهبون الى ورشة الحدادة فى الليمـان حيث يجرى **دق السلاسل فى أقدامهم** ، فى سلسلة طويلة ، ثـم يذهبون الى « الزنزانة » فى القطار وفى كل « زنزانة » تكدست خمسة مجموعات • أى ٢٥ زميـلا فى زنزانة لا تزيـد مساحتها عن ٢ × ١ر٥ متر • جدرانها من أسياخ الحديد الصلب ، وسقفها الواح سميكة من الحديد كذا أرضيتها العارية تماما الا من الأوساخ والقاذورات • وبعـد أن انتهوا من عمليـة تكبيل كل **الزملاء والأخوان** المسلمين وتكديسهم فى « زنازين » القطار ، وقبل أن يتحرك القطار نحـو رحلة « المجهول » شعرنا من خـلال القضبان مشهدا بشعا تـرك فى أعمـاقى جرحـا لن يندمل أبـدا •

كان أصحاب الكابات الحمراء على الرؤوس والنياشين الكثيرة على الصدور • ومعهم « الأفندية » ومدير السجن يقفون بعيـدا فى ركن من أركان حـوش

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الليمـان ، وكان عـدد من السجانة يحمل « **العروسة** » ـ التى تستخدم لجلد المسجونين ـ وينصبونها فى وسط حوش الليمـان • وبعـد قليل شـــهدنا اثنين من زملائنا المسجونين من هيئة تحرير « **الطريق** » ـ وقـد كبلت أقدامهم وأيديهم **بالسلاسل** ، يجرهم السجانة وعلى رأسهم المأمور • وعند العروسة يصدر المأمور أمـرا بفك سلاسل أحـد الزميلين واعـادة تقييده « **بالعروسة** » ثـم يصدر أمـرا بالجلد • أكثـر من ربع ساعة كان سجانان يتبادلان ضرب الزميل بالكرباج على ظهره العـارى تماما ، ولم تصدر عن الرجل آهه واحدة أو صرخه • ثـم اعادوا تكبيله من رجليه ويديـه بالقيود الحديدية • وتكـرر المشهد مع الزميل المسجون الآخر • لو أن هـذه السياط نزلت على ظهـرى مـا تألمت مثلمـا تألمت فى تلك الدقائق • كنت أرى الألم يعتصر زملائى الذيـن يشاركونى **القيـد الحديدى** • كنـا نتبادل الألم ولا نستطيع عمل أى شىء حتى مجـرد تشجيع الزميلين الذين تحملا ضربات السياط بشجاعة نـادرة وتحد كبير • كنـا نعلم أنهمـا ينـالا جزاء صداقتهم لنـا وصلتهم بنـا • وتبادلت مع **مجدى فهمى** الذى كـان يشاركنى **القيـد الحديدى** حوارا بالـغ الأهميـة في دلالتـه ••

ـ انهما بؤديان ضريبة صداقتهما لنـا •

ـ بالتأكيـد بعـد أن فشـلوا فى الحصول على اعتراف منهما •

ـ من أين يستمدون هذه الشجاعة النادرة ؟

ـ انهما وغيرهما ليسا سوى صديقين ؟

ـ وهما يتعاطفان معنـا انسانيا فقط ؟

ويتدخل **وليم اسحق** ـ وكـان فى سلسلة أخـرى ـ :

ـ وهل لا يكفى هذا ؟ التعاطف الانسانى هو الأساس •

ـ وهل نقف هكذا مكتوفى الأيـدى ؟ •

ويضحك وليم ، ويقـول :

ـ ألسنا مكتوفى الأيـدى والأرجل كمـان ؟

وأبادله ابتسـامة من بعيـد :

ـ ألسنتنا لـم تصل اليهـا القيود الحديدية بعـد

ويتدخل **مجدى فهمى** :

ـ يمكن أن يسكتوها الآن ، والى الأبـد ••

ـ ثائرة احتجاج على الأغلال ••

ـ ربمـا تكون هذه الكلمة الدليل الذى لم يستطيعوا الحصـول عليـه منهمـا •• ويستطرد ••

ـ وربما تكون كلمـة السر •• بعدها تنطلق ملؤامـرة **لذبحنـا** كلنـا او بعضنـا

ـ معك حق •• ليس أمامنا الا أن نعتصر الألـم ••

ـ ما يخفف آلام اللحظـة •• أن تعايش المستقبل فـى الوقت ذاتـه •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويأتي صوت وليم اسحق الساخر :

ـ لحظة ونفوت ولا حد يموت ·· ياعم درش ·

وتهدأ نفسي الثائرة قليلا ·· لقد كدت أن ارتكب « حماقة » كنت على وشك أن أصرخ احتجاجا على تعذيب الزميلين هذا التعذيب الوحشي لمجرد انهما صديقان لنا · ولو انني فعلت ذلك لقد كان من المؤكد أن جميع الزملاء كانوا سيحتجون بمختلف الطرق ، الأمر الذي كان سيعطيهم مبررا لاطلاق الرصاص علينا · **مجدي فهمي** بهدوئه وسلوكه الموضوعي هو الذي منعني من ارتكاب هذه الحماقة التي كانت ستكون بالتأكيد اشارة البدء للمؤامره التي كانوا يدبرونها وفشلوا حين لم يجدوا مبررا لها ·

وتنتهي عملية **جلد** الزميلين ·· ونشهدهما يساقان مرة أخرى الى زنازين « **التأديب** » أيديهم مكبلة بالقيود وأرجلهم مقيدة بالسلاسل ، ومن ورائهم نشهد موكب الضباط الكبار والأفندية يسير ناحية مكاتب الادارة ، وتزعق صفارة الفاطرة بصوت مزعج بينما تنفث مدخنتها دخانا أسود كثيفا ، يكاد يخفي أشعة الشمس الساطعه ، ايذانا ببدء الرحلة الى ما « **وراء الشمس** » ·

الناس حين يسافرون الى بلاد أخرى يذهبون الى محطات السكك الحديدية أو المطارات ·· لكن أمثالنا من البشر تأتي اليهم القطارات حيث يسكنون ، والناس ياحبيبتي مقامات ! لم يكن منظر القطار غريبا علينا . فقد كنا نراه يوميا في الجبل يملأ الساجين عرباته بالاحجار البيضاء التي يكسرونها من الجبل بالديناميت ، لكننا لم نر أبدا قطارا داخل حوش اللبمان ، لكنا كنا نرى قضبانا ، وأذكر اننا كنا نسأل عن سر وجود هذه القضبان التي لا تسير عليها قطارات ، وعرفنا أن الاحتلال البريطاني الذي قام « جنوده » بتشييد هذا الليمان الضخم كان يستخدم القطار في نقل الاحجار من الجبل الى موقع البناء ، اختصارا للوقت والتكلفة حتى تم تشييد الليمان الذي لم يدخله القطار بعد ذلك الا من أجل أن يحملنا الى **الواحات** ! وكانت هذه أول مرة يخرج فيها القطار من الليمان محملا « ببشر » · وكانت هذه أيضا أول مرة يسير فيه قطار خاص في بطن الجبل عرباته من **زنازين** ، وليست عربات بضائع فكل القطارات التي اخترقه ، كانت تحمل احجارا وليس « بشرا » ! **هكذا** كان الحال منذ **الاحتلال البريطاني** ، وكان هذا هو الجديد ! ومتى ؟ بعد الاستقلال وتوقيع اتفاقية الجلاء !

كانت الساعة قد بلغت الثانية عشر ظهرا حين خرج القطار من بوابة السجن · كان من المألوف عند خروجنا في موكب العبيد اليومي الى الجبل أو العودة منه أن نرى أمام **بوابة السجن** عددا كبيرا من أهالي المسجونين يلوحون على البعد لذويهم الذين يلمحونهم خلال ذهابهم أو عودتهم فيطمئنوا الى انهم ما زالوا على قيد الحياة · وكنا نرى أيضا الأهالي الذين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يأتون للزيارة ، ونـرى باعـة الفاكهة والمرطبـات منتشرين في المنطقـة يقدمون للأهالى بضاعتهم • وكثيرا ما كان طابور العبيـد ينتظـر مـرور القطار المتجه الى حلوان أو القـادم منهـا • فمن المعتاد أن يتخطى الطـابور قضبان مترو حلوان ، وكنـا نأنس كثيرا لركاب قطارات حلوان خاصة اذا استطاعت عيوننـا أن تلتقط صورا غير واضحة المعالم لامرأة أو فتـاة • كنـا نـرى كل يوم خـلال ذهابنـا الى الجبل أو عودتنـا منـه صورا مـن صور الحياة التي لاتتوقف ، فيزداد حبنـا للحياة ويزداد تعلقنـا بهـا ، ويتضاعف أملنـا في أن نعـود اليهـا يومـا •

لكنهم في ذلك اليـوم **حرمونا** حتى من هذه **الصورة الانسانية** ، المنطقة خالية تماما من أى انسان سوى **طابور طويل** من الجنود يقف على الجانبين يبـدأ من بوابة الليمـان وينتهـي عند بطن الجبل ، يحملون **المدافع الرشاشة** الموجهة الينـا نحن الذين نقبع فـي **الأقفاص الحديدية** وأقدامنـا **مكبلـة بالقيود الحديدية** ! وعلى بابى كل « **زنزانة** » يقف حارسـان في ايديهمـا **المدافع الرشاشة** ! والى جوار القطار الذى يسير ببطء شديد تجرى عـدد من الخيـول التـي يمتطيهـا ضبـاط السـجن ، تبطـىء أحيـانا وتسرع أحيانا أخـرى • وعلى البعـد يقف مديـر الليمـان ومأموره مـع **أصحاب الكابات الحمراء والأفندية** ، ويسير قطارنا نحو **المجهول** بين قطارين **أحدهما** قـادم من حلوان والآخـر متجه اليهـا وقـد أخليـا تمامـا مـن الناس • تـرى كم ساعة تعطلت خلالها أعمـال الناس القادمين من حلوان أو الذاهبين اليهـا ؟ وهل يعرفون أسباب هذا التعطل ؟ ومن الـذى يحملونـه مسئولية تعطيلهم عن أعمالهم ؟ وتحمل القضبان التى اعتادت أن تحمل قطـارات الاحجار قطـار **زنازيننـا** الى محطة مصر ، ولكن من خارج القاهرة وليس من داخلها • وهكذا سـار القطار من **ليمـان طـره** حتى محطة مصر بين رمال كلهـا صفـراء • ونباتات كلهـا شيطانية على سفوح الجبال ، والتـلال • محطـة مصر التى لا تتوقف فيهـا حركة ركاب الوجهين البحـرى والقبلى كانت خاليـة تماما منهم • وعلى رصيف قطار الصعيد كان يقف طابوران من جنود البوليس يمسكون **بمدافعهم الرشاشة** ومعهم عدد من **ضباط البوليس** وعدد من « **الأفنـدية** » يروح ويجىء على طول الرصيف ، وينتشر هنا وهناك عـدد من لابسى الجلاليب واللبـد الذين يعرف هويتهم كل الناس ، جميعهم ينتظرون مقـدم قطارنا ! على البعـد كنـا نـرى مجموعات مكدسة مـن البشر ، في انتظار الانتهاء من هـذه الحـالة الشـاذة ليركبـوا قطاراتهم • وما أن يقف « قطارنا » على رصيف الصعيد حتى نسمع **صيحة مدوية لامرأة** تبـدد السكون الرهيب الذى فرضوه على الناس والمكـان في عز الظهيره •

ـ الدسـتور •• **الدستور** •

وكأنما أصابت هذه الكلمة الناس الواقفين في انحاء المحطة بمس كهربائى،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإذا بأصوات عديدة تعلو فى قوة ، أصوات اهتزت لها مبان محطة مصر .

ـ الدستور .. الدستور ..

وترتفع أصواتنا من كل « **الزنازين** » ـ **نحن والاخوان المسلمين** فى صوت واحد :

ـ **الحرية .. الدستور .. الاحزاب**

وفى لحظة واحدة تختل كل اجراءات الأمن المشددة .. ولايستطيع البوليس المدجج **بالسلاح** ولاصيحات « **الأفندية** » من أن توقف زحف أهالينا والجماهير التى تعاطفت معها نحونا ونحن قابعين فى « الزنازين » تنوعت الهتافات .. الدستور .. الديمقراطية ، الحرية للشعب .. وتوحدت أصواتنا بأصوات الأهالى والجماهير وهى تردد نشيدنا الخالد .. بلادى .. بلادى لك حبى وفؤادى .

امتلأت محطة مصر بالجماهير تردد معنا فى حماس وقوة نشيد بلادى . بلادى . وقد أحاطت بالقطار من كل جانب ، ووقف عدد كبير من الأهالى أمام القطار كى لا يتحرك الا على **جثثهم** . وبدأت أغرب مفاوضة فى التاريخ بين أهالينا وبين رجال المباحث العامة . تقدمت زميله يحيط بها عدد **من الأمهات والزوجات والأخوات والأطفال للمفاوضة** ، قالت :

ـ نريد فرصة لمقابلة أولادنا ..

ويقول رجل المباحث :

ـ ولكنى لا أملك ذلك

ـ اتصل برؤسائك

ـ عندى أوامر بعدم الاتصال

ـ الأوامر يمكن أن تتغير .

ـ وما الذى يجبرنا على تغيير الأوامر ؟

ـ لن يتحرك القطار الا على **جثثنا** ..

وتجلس الأمهات على القضبان الحديدية ، بعضهن يجلسن القرفصاء ومن يحملن أطفالهن وأطفالنا ، وبعضهن يتمددن على القضبان ، وتقول الزميلة :

ـ **فلتكن مجزرة أخرى من مجازركم العديدة** ..

وتذهب زميله أخرى الى سائق القطار وتقول له ..

ـ انت المسئول لو تحرك القطار وقتل واحدا .

ويرد السائق :

ـ يا ستى ما تخافيش .. أروح فين من ربنا !

وتعلو أصواتنا من جديد نهتف بحياة الدستور .. وتنشد : بلادى .. بلادى . وتردد الجماهير والاهالى الهتافات والنشيد ، والحوار ما زال

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مستمرا بين الزميلة ورجل المباحث الذى يتركها فترة قصيرة ويعود اليها مرة أخرى ويسأل :

ـ انتو عاوزين أيه علشان القطار يتحرك ؟
ـ أن نتحدث لبعض الوقت مع أولادنا ..
ـ ماشى .. نصف ساعة تكفى .
ـ وان يسمح لهم بأخذ ما أتينا به من أكل وملابس .
ـ موافق ..
ـ وأن نعرف أين ستذهبون بهم وكيف يعاملون ..
ـ الى **الواحات الخارجة** .. وسوف يعيشون فى خيام ..
ـ وكيف سيعاملون ؟ .
ـ ليس أسوأ من معاملتهم فى **الليمان** ..
ـ ومن يضمن هذا ؟ .
ـ هذا مالا أعرفه .. ربما زيارتكم لهم ..
ـ نريد تصريحا بالزيارة .. غدا .. أو بعد غد .
ـ هذا مالا أملكه ..
ـ من الذى يملك ؟
ـ ادارة السجن ..
ـ مدير الليمان موجود ..

ويهمس **رجل المباحث** فى اذن مدير الليمان الذى يقول :

ـ الزيارة حسب اللائحة .. من يستحق سوف يسمح له بالزيارة
ـ نريد استثناء من القاعدة ..
ـ ساكتب لك تصريحا ..
ـ ليس لى ..
ـ لمن اذن ؟

وتتقدم احدى الأمهات تحمل على كل يد من يديها **طفلا** .. تقول :

ـ **الطفلين دول لازم يشوفوا أبوهم .**

ويطلب المدير ورقة ليكتب عليها اذنا بالزيارة بعد أن يسجل اسم **الأم** واسم زوجها وهو أحد زملائنا « **مصطفى كمال خليل** » . كان قد قبض عليه فى نفس اليوم الذى قبض على فيه ولم يكن قد مضى على زواجه أكثر من **عامين** . شهد مولد احداهما ولم يشهد مولد الآخر .

ومضت نصف ساعة أمضيناها مع أهالينا فى أحاديث مختلفة ، ومتصلة والجماهير تحيط بهم تنظر الينا بحب وعطف . ربما لأول مرة تتعاطف جماهير الماركسيين والاخوان حول موقف انسانى ، فنحن والاخوان مكبلون فى زنازين وراحلون **نحو المجهول** ، وربما كان هذا التعاطف الانسانى هو الذى وحد شعاراتنا الدستور ، الحرية ، الديمقراطية . ومن المؤكد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أنـه خلق تقاربا بيننـا وبين عدد كبير منهم فى النظرة السياسية ـ كمـا سأتناوله فى رسائلى المقبلة ٠

كان منظرنا غـريبا ـ كقـرود أو أسود أو نمور فـى أقفاص حديدية ـ نتناول الأكل والفاكهة من بين **القضبان** ٠ المحظوظ منا هو من كانت والدته أو زوجته أو أخته هى التى تزوره ، فقـد استطاع أن يأكـل كميـات أكبـر من « طبيخ » البيت الذى كدنا ننساه وقبل أن يصادر لصالح الجميـع ٠ ومع أن أخى المرحوم « مسعد » كان قـد حضر لرؤيتى وأحضر معه كميـات من الأكل الجاهز ، « كبـاب » مثـلا ، حيث كـان ما زال أعزبـا ، فقـد استطاع أن يحصل لى من الأهالى على كميـات من « المحشى » الذى لـم أكن قـد ذقتـه منـذ سنوات ! ودار بيننـا حوار سريع لم يتسع سـوى لكلمات معدودة عن أخوتى أو زوجتى ، قـال :

ـ ميمى لـم تستطع الحضور ٠٠

ـ مش مهم ٠٠ لكن لـماذا ؟

ـ لم التق بهـا منـذ مـدة ٠

ـ والأخوة ٠٠

ـ كويسين ٠٠ كل واحـد فى حاله ٠

ـ المهم أنت عامل أيـه ؟

ـ كلفت بالاتصـال بكم ٠٠

ـ عندك آخـر الأخبار ؟

ناولنى علبـة سجاير هوليود « لارج » وقال :

ـ فيهـا كل ما تريدونه ٠

ـ تـروة عظيمـة ؟

ـ أعظم مـا تتصور ٠٠

ومن بين قضبان « **الزنزانة** » كنت اعانقه ٠٠ بينمـا كانت صفارة القطار تصرخ تعلن استئناف الرحلة ، ودخان مدخنته الكثيف « يهبب » بظلالـه السوداء أروع صورة انسانية شهدتها محطة باب الحديد ٠ وتحرك القطار وارتفعت هتافات جميع المسجونين والاهالى بحياة الدسـتور ، والوحـدة الوطنية ، وما كـاد يغـادر محطـة مصر حتى ارتفعت أصواتنا بنشيدنا الحبيب الى قلوبنـا : بلادى ٠٠ بلادى ٠٠

وحين مـرق القطار بمزلقان « السيدية » تبادلت مع **مجدى فهمى** نظـرات خاصة ٠ **هنـا فى حى بولاق** عاش مجدى فهمى وناضل مع رفـاق أعـزاء من عمـال السكة الحديد وشيرا الخيمة ، وهنـا ولد وعاش مع أمـه وأخوته ومع أهالى الحى البسطاء لـه ذكريات انسانية ٠ وشارع ابن الرشيد حيـث نعبـر مزلقـان السيدية ، فى حـارة حبيبة الحكيمة عشت أجمل سـنوات حياتى بعـد أن التقيت مع أبى وأمى وأخوتى من بور سعيد عـام ١٩٣٩ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كنت ما زلت طالبـا فى مدرسة تقع فى نفس شارع السبتية • فى هـذا البيت ماتت أمى مبكـرا بعـد حضورنا الى القاهرة بأربع سنوات ، وكنت قـد انتظمت فى صفوف المناضلين من أجل مصر وشعبها • يالها من أيام •• وجدت دموعـا تجرى من عينى ، وأخرى من عينا مجدى •• قلت له فى محاولة لتخفيف آلاما أعانيهـا ويعانيها هو أيضـا :

ـ فاكـر يا مجدى البنت الطالبة فى مدرسة الأميرة فوزية ؟

ابتسـم بهـدوء وقـال :

ـ وهو حد ينسى احسـان •• كانت آية •• !

كانت « احسان » طالبة فى مدرسة الأميرة فوزية الثانوية التـى تقـع أمـام الورش الأميرية بحى بولاق • وكانت تسكن مـع أهلهـا فى شـارع ابن الرشيد على ناصية حارتنا « حارة حبيبة الحكيمة » • لم أكن وحـدى الذى انتظـر نزولها من بيتهـا صباح كل يوم وهى ذاهبـة الى مدرستها سيرا على الاقدام • كان كثيرون غيـرى ينتظرون مرورها ، على طول شارع ابن الرشيد حتى مزلقـان السبتية ، ثـم على طول شارع السبتية وعلى تقاطع ابن الرشيد مع الشارع الذى تقع ميـه المدرسة أمـام الورش الأميرية كانت فتـاة بارعة الجمال ، خدودها كحمرة الخوخ ، وقوامها فارع ، وتقاطيع وجهها •• سبحان الخلاق • لم أشعر يومـا بأن واحدا من المعجبين بها نطق كلمـة واحدة تجرح شعورها ، كان بعضهم يحييها بأدب شديد واحتـرام كبير ، وتـرد عليهم التحيـة وابتسامة ودودة تكسو وجهها الجميل :

ـ ياترى اين هى الآن يا مجدى ؟ •

ـ نسيت أسأل أمـى

ـ وأنا نسيت أسأل مسعد ••

ـ آخـر مـرة شفتها امتى ؟

ـ يمكن من خمس سنين (٣ فى السجن و ٢ قبل السجن) •

ـ أنا أسعد حظـا منك •• شفتها قبل القبض على بأيام •

ـ اتجـوزت ؟

ـ وخلفت •

ـ ولسـه حلوه ؟

ـ وأحلى من الأول ••

ـ لازم تجربة حب عظيمة ؟

ـ الحب الحقيقى يضمى على الانسـان جمـالا •

ـ معنويا •• نعـم •• لكن بيولوجيا ؟ •

ويبتسـم مجدى ابتسامته الودودة :

ـ طبعـا •• الحب يعيـد تكوين الانسان نفسيا وبيولوجيا الى حـد كبيـر •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتمضي الدقائق .. أصوات الزملاء لا تتوقف ، تـردد نشيد بـلادى . بلادى . واختلس أنا ومجدى دقائق للحوار . ونجد أنفسنا فى محطـة الجيزة التى كانت خاليه تماما من ركاب وجه قبلى ، ورجال البوليس الذين يحملون **مدافعهم الرشاشة** امتلأت بهم ساحه المحطـة . وترتفـع ايـدى الزملاء من بين قضبان **أقفاصهم الحديدية** تلوح للأهالى الذين يقفون بعيدا .

دقائق معدودة ويغـادر القطار محطة الجيزة . وما أن يدخل **محطة الفيوم**، ثـم بنى سويف وباقى المحطات حتى أسيوط ، حتى ترتفع أصواتنا بالهتافات والأناشيد . كان القطار يتوقف فى كل محطة ما بين دقيقتين وخمس دقائق على الاكثـر . وعلى كل محطة كنـا نجـد **جنود البوليس والمخبرين** الـذين انتشروا فى انحائها . والجماهير الواقفـة لتـرى « ما الحكاية » ربما كان قطـار « تشريفـة » ! .. لكن « انفـار » التشريفـة غيـر موجودين تبقى الحكايـة مس تشريفـة بعضهـم دفعـة الفضـول ليـرى بنفسـه لماذا هذا الحشد من البوليس والخفر والمخبرين والضباط ، وبعضهم كـان يعـرف « الحكاية » وهؤلاء هم الذين جاءوا مع الزملاء من المحافظات والقرى والنجوع ، بدليل أننـا كنـا نجـد فى بعض المراكز من يقابلنا بهتافـات معينـة عندما يدخل القطار محطاتها . يعلق **مجدى فهمى** :

- يبدو ان الزملاء نشطين فى الصعيد ..
- ولكن ليس فى نفس المستوى ..
- نرسل اليهم ملاحظاتنا ..

وعندما دخل القطار محطة أسيوط كان الظلام يزحف يبدد أشعة الشمس، وكانت حناجرنا قـد أجهدت الى الدرجة التى جعلتها عاجـزة عـن تاديـة وظيفتها تماما . لقـد ادت مهمتها على طول الطريق من **القاهرة** حتى **اسيوط**. حيث يوجد بشر ، وزرع وخضرة وحياة .. فشكرا لهـا ولندعها لتستريح بل وتستريح أجسامنا المجهدة المتعبة . فالطريق من **اسيوط** حتى محطـة **الواصلة** ليس به سوى الرمال والكثبان والنباتات الشيطانية المنتشرة على سفوح الجبـال والتـلال .

كاد الليل ان ينتصف عندما وصل القطار الى **محطة الواحات الخارجة** . لتبـدأ رحلة السيارات الى **جناح** حيث يقع **السجن الجديد** ، كانت ليلـة تستحق الرسالة المقبلة يا حبيبتى

٢٨ يونيو ١٩٧٧
القاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٢٤)

حبيبتـــى

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشر مساء حين وصـل القطـــار الى محطة « **الواصلة** » وهى المحطة الوحيدة التى لم نر فيها جنود « **التشريفـة** » وضباطها الذين شهدناهم على كل المحطات التى مـر بهـا القطار من القاهرة حتى هذه المحطه التى تقبع فى **قلب الصحراء** . كان فى انتظارنا عـدد مـن سيارات الجيش اللورى بهـا عدد من السجانة وضباط السجون على رأسـهم الضابط (...) وهو من الضباط الكبار فى مصلحة السجون،استرعى انتباهنا « **السوط** » الذى يحمله وتوجسنا شرا عـاجلا . وحيّ قـال لنـا :

ـ أهلا وسهلا .. « لم نطمئن لترحيبه فلم نرد عليه » .

كان من الصعب أن نتبين تعبيرات وجهه فالظلام دامس الى درجة كـان يصعب علينـا أن نـرى بعضنا البعض بوضوح . بعـد فترة أمضيناهـا فى « **الزنازين** » جاءوا بعـدد من الكلوبات يحملها سجانة حتى نستطيع أن نتبين موقع أقدامنا وحتى نستطيع النزول من « الزنازين » لنركب العـربات وبدأت محاولة نزول أول خمسه أشخاص مكبلين **بالسلاسل الحديدية** ، وكنت من بينهم . سلم « الزنزانة » يبعـد عن الأرض بحـوالى **متر على الأقـل** ، طول السلسلة الحديدية المقيد بها الزملاء الخمسة لايزيد عن **ثلاثة أمتـار** ، **ولا** يزيـد طول السلسلة بين كل زميلين عن **نصف متـر** ، معنى هذا أن مجـرد نزول الزميل الأول من على ارتفاع متر سـوف يجر وراءه الزملاء الأربعـة ، الأمـر الذى يعرض الجميع ـ على الأقل ـ لكدمات وجروح ، فمن يضمن أن لا يقعوا على شريط السكة الحديد أو الأحجار التى بجانبه . كان الضـابط يقف الى جوار الزنزانة التى كنت بهـا وأنا أحاول مـع زملائى الأربعـة النزول منهـا ، وشهد صعوبة نزولنـا ونحن مقيدون **بالسـلاسل الحديدية** فنظـر الينـا حائرا ولم يتكلم . اقترح أحـد الجنـود أن يأتـوا بكرسى ننزل عليـه واحدا وراء الآخـر ، فقلت بسخرية :

ـ كرسى ما ينفعش .. عاوزين كنبـه .

ضحك الضابط ... بصوت عال وقال :

ـ أو سرير بسوستة علشان ما حدش ينجرح .

أنست اليـه فقلت :

ـ هوه فيـه حـد مجنون يفكـر فى الهرب من هنـا !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ اقتراحك ؟
ـ تفكوا السلاسل ..
ـ ما هى دى المشكلة ..
ـ مشكلة ؟ راح نفضل كده على طول ؟
ـ لا طبعا .. لكن كان لازم يكون فيه استعداد .
ـ استعداد لأيه ؟
ـ شاكوش وأجنة وسندال ، وحداد ..

ولأول مرة أدرك أن هذه **السلاسل الحديدية** لاتفك الا بقطعها . السلاسل التى كنا مقيدين بها قبل ذلك بعد أن حكم علينا بالأشغال الشاقة كان فكها لا يحتاج الى كل هذه الادوات . **والقيود الحديدية** التى كانوا يقيدون بها أيدينا كانت تقفل وتفتح بمفتاح خاص يحتفظ به الضابط المسئول عن « **الترحيلة** » سواء كانت مكونة من فرد واحد أو عدد من الأفراد . وهؤلاء الذين قيدونا بهذه السلاسل كيف كانوا يفكرون ؟ بالقطع لم يفكروا فيما سوف نعانيه خلال هذه اللحظة وهذا من « حقهم » ، فنحن بالنسبة لهم لسنا سوى « **بضاعة** » مطلوب « **شحنها** » من مكان الى آخر ، وليس من شأنهم أن تصل سليمة أو مكسرة . ولكن ألم يفكروا فى أولئك الذين سيتسلمون « البضاعة » وفى معاناتهم عند استلامها ؟ كان واجب الزمالة يقتضى ـ على الأقل ـ أن يفكروا فى هذا الأمر . ويبدو **ان مامور السجن الجديد** ... كان يفكر بهذا المنطق « الوظيفى » .

قال وهو يضحك ..
ـ لكن انتم ازاى عرفتوا تطلعوا عربات القطار ؟
ـ كانت المسافة بين سلم العربة والأرض لاتزيد عن ٢٠ سم
ـ وطبعا مما مش عارفين الوضع هنا ..
ويعلق أحد الزملاء بسخرية ..
ـ تلاقى ولاحد منهم خطى هنا ..
ويقول الضابط بمرارة ..
ـ وأيه اللى راح يجيبهم هنا .. من وراء مكاتبهم ..
ويقول زميل :
ـ والا من بيوتهم المكيفة ..
وثان
ـ والا من سهراتهم الحمراء ..
وثالث
ـ وراح يتركوا صفقاتهم المربية لمين ؟
وتستمر التعليقات الساخرة بين ضحكات الزملاء ويشاركهم الجنود أحيانا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويتنبه المأمور ، فيقـول ضاحكـا :

ـ أيـه يا جماعة انتو ناويين تحبسونى معاكو ولا ايه ؟ ٠

ويقـول زميل ٠

ـ يعنى ٠٠ مفيش فرق كبيـر ٠٠

وتصدر عن المأمور تنهيده ويقـول :

ـ والله ما فيـه فـرق ٠٠ المهم عاوزين نحل مشكلة نزولكم ٠٠

ويصدر أوامره الى بعض الجنود بالذهاب الى « **المعسكر** » **لاحضار حداد ومعه الآلات اللازمة لقطع السلاسل الحديدية** ٠

المسافة بين محطة المواصلة « وجناح » حيث يقع السجن الجديد تقطعها العـربة فى حـوالى سـاعة ذهابـا وايابا قضاها المـأمور فى التعرف على الزمـلاء ٠ راح ينتقـل بين عـربات القطـار ليتعـرف علينـا وعلى الاخوان المسلمين ٠ وعنـد كل زميل أو أخ بدور حوار سريع :

ـ **الدكتور شريف حتاتة** ٠

ـ انت قـريبى ٠٠

ـ **زكى مـراد المحامى** ٠٠

ـ لا انت مش قريبى

ـ ازاى ابقى قريبك وأنا نوبى ٠

ـ **محمد شطا ٠٠ عامل نقابى** ٠٠

ـ باين عليك خطـر ٠٠

ـ **وليم اسحق فنـان**

ـ **مغنـى ؟**

ـ **لا ٠٠ رسـام** ٠٠

ـ **ضمنا صـورة بالزيت** ٠٠

وينتقـل الى الاخوان المسلمين

ـ بكباشى **فؤاد جاسر**

ـ بوليس

ـ لا جيش

ـ صـاغ **جمال ربيـع** ٠٠

ـ طبعـا جيش ٠٠ !

ـ دكتور **كمال خليفـة**

ـ طبيب ؟

ـ لا مهندس

هـدوء الصحراء يلف المكـان ٠ أى همس يمكن أن تسـمعه ٠ وهـواء الصحراء يلفح الوجـوه المتعبـة المنهكـة ، ونشـعر بان الـدم يجرى فيهـا من جديـد وهى تمتزج بصـوت المأمور الودود خـلال تعرفـة علينـا ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونحس ببعض الأطمئنان ولكنه مشوب بالحذر • فنحن حتى الآن لا نعرف ماذا ينتظرنا هناك في السجن الجديد • لقد مضى الكثير •• وستعرف كل شيء بعد قليل •

تعود العربة التى ذهبت الى السجن الجديد وبها الحداد ومعه الأدوات اللازمة لقطع **السلاسل** •• **سندان** •• **ومطرقة** •• **وأجنة** • يصعد الى زنزانة رقم ١ بالقطار • ينظر قليلا الى السلسة الحديدية المعلق بها خمسة أشخاص ويوجه كلامه الى المأمور • •

ـ أفكهم خالص يا بيه ؟ •

ـ يعنى ايه خالص •• أمال نص نص ؟

ـ يا بيه أصل لو فكيتهم خالص راح تاخذ وقت •• يمكن لغاية بكره بعد الظهر • •

وتبدو على وجه المأمور تعبيرات تدل على عدم الفهم فيقول :

ـ مش فاهم • •

ويقوم الرجل بشرح « القضية » ، فيقول :

ـ يا بيه •• فى كل رجل « **حجلة** » ودى تخينه قوى تاخد وقت على ما تنقطع •• لكن **السلاسل** سهل تاخد وقت أقل ، نقطع السلاسل والا نقطع « الحجلة » ؟

ويرد عليه المأمور بضجر • •

ـ قطع اللى تقطعه •• المهم أنهم ينزلوا من القطر •• ويركبوا العربات •

ـ لكن يا بيه اذا قطعنا السلاسل •• وبعد كده نقطع « الحجلات » مش ممكن استعمالها بعد كده • •

ويصيح المأمور بصوت عال :

ـ والله ما أنا فاهم حاجة •• حد منكم فاهم حاجة يا حماعة ؟

ويضج الجميع بالضحك •• ويتولى أحد الزملاء العمال شرح المشكلة :

ـ « الحجلة » اللى فى الرجل « مبرشمة » •• ولما يطلع مسمار البرشام يمكن استعمالها بعد كده بمسمار برشام آخر ، لكن لما يقطع **حلقة من حلقات السلسلة** اللى بين كل زميل وزميل ، معناه أولا أن السلسلة راح تبوظ ، وثانيا ان كل زميل سيحتفظ **بقطعة سلسلة** و« **حجلة** » فى كل قدم من قدميه •• وبعد كده تقطع الحجلة •

ـ آه فهمت •• يا سيدى قطع السلسلة • •

ويصيح ضابط « **الترحيلة** » •

ـ السلسلة تبوظ •• ودى عهده علىى • •

ويضج الزملاء بالضحك •• ويقول أحدهم :

ـ واحنا مش عهده • •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويرد عليه ضابط الترحيلة :

ـ أنا خلاص سلمتكم لحضرة المأمور ٠

ـ لا يا حبيبي أنا لسه ما اسلمتش حد راح استلمهم في السجن وأمضى عليهم هناك ٠

ـ طب وأيه العمل ٠٠ أنا لازم أرجع **السلاسل** ٠٠ دي عهده يا ناس ٠٠

ويعلق أحد الزملاء ساخرا ٠ ٠

ـ يبقى مفيش حل الا اننا نموت عنا ٠٠

ـ ما انو برضه **عهدة** ٠٠ لازم أسلمكم **أحياء** ٠٠

ويعلق زميل :

ـ **والسلاسل** ترجع سليمة ٠٠

ويعلق آخر :

ـ معادلة صعبة ٠٠ ازاى نحلها !

ومرة أخرى يضج الجميع بالضحك ٠ هذا المكان الموحش الكئيب لم يشهد من قبل بشر يضحكون ٠ ومن الذى يضحك ؟ **المسجون والسجان** ! في لحظة تحولت المأساة الى ملهاة ! ٠

كان الأمر يستحق « **ثورة ادارية** » من أجل القضاء على **البيروقراطية** ٠ بدأها في تلك اللحظة مأمور السجن الجديد ٠ قال بحسم وهو يوجه كلامه الى الحداد :

ـ قطع السلاسل ٠

ويقاطعه ضابط « الترحيلة » :

ـ وأنا أعمل أيه ؟

يرد المأمور وهو أكثر حسما :

ـ راح أمضى لك على وصل باستلام السلاسل ٠٠

ترتاح أسارير ضابط الترحيلة ويضرب « تعظيم سلام » ! وترتفع صيحات الاستحسان من الزملاء والتعليقات الطريفة الساخرة ٠ وقبل أن يبدأ الحداد في عمله مستدئا بالزنزانة رقم ١ ٠٠ يأتي صوت من الزنزانة رقم ٤ ٠

ـ أحنا الأول ٠٠ أحنا الأول ٠٠

ويرد المأمور

ـ بالترتيب ٠ ٠

ويعود الصوت ٠ ٠

ـ أصل ٠٠ أصل ٠٠ ويضرب أصابع يده اليمنى بعضها البعض ويضحك المأمور ويقول :

ـ بى ٠ بى ٠٠ والا كا ٠ كا !

وترتفع ضحكات المسجونين والسجانة والضباط تبدد هدوء

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصحراء الرهيب ، ويعطى المأمور أوامر الى الحداد بان يبدأ من الزنزانة ٤ • الغريب ان كل زميل بعد فك قيوده كان ينتحى جانبا للتبول ! لقد مضى علينا أكثر من ١٨ ساعة ولم يكن احد بحاجة الى التبول • فلماذا ظهرت الحاجة الى ذلك فى تلك اللحظات بالذات • يا لهذا الانسان •• كائن غريب قادر على التأقلم والتكيف مع كل الظروف !

الحداد ينتهى من عمله بسرعة • ونسير الى العربات كل منا يجر فى كل قدم من قدميه **سلسلة معلقة فى « حجلة »** • يمسكها **وليم اسحق** بيده ويقول ضاحكا :

ـ هيه دى بقى « **الحجلة** » الرئيسية يا درش ••

ـ دى مش « حجلة » رئيسية واحدة يا وليم •• دول اثنين •

وتنطلق السيارات وسط صحراء واسعة يلفها ظلام حالك • سكون رهيب يمزقه بين الحين والحين عواء **الذئاب والثعالب** ، مصابيح السيارات العالية تخترق الظلام كى ترى طريقها غير المهد الى السجن ، أنوار تبدو من بعيد تحيط بمساحة كبيرة مربعة •• يبدو إنها « أنوار » السجن فى لحظة تتجسد أمامى صور **معسكرات النازى** • الصمت يخيم على جميع الزملاء حتى تكاد تسمع صوت تنفسهم • ما الذى ينتظرنا بعد دقائق ؟ حقا لقد كانت معاملة مأمور السجن الجديد انسانية ولكن ربما لا يدرى هو نفسه ما دبروه لنا • أغلب الظن أن هؤلاء « الفاشست » لن يستخدموا نفس الأساليب التقليدية للتعذيب ربما كانت خطتهم تقوم على أساس القائنا فى الصحراء **نهبا للذئاب والثعالب والثعابين** •• وانتابتنى رعشة شديدة لم تحدث لى من قبل ، رغم ان فكرة الموت سيطرت على مرات عديدة ، • ولكن أن أموت بعد كل هذا الصمود بلدغة « **طريشة** » أمر لا يمكن تصوره • وكيف يصمد الانسان للدغة « **طريشة** » أثناء نومه أو سيره أو جلوسه ؟ كيف يقاوم سمها الذى يسرى فى جسم الانسان سريان الكهرباء ويموت فى الحال • **أى فاشى حقير هذا الذى دبر لنا الموت بهذه الطريقة القذرة الدنسة** ؟ • ان كل أفران النازى ومعسكراتهم •• كل أساليبهم الوحشية تتوارى خجلا أمام هذه الفكرة الشيطانية **الموت بلدغة « طريشة »** •• والسبب •• « **قضاء وقدرا** » !!

وتقف بنا السيارات عند **باب السجن** •• مساحة واسعة من الأرض تحوطها **الأسلاك الشائكة** •• وأكوام من « الخيام » مكدسة على أرض « **المعسكر** » • كان فى استقبالنا « ••• » مأمور السجن ومعه عدد من الضباط والسجانة ويمسك احدهم « كلوبا » لنتبين موقع أقدامنا • **قال المأمور :**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ زى ما انتو شـايفين ·· **مخيمات فى صحراء** ··

ويقول احد الضباط :

ـ ما حدش يمشى حافـــى

ويسأل زميـل :

ـ **الثعابين كثيرة ؟**

ـ علمى علمك ·· لكن بيقولوا ان لدغـة « الطريشـة » هبـة والصبـر

ـ الله يطمنك ··

ويتدخل المأمور :

ـ يا جماعـة ·· دى مبالغات ·· مـا تخافوش ··

ويقول أحـد الزملاء بسخرية ··

ـ وطبعا من يموت بلدغـة « طريشـة » يقيـد « قضاء وقـدرا » ·

ويقول آخـر :

ـ يعنى بلا مسـئولية على ادارة السجن ··

ويقول المأمور :

ـ يعنى ·· ما احنـا عايشين معاكـو ··

ـ ويسأل زميـل ·

ـ فى خيـم زينا كـده ؟ ·

ـ لأ ·· فى استراحات فى « جنـاح » ··

ويقول الدكتور **شريف حتاتـه** ·

ـ وطبعـا عندكم كل الأدوية اللازمة ·

ويقول المأمور :

ـ والله يا جماعـة ·· أنا لسـه جـاى هنـا النهـاردة الصبح ·· الأوامـر اللى عندى تباتوا الليلة فى المخبمات ·· وانتظـر أوامر أخـرى بكره صباحـا ·

ويقول زميـل :

ـ ده اذا شـفنا « بكـره » ··

ويتدخل **صـلاح حافظ** ويقول بحسـم ··

ـ راح تشـوف بكره ·· وبعد بـكره ·· ايـه المطلوب منـا يا حضرة المأمور ؟

ويعلق المأمور مبتسـما :

ـ آهو ده الكـلام ·· كـلام من يكتب عن انتصار الحياة ·

ويسرى الحماس بين كل الزملاء وترتفـع أصواتهم تردد نشـيد ·· شتتونـا فى المنافـى ، واملاؤا منـا السـجون ·· سوف تاتيكم ليالـى برقهـا عصف المنـون ·

من بعيد ياتى صوت المأمور ينادى على وعلى الدكتـور شريف حتاتـه :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يقـول لنـا :

ـ فيه هنـا أربع خيـام وبطاطين كثيرة ·· وسرايـر خشـب ·· انصبوا الخيـام والسرايـر ووزعوا البطاطين ·

ـ كـم سرير تسـع الخيمة ·· ؟

ـ حوالـى ١٢ سرير ··

قلت لشريف :

ـ اذن خيمة واحـد تسـعنا فنحن ١١ زميلا ·

ـ ونحن أيضا تكفينا خيمة واحدة فنحن ١٢ زميلا ·

ـ والخيمتين الآخرتين نستخدمها «ميس» للأكل · ويقاطعنـا المأمور :

ـ خلو زملاءكم ينصبوا الخيـام والسرابر وتعالـوا معايـا ندبـر لكـم أكـل أحسن زمانكو جعتوا جـدا ·

وقام الزملاء بكل همة رغم التعب والاجهـاد بنصب الخيـام ، وذهبنـا مع المأمور لتدبير أمـر الأكـل فقد مضى أكثر من ١٢ ساعة لـم نتنـاول خلالها شيئا · كانت الساعة قـد تجاوزت **منتصف الليـل** وفى حجـرة من الصـاج فى طـرف من أطـراف المعسكر · وجدنا مجموعـة من « **الحـلل** » الكبيرة ونصف « **عجـل** » ملقـى علـى الأرض ،وأكـوام من « الحطب » ، وشـوال من الفاصوليـا البيضـاء ·

قال المأمور :

ـ آدى اللحمة اللى قدرت أدبرهـا النهاردة ·· شـوف كـده يا شريف خايف يكون أصابها التلف !

يتقدم اليها شريف ويشمها :

ـ لـم تتلف تماما ·· يمكن أن تؤكـل ·

ويقول المأمور :

ـ يا لله بقـى دبروا مسـألة **الطبيـخ** ·· ومعاكوا كـام مسـجون يساعدكوا ·

وانادى على بعض الزملاء الذين يعرفون فن الطبيـخ · ويأتـى عـدد من الزملاء والاخوان الذين لهم درايـة بالطبيخ · ويتعاون الجميـع فـى اعداد وجبـة العشـاء · هذا يمسـك **بالساطور** ليقطـع اللحم ، وهذا يعـد الفاصوليـا بعد غسلها فى « جرادل » الماء ، وهذا يشـعل الحطب **وسـط الصحراء** · وبعـد وضـع القدور الكبيرة على النـار المشـتعلة · يطمئـن المأمور فيقول لنـا ·· ·

ـ فاضـل مسألة العيش ·· ·

فى مكـان آخـر أعـده المأمور بسرعـة ليكـون فرنـا بدائيـا وجدنـا عددا من أجولة الدقيق ، وحوضا من الخشب للعجين ، وعددا من جرادل الماء · ويتكاتف الزملاء مع الاخوان فى اعـداد العيش · مجموعـة تتـولى عجـن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الدقيق ، ومجموعة تعد الحطب فى الفرن ، ومجموعة ثالثة تتناوب الوقوف أمام عين الفرن ٠

بعد أقل من ساعتين كان الجميع يجلسون على البطاطين ٠ كل فى يده « قرواشة » بها الفاصوليا باللحم ، أما العبش فهو كثير من يريد يأخذ :

ـ الواحد كان ناسى أنه جعان ٠
ـ لم يكن هناك وقت للجوع ٠
ـ ده أكل الواحد كله فى حياته ٠
ـ نعمة يحفظها ربنا من الزوال ٠
ـ يا سلام لو كباية شاى ٠٠
ـ يبقى آخر تمام ٠ ٠
ـ بس فين الشاى والسكر ؟

ويقول المأمور :

ـ جبت لكم شاى وسكر ٠ ٠

وترتفع صيحات الزملاء فرحا ٠ ٠

ـ بس نعمله ازاى ؟
ـ ونشربه ازاى ؟
ـ يا أخى نعمله وبعدين نفكر نشربه ازاى ٠ ٠

تشعل النار من جديد ويضع زميل عليها جردل من الماء ٠٠ ويذهب آخر لاحضار أكواب البلاستك من الخيمة ٠ أربع أكواب فقط ٠ ٠

ـ ما تحافوش « جردل » الشاى على النار ٠٠ ما حدش راح يشربه بارد ٠

ـ المصاروه يشربوا الأول علشان بيحبوا الشاى خفيف ٠
ـ والصعايدة يستنوا للآخر ٠ ٠

ويعلق زميل :

ـ والبحاروه ٠ ؟
ـ دول بقى وسط

ويضج الجميع بالضحك ٠ ما أقوى الحياة ! بل ما أقوى الانسان هذا الكائن القادر على خلق الحياة فى أى مكان يتواجد فيه ٠ هذا المكان الخالى الا من **الثعالب والذئاب والثعابين والغيران** يتحول فى لحظة الى مكان انسانى ٠

يدندن **صلاح حافظ** بأغنية لأم كلثوم ٠ ٠

ـ سمعنا يا أبو الصلح ٠ ٠

ونتخيل صوته فى هذا المكان الموحش كانه أعذب من صوت أم كلثوم ٠ يختلط صوته بصوت **محمد شطا**

ـ افرش منديلك على الرملة ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتغلب روح الجماعة ويردد معه الزملاء :

- افرش منديلك على الرملة ..

وينتهز زميل اسكندرانى فرصة ليدخل بصوته .

- يا بنات اسكندرية مشيكم على البحر غية .. بدلة الحمام عليكو خللت العرسان تجيكوا ..

- اى والله الصيف بدا ..

- اسكندرية زمانها مليانة مصيفين ..

- احنا لسه فى يونيو .. يوليو تبقى زحمة ..

ويرتفع صوت المرحوم « **خليل قاسم** » باغنية نوبية . يرقص عليها هو **وزكى مراد** المحامى . لوحة راقصة نوبية لم نشهدها من قبل وتشد أنظارنا وأسماعنا . نصفق بأيدينا ونردد كلمات أغنية لا نفهم معناها ولكن يطربنا ايقاعها .

ونلمح فى الأفق تباشير فجر يوم جديد ، ونسمع صوت مؤذن الاخوان المسلمين ينادى على « الصلاة » ، ويعود الهدوء من جديد . ولأول مرة منذ ما يقرب من **٢٤ ساعة** نحس بالأمان ! وننصرف الى النوم ساعات قليلة تشرق بعدها شمس أول يوم لنا فى سجن « **جناح** » **بالواحات الخارجة** . يوم يستحق أن أخصص له الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

اول يوليو ١٩٧٧
القاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٢٥)

حبيبتـــى

رغم احساســى النسبى بالأمان مع بزوغ فجر أول يـــوم لـــى فـــى سجن « جناح » **بالواحات الخارجـة** ، الا اننى ـ واحسب أن كل زملائـــى أيضـــا لـم تغفل عيوننا ســـوى دقائق · ما أن دخلنـــا الخيمة واستقرت أجسامنا على الأسرة الخشـــبية ، وسحبنا البطاطين على اجســـامنا ، وبعـــد تعليقات سريعـــة ، ســـاخرة أحيانا ، وجـــادة أحيانا أخرى ، حتى ســـاد الصمت بين الجميـــع · لكن الحوار كان متصـــلا ، بين كل زميـــل وبين نفسه وبينه وبين كل الزملاء ، فى صمت وهـــدوء ، يقطعه بين الحين والآخـــر عواء ياتى من بعيـــد **لذئب أو لثعلب** ثم تعليقـــات سريعة للزملاء · ·

ـ ذئب أو ثعلب ؟

ـ هـــل يبعـــد عن هنا كثيرا ؟

ـ لا تخافوا ·· الذئاب والثعالب تخشى النـــور ·

ـ النـــور أو النـــار ؟

ـ اقترح أن نشـــعل نـــارا على باب الخيمة ··

ـ نـــور المعســـكر يؤدى المهمة ··

ويســـود الصمت · ثـــم تعود التعليقـــات عندما نســـمع العواء مـــرة اخرى · وتقـــل التعليقـــات تدريجيـــا حتى تتوقف تماما حتى مع اســـتمرار العواء · هكذا ، العواء ليس أكثر من عـــواء ، ســـواءا كان عـــواء حيوانـــات مفترســـة أو عواء آدمين ، فتأثيره فى الحـــالتين مؤقت · حتى محـــاولات الافتراس التى تاتـــى بعد العواء ، يمكن للانســـان أن يقاومهـــا ويصـــمد فى وجههـــا ، لكن ما العمـــل مع لدغـــة « **الطريشـــة** » التى تحدث فى لحظـــة ودون اى مقدمات ! ربما تـــكون خطتهم أن نعامـــل هنـــا معاملة عاديـــة ، ونعيش حيـــاة اشـــبه بحيـــاة المعســـكرات ، ويترك أمـــر موتنا **للثعابين والحيـــات** وخاصـــة « **الطريشة** » مـــرة أخـــرى تسرى فى جسمى رعشـــة شـــديدة !

وتنفذ أشـــعه الشمس القويـــة من فتحـــات الخيمة تبعث الـــدفء فى أجسامنا فننهض البطاطين التى كانت تقيئـــا بـــرد ليـــل الصحراء ·

ـ صباح الخير يا زملا ··

ـ صباح الخيـــر · ·

ـ صباح أيه دا ظهـــر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويضحك زميل :

ـ ظهر مين ·· أنت لسه شفت الظهر في الصحراء ؟ ·

ونخرج جميعا من الخيمة علي نهار أول يوم لنا في **سجن** « **جناح** » **بالواحات الخارجة** · ما زالت فكرة الموت بلدغة « **طريشة** » مسيطرة على ، أنادى بصوت عال على الرغم مني ··

ـ دكتور شريف ·· دكتور صلاح · ·

يخرج الاثنان من الخيمة المجاورة بسرعة وقد بدأ على وجههما الانزعاج ·

ـ أيوه ·· فيه حاجة ؟

كانا يفكران فيما أفكر فيه وحسبا أن أحدا قد لدغته « **طريشة** » ·

ـ ما ميس حاجه ·· بس كنت عاوز اتكلم معاكم ··

ـ يا أخي خضيتنا · ·

ـ متأسف ·· بس كنت عاوز أطمئن ··

ويرد **شريف حنانه** بهدوءه المعروف عنه ··

ـ دى بقى مس سياسة ·· سيب العيش لخبازينه ··

ـ وأنت الخباز الوحيد هنا ·

ويتدخل صلاح حافظ :

ـ وأنا مش خباز يا درش ؟

ـ لأ ·· نص خباز بس ·

ـ أحسن من اللى ما يعرفش يخبز خالص ·

ـ فى الطب ·· مش فى السياسة ·

ويأتى **الدكتور شريف حنانه** بمذكرة الى المسئولين ، بدءا من **رئيس الجمهورية حتى مدير مصلحة السجون** ، والى الصحف والنقابات المهنية والعمالية المختلفة ، تستنكر نفينا **فى الصحراء** ومحاولة اغتيالنا بواسطة **الحيات والثعابين** ، وتطلب نقلنا من هذا المنفى ، وحتى يتم ذلك يطالب تزويد المنفى بالأدوية الضرورية ·

ـ عظيم يا شريف ·· لكن موت يا (···) لا مؤاخذه على ما يجيلك العليق··

ـ يظهر انها معلقه معاك فوى ؟

وبهدوء الشديد يستطرد · ·

ـ ويا سيدى جبنا معانا ·· الأدوية واللقاح ·· احنا برضه الـ ·· وأقاطعه ضاحكا · ·

ـ عارف ·· عارف ·· انتو القيادة ·

ـ أيوه كده · اعترف ··

ـ فى الطب بس ·

ـ وفى السياسة كمان وحياتك ·· بكره تشوف ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونلمح مأمور السجن ينزل من سيارتـه على باب السجن فنتجه اليـه :
ـ صباح الخير ٠
ويسلمه شريف المذكـرة :
ـ يا صباح يا عليـم يا رزاق يا كريم ٠٠ لحقتوا تكتبوا مذكرات ٠٠ ؟
ـ واحنـا ورانـا أيـه ؟
يقرأ المأمور المذكره ويقول :
ـ حـاضر سأرسلها بالبوسـتة ٠٠
لا بوسـته أيـه ٠٠ دى عايزه مخصوص ٠٠
ـ وأجيب المخصوص منين ؟
ـ سـجان
ـ بالقطـار طبعـا ٠٠
ـ ده على كيفـه ٠٠ ييجى كل أسبوع ٠٠ كل اسبوعين ٠٠
ـ يبقـى بالتليفـون ٠٠
ـ أنا راح اتصرف ٠٠ اطمئنـوا
ـ نحن مطمئنون ٠٠ لكن ٠٠
ـ ساسلمها للمحافظ وأطلب منـه أن يرسـلها مع مخصوص فى سيارة ٠
ويسأل المأمور أسـئلة عديده عن « الطريشـة » وعن أنـواع الحيـات والثعابين التى توجـد فى الصحراء ، وطرق الوقايـة منهـا ، وهـل حقـا ما يقال عن المفعول السريـع لسـم « الطريشـة » ٠ ويعطـى شريف اجابات مبالغ فيهـا ، ونرى الخوف يرتسـم على وجه المأمور فيقـول بخبث :
ـ لكن أنت حضرتك بعيد عن ده كله ٠٠
يرد المأمور ورنة الخوف تبدو فى صوته :
ـ لا بعيد ولا حاجـة ٠٠ وأيـه الفرق بين الخيمة ، والفيـلا ؟ ، الاثنين فى صحراء ٠٠
ـ فعـلا ٠٠ مفيش فرق كبير ٠٠ احسن تعسـكن فى شقة عاليـة ٠
يبتسـم المأمور ، ويقول :
ـ لو كان فيها خير ما كان رماها الطير ٠٠
ـ هو ، المحافظ مش ساكن فى فيلا برضـه ؟
ـ لا يا سيدى ٠٠ ساكن فى شقة ٠٠ أنا راخـر استعجبت سـايب الفيلا ليـه ؟
ونسمع صرخة عاليـة ، واثنـان من الاخوان المسلمين يحملون شـخصا ويسرعون بـه نحو المأمور :
ـ لدغتـه طريشـة ٠٠ لدغته طريشـة ٠
ويجرى شريف الى خيمته ويعود سريعـا ومعـه الحقنـة واللقـاح ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- فين اللدغـــة ؟
- فى رجـله اليمين ٠
- مفيش حاجة يا جماعـة ٠٠
- ازاى مفيش ده صرخ بأعلى صوته ؟ ٠
- على العموم نديله حقنـــه ٠٠ لكن مفيش حاجه ٠
- أنت متأكـــد ٠٠
- طبعا متأكـد ٠٠ أنا طبيب ٠٠
- أمـال أيـه الحكايـة ٠٠
- وهم سيطر عليه ٠٠ أغلب الظن ٠٠

الاخوان المســلمون والزملاء يتجمعون فى المكـان الذى حدثت فيـــه **لدغـة الطريشـه** ، ونتجه اليهم ونقـل أن نصـلهم نرى **طبيبا من الاخوان** يمسـك بقطعة حبـل ويقول :

- توهم أنها طريشـه فصرخ ٠
- الى هذا الحـد يفعل الوهـم ؟
- واخطر من هذا ٠٠ الموت ذاته ممكن ٠

ونشهد قطعة أرض من صحراء « جنـاح » **بالواحات الخارجـة ، الاخوان المسلمون ، والشيوعيون ، وضباط الســجن وجنـوده** . وهم يجلسـون عليها كلمـا الى كتف يسـتمعون الى الدكتور شريف حتاتـه وطبيب مـــن الاخوان يتحدثان عن أسـاليب الوقايـة من الحيـات والثعابين بلغـــة واحـدة ٠ والجميـع ينصتون اليهما نمـلأ الثقة نفوسـهم ، بما يقولانـــه ، لا يفرقون بين الطبيب الاخوانـى ، والطبيب الشيوعـى ٠ حتما سيشـهد العالم كله يوما مثل هذا اليوم الذى تشهدنه هذه القطعة الصغيرة من الصحراء ٠ يوما تصبح فيـه السياسـة علـمامسـخرا لصالح النـاس ٠ كل النـاس ، وليس لصالح طبقـــه أو فئة ٠ ليس أملا يسـتمد مقوماتـه من حتميـــة التطـور التاريخـى ، وليس حلما يسـتحيل تحقيقـه ، الا بعـد وصـول الانسان الى عصر الحريـة ٠ ولكن ما سيعجل بـــه هو ان العالم قـد بـدأ مرحـلة خطر فنـاء البشريـة كلها ٠ والأمـل أن يوحـده الخطر الداهـــم متلما وحـد الاخوان المسلمين والشيوعيين ، والصباط ، والجنـود أمـام خطـر « الطريشة » **ذات يوم من يونيو عـام ١٩٥٥** ، والحـلم أن تكون وحـدة دائمة ، وليسـت وحدة مؤقتـة كتلك التى حدثت ذلك اليوم ! ٠

كانت الساعة قد بلغت العاشرة صباحـا حين انتهـى الطبيبـان ، الاخوانى ، والشيوعـى من حديثهما ، حين انصرف الجميـع وقـد سـاد بينهم جـو التعاطف والتفاهم وروح العمل المشـترك لمواجهـة الحيـاة المشتركة فى هذا **المكـان النائـى عن كـل شىء** الا الرمـال الصـفراء ، والحيوانات المفترسـة ٠ والثعابين ٠ حقـا ، الاخوان المسلمون لهم حياتهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لخاصة ، ويعيشون معا فى قسم من السجن ، وكذلك الشيوعيون ، ولكن هناك ما يفرض تعاونهم ، الأكل ، والوفاية ، والعلاج ، واتفق على تنظيم العمل المشترك فى المطبخ وفى الفرن • وعلى عمل خيمة كمستشفى يديرها الطبيبان ، الاخوانى والشيوعى ، فضلا عن طبيب السجن الذى يأتى بضعة ساعات فى النهار فقط • ولم يكن من العريب أن تتكون صداقات قوية بيننا وبين عدد كبير من الاخوان المسلمين ، بعضها صمد أمام محاولات كثيرة لضربها حتى وصل الأمر الى حدوث أنقسام بين الاخوان المسلمين فى صورة مؤيدين للثورة ، ومعارضين لها ، وسوف اخصص لهذه المسألة حديثا آخر فى رسائل مقبلة •

كان صباح أول يوم لنا فى سجن جناح مشحونا الى حد أننا نسينا أن أقدامنا ما زالت يحيط بها « **الحجلات** » **وتجر سلاسل حديدية** • وكان ولم اسحق أكثرنا حماسا لسرعة ازالة تلك القيود ، فقدماه النحيلتان تحمل « بالعافية » جسمه الهزيل • همس فى أذنى ضاحكا • •

– أيه يا درش أنت نسيت « الحجلة » (*) الرئيسية ؟

– أبدا يا ولدم •• لكن يبدو أن نلاحق الأحداث جعلنا ننسى • •

– تبقى فقدت الاتجاه •

وأذهب معه الى مأمور السجن نطلب منه سرعة فك بقية قيودنا • ونعطى المأمور أوامره الى الحداد فى الورشة الصغيرة التى نقع فى أحد أركان السجن • وبعد أن ينتهى الحداد من مهمته نرى أمامنا تلا من **السلاسل الحديدية** • ويذكرنى مشهد هذا التل الحديدى بمشهد مماثل له فى **ليمان طره** •

فى مايو ١٩٥٥ – قبل رحيلنا الى الواحات بشهر واحد – أعلن **المشير عبد الحكيم عامر** فى اجتماع ضخم شهده كل المسجونين فى **ليمان طره وأبو زعبل** ، وعدد كبير من ضباط قيادة الثورة ومصلحة السجون ، الغاء القيود الحديدية بعد أن قام بحركة مسرحية بقطع سلاسل أحد المسجونين بالطرقة والأجنة • ولم ندع نحن لحضور هذا الاجتماع ، وسمعنا عنه وما دار خلاله وعلمنا فى الحمام العمومى اليمان نستحم حيث كان علينا الدور فى ذلك اليوم • لم نتمن فى حياتنا طوال فترة السجن سيئا كما تمنينا ان نخلع عنا هذه القيود الحديدية كباقى خلق الله من المسجونين العاديين ، فقد

(*) هى الحلقة التى توضع حول الساقين وتربط بهما سلسلة وزنها ٣ كيلو جرام تعلق فى وسط جسم المسجون بحزام •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كنا شبه متأكدين بان قرار تحطيم الاغلال الحديديه لن يشملنا ٠ كانت أمنية غالية أن نستحم ولو مره واحدة دون أن نحمل القيود الحديدية فى أقدامنا ، بعد الجهود المضنية التى تبذلها عند خلع الملابس ثم عند ارتدائها بعد الاستحمام ٠

كنا قد تعودنا على السلاسل الحديدية فى أقدامنا ، وعلى صوت رنينها أثناء قيامنا أو جلوسنا أو سيرنا أو حتى خلال نومنا ، لكنا كنا نعانى عند كل استحمام ، أثناء خلع الملابس ، ثم أثناء ارتدائها ٠

عند خروجنا من الحمام **والسلاسل الغليظة** فى أقدامنا شهدنا منظرا غير مألوف فى الليمان ٠ أعدادا كبيرة من المساجين يجرون ويمسكون بأيديهم القيود الحديدية التى كانت فى أقدامهم ، يصيحون بفرح شديد ويهتفون لصاحب قرار تحطيم القيود ٠

صاح أحدهم فينا :

ـ لماذا لم تحطموا أغلالكم ؟

ـ القرار لا يشملنا ٠ ٠

ـ هذا ظلم ٠٠ ولماذا ؟

ـ السياسيون لا يشملهم القرار ٠٠

ـ الاخوان خلعوا القيود ٠

ـ الاخوان شملهم قرار الافراج عام ٥٢ بعد الثورة ولم يشملنا ٠

ـ الأمر مختلف ٠ ٠

ـ هل لديك أخبار ٠ ؟

ـ لا ٠٠ ولكنه المنطق ٠٠

ـ نحن استثناء ٠ ٠

ويصل لأسماعنا من بعد صوت ودود ، كلما سمعناه ، أحس بالأمان ، صوت الضابط الصديق (٠٠٠) :

ـ أيه يا جماعة ما خلعتوش الحديد ليه ٠٠ ؟

ـ هل يشملنا القرار ٠ ٠

ـ طبعا ٠٠ أنا كنت خايف زيكم ٠٠ القرار يشملكم ٠٠

وكانت فرصة كبيرة جربنا الى ورشة الحدادة ٠ بضربة الحداد الماهر بمطرقته قطع حجلة القدم اليسرى ، وبضربة واحدة أخرى قطع حجلة القدم اليمنى ٠ ومثل آلاف المسجونين حملنا قيودنا بايدينا وجرينا على العنابر ، وقفزنا السلالم قفزا حتى الدور الرابع ، وألقينا جميعا بهذه القيود الكريهة الى أرض العنبر ٠ فيد وراء قيد لنجد بعد القاء آخر قيد جبلا من الحديد ، كان يتحرك حتى صباح اليوم مع أقدام العبيد ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ألم أقل لك يا حبيبتى أننا محظوظون ؟ · **قيدونا بالحديد مرتين** ، مرة عندما صدرت **ضدنا الأحكام** ، ومرة عندما رحلونا الى سجن « **جناح** » ، وخلعناها **أيضا مرتين** · وعدد شهور السنة فى الأحكام القضائية عند كل المسجونين ٩ شهور فقط · أما عندنا فشهور السنة ١٢ شهرا بالتمام والكمال · وكل المسجونين كانوا يخرجون من السجن ، فى مناسبات أعياد الثورة ، والفطر والأضحى ، بنصف المدة ، ولم يخرج أحد منا فى أى مناسبة من هذه المناسبات · ولانهم « يعسوقننا » ومغرمون « صبابة » بنا فقد كانوا يستضيفوننا سنوات بعد قضاء مدة العقوبة ! وفوق هذا كله فان المسجونين العاديين ـ وهم عدد قليل ـ الذين رحلوهم معنا الى الواحات وهم من الصناع ـ كانت مدد أحكامهم لا تقل عن ٢٠ سنة ! وأغلب الظن انهم سيموتون معنا فى الصحراء قبل انتهاء مدة عقوبتهم ، وربما يدفنون معنا فى الصحراء · هكذا كانوا يفكرون ، ولا من « سمع ولا من درى » !

بعد أن خلعنا **قيودنا الحديدية** ، وقف بعض الزملاء يتأملون هذا التل من الحديد ، كيف ننظر نحن اليه ، وكيف ينظر اليه الضابط الذى فى « عهدته » هذا الحديد · لقد رفض بكل اصرار أن يأخذ أحد الزملاء مطعة من تلك السلاسل الحديدية ، كى يحتفظ بها ، فهى « عهده » ، ولازم يسلمها ·

صوت بصيح من بعيد · ·

ـ الفطار يا زملا · · الفطار · ·

ويحمل كل منا « **قرواتته** » لاستلام الفطار ·

ـ فول مدمس · · **يا للروعة !**

ـ فول مدمس حقيقى · · مش سوس مفول ·

ـ ده فول مدمس زى بتاع بره · ·

هذا الفول المدمس مثل الذى كنا نأكله قبل السجن ، وليس سوسا مفولا كما كنا نسميه خلال سنوات السجن الماضية · كان الفول مسلوقا وليس مدمسا · وكانت الفولة الواحدة بها عدد لا يحصى من ثقوب السوس · وفى كثير من الأحيان كنا نضبط السوس متلبسا بجريمة استمراره فى الحياة رغم تعرضه لأقصى درجات حرارة غليان المياه ، كان بعض الزملاء يرمون السوس « بقرف » ، وكان البعض الآخر ياكله « بلذة » · · ويدور الحوار التلقيدى عند كل أكلة فول :

ـ أيه القرف ده يا زميل ؟ ·

ـ ده بروتين · ·

ـ فعلا أيه الفرق بين لحم السوس واى لحم آخر !

ـ زى الفرق بين لحم الارنب ولحم القطة ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ وهو فيه فـــرق ؟

وكان الحوار ينتهى دائما بجملة تقليديـة :

ـ على أى حـال مسألة غير مبدئيـة يمكن الخلاف حولها ٠

بعد أن تناولنـا افطارنـا الشهى من الفول المدمس الحفيقـــى ، بالزبته والليمون والكمون ، والخبز الطازج ، سمعنا صوتا يقول :

ـ الشـاى يا زملا ٠٠

ـ شـاى ٠٠ شـاى ٠٠ !

ـ أيـه الحكايـة ٠٠ ؟

ـ دى ثـــورة ٠٠

ـ ياالهنـــا ٠٠

ـ طب ونشرب الشاى فى أيـه ٠٠

صوت حاسم يقول :

ـ كل واحد يغسل « قروانـنـه » ويشرب فيها مؤقتـا ٠٠

ويهجم الزملاء على « جرادل » المـاء ٠٠

ـ الميـه قليلة جـدا ٠٠ مستحيل أفرط فيهـــا دى علشـان طبـنـخ الغذاء ٠

ـ شويـة صغيرين ٠

ـ ٣٠ شوية صغيرة تخلص الجرادل ٠٠

ـ يا أخى نجيب غيرهـــا ٠٠

ـ أمشى ٥ كيلو ٠٠ لغاية العين علشـان اجيب غيرهـا ٠

ـ طب وأيه العمل ٠ عايزين نشرب شـاى ٠ ؟

ـ مش شانـى ٠ اتصرفوا ٠٠

ويأتـى الصوت الحاسم مـرة أخرى :

ـ مين بتعهد بمـلء الجرادل بعد ما تشربوا الشـاى ٠

ـ كلنـا ٠٠ كلنـا ٠

استهلك الزملاء المـاء المخصص للطبـخ فى غسـيل القروانـات كى يشربوا فيها الشـاى ولـم يتحرك بعد شرب الشاى لمـلء الجرادل بالمبـاه ويعـلو صوت غاضب :

ـ يا زملا املـوا الجرادل ميـه ٠٠

ـ بس نستريح شويـة ٠

ـ انت عاوز تضيع طعم الشـاى ٠

ويـرد الصوت :

ـ طيب مفيش غـدا ٠٠ وأنا راح أطبخ ازاى ؟

ـ لســه بدرى على الغـدا ٠٠ الساعة لسة ١٢ ٠٠

ويرتفع الصوت الحاسـم مـرة ثالثة :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

– عايزين ١٠ جرادل ميه ٠٠ كل زميلين ياخدوا جردل يملوه ٠٠ من فضلكم ٠٠

ويستغرق ٢٠ زميلا مسيرة جلب المياه من العين التى تبعد عن السجن خمسة كيلو مترات ٠ ويدور حوار خلال المسيرة :

– يعنى علشان الواحد يستحم لازم يمشى ١٠ كيلو متر ذهابا وايابا ٠

– وطبعا فى العودة راح يصفى الجردل على النص ٠٠

– يعنى كل اتنين يستحموا بنص جردل ميه ٠٠

ويقول أحد الزملاء ضاحكا :

– يا ترى مين صاحب نكته « يحموك فى كستبان » ٠

– دى ما بقتش نكته ٠٠

– لازم نشوف حل لمشلكة الميه دى

– وهيه دى المشكلة الوحيدة ؟

فعلا لم تكن مشكلة المياه هى المشكلة الوحيدة وان كانت أهم المشاكل التى واجهتنا فى السجن الجديد ٠ لقد كان كل هم المسئولين الكبار – بعد اضراب المسجونين فى ليمان طره ، أن ينقلونا فورا قبل أن « يستفحل » خطرنا ٠ فاختاروا هذه القطعة من الأرض فى قلب الصحراء ٠ بعيدة عن مصادر المياه ، واحاطوها بالأسلاك الشائكة ، ثم القوا بداخلها أجولة من الفول والعدس والأرز والدقيق والفاصوليا الناشفة ، وعددا من الخيام ، وكميات من الخشب والصاج والمواسير ثم قالوا لنا : ابنوا سجنكم بانفسكم ! لقد حسبوا أننا سنستسلم لقسوة الصحراء ، فتدفننا رمالها ونحن أحياء أو على شفى الموت عطشا أو جوعا ٠ وقررنا أن نخوض معركة استمرار حياتنا ٠ قررنا أن نبنى فى قلب هذه الصحراء واحة ، ليس فقط لناكل فيها ونشرب ، وانما كى نقرأ ونكتب ونتعلم ونرقص ونغنى ، ونمارس كل نشاطات الحياة ٠

وقضينا الساعات الباقية من نهار يومنا الأول فى الصحراء ، وجزءا كبيرا من ليل ذلك اليوم فى الاعداد للمعركة ، معركة استمرار حياتنا ٠ وكان اليوم التالى هو يوم بدء المعركة ٠

أحكى لك قصة ذلك اليوم فى الرسالة القادمة يا حبيبتى ٠

٢ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٢٦)

حبيبتـــى

كان السؤال المطروح ونحن نعـد للمعركـة ، هو : من أيـن نبـدأ ؟ وكانـه الاجابة : أن نبـدأ بالبنـاء ، بنـاء مقومات استمرار حياتنـا فـى هـذه البقعة النائيه فى **قلب الصحراء** فهى ليست معركة رفـع مستوى المعيشـه داخل السجن ، مثل المعـارك التى خضناهـا خلال سنوات السـجن السابقة ، وانما هى معركـة **الحد الأدنـى للحيـاة ذاتهـا** ، ومررنـا أن نبـدأ كمـا بـدأ الانسان الأول حياتـه الى **جوار المـاء** • واذا كنـا لا نملك حريـة الانتقال الى جانب عين الميـاه الوحيـدة فى كل هـذه المنطقـة من **الصحراء** ، فنحن نملك القدرة على نقـل الميـاه الينـا • وكيف ؟ ان استمرارنـا فى نقـل الميـاه بواسـطة « الجرادل (وبعـد **مسيرة ١٠ كيلو مترا** ذهابـا وايابـا) ، لا يجب أن يستمر هكذا • يجب أن تصـل الينـا الميـاه بواسـطة مواسـير ، ولكن هذا هـدف بعيـد • يستغرق تحقيقـه شهرين على الأقـل ، يتومر خلالهما المواسير ، والخبـرة الفنيـة ، وخـلال هذين الشهرين يجب أن يتـم نقـل الميـاه اللازمة لطهـى الطعام ، وخبـز العيش ، وغسـل الملابس ، والاستحمام ، فضـلا عن رى مساحة من الأرض نزرع فيهـا خضروات ، بأقل جهـد ممكن • اذن لابـد من الحصـول على « طلمبـة » ميـاه تسـحبها من العين العميقة الذى ينزل الى حافتهـا الزملاء كى يملأوا الجرادل ، ثـم يتناولها زملاء آخرون ، وهؤلاء بدورهم يناولونها الى مـن يحملهـا الـى السـجن • وعـد المأمور بشراء طلمبـة ميـاه خلال أسبوع على الأكثـر ونفذ وعـده • وكانت فرحتنـا كبيرة حين تـم تركيب هذه الطلمبة • وفرنـا المجهـود الذى كنـا نبذله فى النزول الى عين الميـاه ، ثـم الصعود منهـا ، وزال خطـر الوقوع فى العين عند فقـد توازن من يقوم بملـىء الجرادل ، فضـلا عن اختصـار عـدد الزملاء الذين يقومون بنقـل الميـاه الى النصف • اذن نسـتفيد من هذا النصف الذى توفـر بعد تركيب الطلمبة فى اعـداد براميـل لحفـظ الميـاه بـدلا من الجرادل • سرق الزملاء ٤ براميـل فارغـة من زيت السـولار الذى يستخدم فى ادارة ماكينـة الكهربـاء المخصصـة لانـارة المعسـكر • وكانت مشـكلة عندما اكتشـف ملاحظ ماكينة الانـارة سرقـة البراميـل الأربعـة :

ـ صـاح الملاحظ :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ رحت فى داهيـة ٠ ٠
ـ ليـه ٠٠ ما هـى البراميل موجودة ؟
ـ ما تنفعش بعد ما قطعتوهـا ٠ ٠
ـ معلهش ندفـع ثمنهـا ٠ ٠
ـ مش ممكن ٠
ويذهب الملاحظ الى مأمور السجن الذى يأتـى لمعاينة موقـع الجريمة :
ـ يا جماعة البراميـل دى عهـده ٠ ٠
ـ تانى ؟ ٠٠ البراميـل عهدة ٠٠ والسلاسـل الحديدية عهدة ٠
ويقول زميـل آخـر :
ـ وهو احنـا مش عهـدة برضـه ؟
ويرد المديـر :
ـ طبعا أنتم فى عهدتـى ٠ ٠
ـ والعهـدة ٠٠ ألا تحتاج الى صيانة ؟
ـ طبعا ٠٠ وهو أنـا قصرت فى حاجة ٠
ـ فى المقومات الأساسية لحياتنـا ٠
ـ وأيـه طلباتكم ؟
ونضع أمامه قائمة الطلبـات الضرورية ، مواسـير ميـاه وحنفيـات وعـدد من الصهاريـج لتخزين الميـاه ٠ ومطبخ مجهز بالحد الأدنـى بأدواته الطهى ، وفرن ، وخيمة كبيرة تسـتخدم كمستشفى تجهز بالحد الأدنـى من الأدوية والأجهزة الطبية والاسرة ٠
ويعلق المديـر ٠ ٠
ـ انتم مش شايفين انها طلبات كثيرة جـدا ٠٠
ـ دى الحد الأدنـى التى تسمح لنـا باستمرار الحيـاة ٠
ـ بس تنفيذهـا ياخد وقـت ٠
ـ هل يمكن تحديد هذا الوقت ؟
ـ طبعا مش ممكن ٠٠ سأرسل مذكرة بطلباتكم للمصلحة ٠
ـ وطبعا المصلحة تعمل مناقصة ٠٠ و ٠٠
ـ ما انتوا عارفين الاجراءات ٠٠
ـ لكن ممكن اختصارهـا ٠ ٠
ـ [illegible] ؟
ـ نحن نثق فى قدرتك على حلها بسرعـة ٠
ـ طيب ساعدونـى ٠ ٠
ـ مثلا ٠٠ تشترى لنا بعض اللوازم الضرورية ٠٠ مثل المواسـير والحنفيـات ٠
ـ والباقـى ٠ ٠ ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ الصهاريج والطلمبات من القاهرة ٠٠
ـ راح تاخد وقت ٠
ـ نقترح ان تسافر بنفسك الى القاهرة ٠٠ وتوصى ، بعد عرض الوضع على المسئولين ٠٠
وبضيف زميل ٠
لا تنس انك هى النهاية المسئول عنا ٠
ويضيف آخر :
ـ واذا حدث شىء ٠٠ فستكون مقصرا فى نظرهم ٠٠ لانك لم تبلغهم ولم تطلب منهم شيئا ٠

وبقتنع **المأمور** ويوافق على السفر الى القاهرة بعد أن يتعذر أننا مواسير وحنفيات فى نفس اليوم ٠ ونتفق معه على حل عدد من المشاكل ٠ **زيارة الأهالى** ٠ ارسال الخطابات واستلامها ٠٠ السماح لنا بطرود الملابس والأدوية وعلب الطعام المحفوظة والسجاير والسكر والشاى والكتب ٠

ويقول المأمور ضاحكا :
ـ والستات والبنات ٠٠
ـ لأ دول نروح لهم قريبا ٠٠
ـ ان شاء الله يا أولادى ٠٠
يقولها الرجل بكل صدق وحب ٠

وقبل أن تغرب الشمس ، يسرع الزملاء وعدد من الاخوان المسلمين لتفريغ اللورى المحمل بالمواسير والحنفيات ٠ **الفنيون** من الاخوان يقترحون عمل دوره مياه لنا ، واثنتين لهما ، وثالثة للمسجونين ، ورابعة للاستخدام العام ٠ ويبدأ العمل فى فجر نفس اليوم قبل أن تلتهب رمال الصحراء بأشعة شمسها القوية ٠ وتخرج مجموعات من الزملاء والاخوان الى **موقع العمل** ٠ وفى نشاط وحيوية يبدأ العمل ويستمر حتى الثانية عشر ظهرا ٠ أشعة الشمس قوية لم نعد نحتملها ، والرمال تحولت الى كتل من اللهب ، تلسع أقدامنا الحافية ، والعرق يتصبب غزيرا من أجسامنا العارية حتى منتصفها ويأتى صوت **المهندس الاخوانى** الذى يقود العمل ٠

ـ الحمد لله ٠٠ لقد انجزنا جزءا لا بأس به من العملية ٠
ـ كم من الوقت تستغرقه عملية مد مواسير المياه ؟
ـ هذا يتوقف على استعدادكم ٠٠
ـ نحن مستعدون للعمل طول النهار والليل ٠
ـ عدا فترة الظهيرة ـ من الساعة ١٢ ظهرا حتى الساعة ٣ بعد الظهر ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ موافقـــون ٠ ٠

ونتفق على تنظيم ورديـات ، كل ورديـة تعمل ٧ ساعات فيكـون مجموع ساعات العمل اليومية ٢١ ساعة ٠

ـ اذا نفذنـا هذا بدقـة نستطيع أن ننجز عمليـة مـد مواسير الميـاه في أسبوع واحـد ٠

ـ وهـل نستأنف العمل اليوم في الثالثة بعد الظهر ٠ ٠

ـ اقترح ان يبدأ نظـام الورديات من اليوم بعد الظهر ٠ ٠

ـ سنحتاج الى كلوبات للانـارة ليـلا ٠ ٠

ويتعهـد زميـل كهربائـي بتدبير أسلاك كهرباء ولمبـات وأخذ توصيلة من ماكينـة الكهربـاء ٠ ٠

ويتسـاءل زميـل :

ـ كيف وأنت محتاج لآلاف الأمتـار ؟

ويضحك الزميل الكهربائـي :

ـ يا أخي المخزن مليان أسـلاك ٠

ـ وكيف ستحصل عليهـا ؟

ـ ده شغلي بقـى ٠

ويذهب في نفس الساعة الى ملاحظ ماكينة الكهرباء ويعرض عليـة اتفاقـا من بنـد واحـد ٠ أن يستعمل اسـلاك الكهرباء التـي في عهدتـه لتوصيل الكهرباء الى موقـع العمل ، وبعـد الانتهـاء من عمليـة مـد مواسـير المياه ، يتعهد باعـادة الأسـلاك ويلفها على البكـرة كما كانت ٠ ثـم يقـول ضاحـكا :

ـ هذا والا ٠ ٠

ويرد الملاحظ :

ـ لا يا عم ٠٠ موافق ٠٠ كفاية حكاية البراميل ٠

وعند عودتنـا الى السجن يستقبلنـا الزميل **أحمد خضر** « العامل النقابـي » ورئيس الطهاة في السجن عند الباب قائـلا :

ـ تتصوروا راح تتغدوا أيـه النهاردة ؟

ـ راح يكون أيـه يعني ؟ ٠ عدس أو فـول ٠

وحبه العذاء العادية في السجون أما عدس وأما فـول ٠ أو كما كنـا نطلق على العدس اسـم « العدس **الزلط** » أي العدس المملوء زلطـا ، وعلـى الفـول اسـم « **السوس المقـول** » ٠ ٠

ـ طب واذا اكلتـوا طبيخ ٠ ٠

ـ طبيـخ !

ـ طبيـخ !

ـ وده معقـول ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ واذا حصـــل ؟

ويندفـع الزميل مسئول « الحياة العامة » أعطيك علبة ســـجاير هوليود

ـ لارج ٠ ؟

ـ لا ٠٠ صغيرة ٠٠

ـ راح تتغدوا ٠٠ فاصوليا بالدمعة وأرز وطبعا لحمة ٠٠

ـ لحمة وفاصوليـا ورز ٠٠ مرة واحدة ٠ ٠

ـ ده حلم ولا علم يا ولاد ٠ ٠

ويقف **أحمد خضر على** أطـراف أصابعه فى محاولة يائسـة ليكـــون رأســه على ارتفـاع معقول ، فهو قصير وبدين ، ويقـول بصوته المسرسـع ولسانه الألدغ :

ـ يـا زميل أنا لا « أعلف » ٠ أعرف ٠٠ المستحيل ٠٠

ويرد عليه الزملاء ٠٠ عالفين « يعنى عارفين » ٠ ٠

وأضحك مع الزملاء ٠٠ ويقول أحمد خضر :

ـ طب وانت بتضحك لبـه يا درش ٠٠ الحال من بعضه ٠ ٠

ـ ألدغ صحيح ٠٠ لكن طولك مرتين ٠ ٠

ويجرى الزملاء وراء **أحمد خضر** الذى يعطى كل زميـل نصيبـه من اللحمـة والفاصوليـا والرز ٠ كله على بعضـه فكل زميـل لا يملك غير قروانـه واحدة يستخدمها فى الأكـل وفى شرب الشاى وعند الاستحمام ، بـل وفى نقـل الرمال من الأرض الى « الففـة » أثنـاء العمل فى الموقـع عند عين الميـاه ٠ بعد قليـل يرتفـع صوت أليف محبـــوب ننتظره دائما بعـد كل وجبـة طعام ٠ ٠

ـ الشـاى يا زملا ٠٠ الشـاى ٠ ٠

ونجرى نحو نبـع الشاى ٠ ٠وتثور نفس المشـكلة ٠٠

ـ مستحيل أفرط فى نقطـة ميـه ٠٠ الميـه دى علشـان طبيخ العشـا

ـ يا أخـى نجيب لك غيرهـا ٠ ٠

ويأتـى صوت **صلاح حافظ** :

ـ يا زملا نضفوا القروانـة بشوية رمل ٠٠

ـ الشاى « يكرف » من ريحة الطبيخ ٠ ٠

ـ الرمل يضيـع الريحـة ؟

ـ على مســئوليتك ؟

ـ جرب ٠٠ لن تخسر كثيرا ٠ ٠

ويجرى الجميـع الى أقرب مكان بـه رمال سـاخنة ينظفون القروان ، ثـم يعودون لأخـذ الشـاى ٠

ـ متى نشرب الشاى زى البقى آدمين ؟

ـ منظر الشاى فى الكباية الزجاج ٠٠ رائـع ٠٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ ليـه طعم الشـاى فى الكبابة أحسن من الفنجان ؟
ـ فعـلا ٠٠ ليـه ؟
الجميع يوافقون ٠ ولكن لا أحـد يعرف لماذا ؟

وننصرف لقضـاء القيلولة فى الخيـام ٠ الاحساس بالراحـة بعد العمل المضنى ممتع ٠ هؤلاء المتخمون بالراحـة لا يحسون بهـا ، يمتصـون دمـاء الكادحين ويشربون عرقهم وهم فى مكاتبهم المكيفـة ، ويعقـدون الصفقات وهم فى أسرتهم الوثيرة ، ويصرفـون الآلاف على موائـد القمار دون أن يختلج عرق واحـد من عروقهم ٠ حتى عقولهم لا تعمل فقـد استبدلوا بها أموالهم التى يتسترون بهـا العقول كمايشترون الأبـدان ٠

يجب ألا ننام قبل أن نقـرأ ٠٠ هذا ما تعودنا عليه ٠ فهـل نسـتطيع القراءة قبل نـوم القيلولة ، وبعـد هذا العمل المضنـى الذى قمنـا بـه منذ فجـر اليوم حتى الثانية عشر ظهرا ؟ امسـكت بكتاب لأقـرأ فيـه وأنـا ممـدد على سريرى الخشبى ٠ ورغم جفـاف مـادة الكتاب فـان ذهنـى كان يتجاوب معها بشـكل غريب ٠ هـل يمكن أن يكون جسـمى مهـدودا الى هذا الحـد ويظل الذهن متوقـدا ؟ ورحت أستكشف ما فى داخـلى ! أحس بأمان الى حـد كبير بعد أقـل من يومين من تواجـدى فى هذا السجن ٠ فما هو مصدره ؟ يبدو أن ارادة **التحدى** من أجـل استمرار حياتنـا بالعمـل الجماعى ، فضلا عمـا نلاقيه من معاملة انسـانية من المأمور والضباط ، كـل ذلك أبعـد احتمالات تدبير **مؤامرة لاغتيالنـا** ٠ حتـى لدغـة « **الطريشة** » لـم نعـد نفكر فيهـا كثيرا ٠ بـل لقـد كدنـا ننسى خطرها تماما ٠ حقـا صوت الحيـاة هو الأقـوى ٠ وبقدر ما يرتفـع صوت الحيـاة فى داخل الانسـان بقـدر ما يتوقـد ذهنـه وينشـط حتى ولو كان جسـمه مجهـدا متعبـا مكدودا ٠

اذكر أن عينى لـم تغف أكثر من عشر دقائق ، قمت بعدهـا وقـد دب النشـاط فى جسمى الذى كان متعبـا منذ أقـل من سـاعتين ٠ نـداء العمل ٠ هذا هو أحـد أشـكال صوت الحياة التـى قررنـا ان نبنيهـا بسواعدنـا الفتيـة ٠ كان النداء ٠٠ دقات رتيبـة على جردل مـاء تتوقف لحظـة ٠٠ ثـم تعود مرة أخرى ، ٠ وما أن تتوقف دقات المرة الثالثة حتى يكـون جميـع الزملاء قد انتظموا فى طابـور [illegible] على الشـفاه ، والتحـدى يفيض على الوجـوه انسانيه ٠ كنت أرى كل الزملاء ، وأحس بهم ، من خلال ما أراه فى نفسى وأحسه ٠ هاأنذا أراهم أكثر نشـاطا وحيويـة ، وأكثر احساسـا بالأمان ٠ أغلب الظن أن ما دار فى ذهنـى خلال فتـرة قيلولة الظهيرة هو نفس ما دار فى أذهانهم ، كانت هـذه الوردية الثانية فى اليوم الثانـى من وجودنـا فى سـجن الواحـات التى تذهـب من أجل جلب الميـاه ٠ خلال سيرنـا وجدنـا الزميل الكهربائـى ومعـه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ملاحظ ماكينه الكهرباء ، و٤ مساجين يعملون فى مد أسلاك الكهرباء ، قال للزملاء الذين يحملون الكلوبات ٠ ٠

ـ مفيش نقصه فى كلامى والا أيه ؟ ٠ ٠

وبرد مادد المسدرة .

ـ أبدا ٠ كلنا بقة ٠ بس من باب الاحتياط ٠ ٠

ـ على أى حال اطمئن ٠٠ راح تكملوا الشغل على نور الكهرباء ٠ ٠

عندما تمتلىء نفس الانسان بالنقة يصنع المعجزات ، النقة فى النفس تمنح الانسان مدرة هائلة على العمل والخلق والابتكار ٠ وهذا الذى أراه يجرى وأشارك فيه أكبر دليل على ذلك ٠ لا أظن أن الذين ألقوا بنا فى هذا المكان من الصحراء البعيد عن الماء ، مصدر الحياة ، كانوا يحسبون أننا سوف نتغلب على هذه المشكلة وبهذه السرعة فى التفكير والتخطيط والتنفيذ ٠

الساعة تقترب من العاشرة مساء والعمل لايزال مستمرا بنفس الحيوية والنشاط ٠٠ ونلمح من بعيد الوردية الثالثة فى طريقها الينا ٠ نصيح صوت :

ـ الوردية الثانية تسلم للوردية الثالثة ٠٠

وترتفع أصوات ٠٠

ـ سنواصل العمل معهم ٠٠

ـ لسه عندنا ما نعطيه ٠٠

وتهتف أعماقى فى صمت : أبدا لن تتوقف عطاؤكم يا أبناء مصر البررة ومصريا أحبائى معطاءة ، أعطت للانسان مالم تعطه أى بلد آخر فوق هذا الكوكب ، حكام مصر اليوم يا أحبائى لا يعبرون عن وجهها ، فلا تكترثون لما يمعلونه ضدكم ٠ مصر الغد ، هى مصر الشعب وسلطته ٠ هى مصر الكادحين والمعارقدن ٠ انتم مثلى ترونها فى الأفق ، البعيد القريب ، الحلم الأمل ٠ ماهنفوا من الأعماق أن مصر قد أصبحت للشعب ٠

لا أعرف كم مضى من الوقت حين توقفت عن العمل وأخذت اتأمل وجوه زملائى وهم يعملون ولا أعرف أيضا كم من الوقت كانت تأملاتى ستستغرقه ٠٠ فقد جاءنى صوت **وليم اسحق** الذى كان يقف الى جانبى دون أن أحس به ٠٠ يقول :

ـ اسمع يا درش انا لازم أرسمك صورة بالزيت ٠٠

ـ صحيح يا وليم ٠٠ يارت ! لكن ايه المناسبة ؟

ـ تقاطيع وجهك القوية المحددة تلهب فرشاتى ٠٠

ـ دايما أسمع منك الحكاية دى ٠٠

ـ لم أرها بمثل هذه القوة ٠٠ كما رأيتها منذ لحظة ٠ ٠

ـ ليه بقى ٠٠ ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ ما كان يدور فى أعماقك جسدته تعبيرات وجهك ·· تداخل فيهـا هذا الضوء ·· يا دين النبى ·· يا عالم فرشـة وألوان ·· راح أتجنن وأجـد ذراعاى تحتضنه فى حنان ·· والدموع تفـر من عينى وأقـول ليـه ··

ـ بس يسمحوا بالطرود ·· وكل اللى أنت عاوزه راح ييجى ·

وكالأطفـال يصيح وليـم :

ـ ده أنا أبقى ملك ·

ومنذ ذلك اليوم ونحن نطلق على وليـم اسحق اسـم « **ملك الصحراء** » صبحنـا نناديه « **ياملك** » وكثيرا ما كان يغضب اذا لم يناديه أحـد ذا الاسـم الجديد · وكثيرون حتى بعـد خروجه من السجن لا يعـرفونه باسـم « الملك » ·

ينتشر نـور الفجـر ونلمح الورديـة الأولى فى اليـوم الثالث قادمة الـى قع العمل · أتـربة كثيفـة تثيرها أقدامهم السائرة فى نبـات ، تغطـى سامهم ووجوههم ولكنهـا لا تستطيع أخفـاء تعبيرات اصرارها وتحديها· رتفع الصـوت المألوف ··

ـ الوردية الأولى فى اليـوم الثالث تستلم ··

ويصر بعض الزملاء فى الوردية الثانيـة والثالثة فى اليـوم الثـانى ى الاستمرار ، لكن قائـد العمل يرفض بشـدة

ـ ان لأجسامكم عليكم حقـا ··

ـ اسمعنى أنت ·

ـ انا لا أبذل مجهودا جسمانيا مثلكم ··

ـ مهمـا يكن الأمـر من حقك أن نستريح ··

ـ حسـنا ·· ساعود معكم ··

وبعـد أن يسلم قيـادة العمل الى أحـد مساعديه · يسير الجميع فـى ب ومودة · وبدور حوار · يسأله أحـد الزملاء :

ـ أيـه رأيك ·· راح نخلص فى الموعد المحـدد ؟

ـ اذا سـار العمل بالمعـدل الحـالى ·· نتأخـر يومين ·

ـ لكن ·· لازم يخلص فى الموعـد المحدد

ـ دى بقى مسألة تتوقف على همتكم

ـ سنضاعف من نشاطنا ··

ـ لازم نبـذل مجهود أكبـر ··

ونصـل الى خيامنا بعد حوالـى ساعة من فجر اليوم الثالث لوجودنـا ى **سجن جناح** · نستلقى على الأسرة فى محاولة للنـوم · ولكن يتـوقف ذهن عن العمل وهنـاك سؤال مطروح ، طرحته ظروف العمل فى الموقع · يف يتـم انجـاز هذا العمل فى الموعـد المحدد ؟ ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويطرح هذا السؤال أسئلة أخرى : هل يكفى الحافز المعنوى ؟ وهل الوعى هو الشكل الوحيد للحافز المعنوى ، أم هناك أشكالا أخرى ؟

وفى عمل مثل هذا الذى نقوم به ألا يمكن أن يكون الحافز المادى دافعا للعمل ؟

وفى مثل حالتنا هذه كيف نحدد الحافز المادى ، وما هى أشكاله ؟

وتستمر المنافسه أكثر من ساعتين لتنتهى الى صياغة محددة هى : الوعى بخطه العمل وأهدافها هو الأساس فى أى عمل جماعى ولصالح المجموع والعمل بروح الفريق ، لا تلغى المنافسه ، ويمكن أن يكون التنافس بين فريق وفريق ، والحافز المعنوى يمكن أن يتخذ أشكالا مختلفة ، مثلا : وسام للفريق الذى ينجز عملا أكبر ، أو شكر وتقدير يعلن شفاهة بعد انتهاء عمل الوردية ، ويمكن أن يكون أيضا وفى نفس الوقت حافزا ماديا ، مثلا : علبة سجاير للفريق المتفوق ، أو قطعة لحم زيادة لكل فرد منه .

وأحمل هذه الصياغه الى باقى الزملاء ، والى الأخوان المسلمين وبعد مناقشة يوافقون عليها بحماس ، وعند استلام الورديات من بعضها البعض فى نهاية كل يوم يعلن قائد العمل اسم الفريق المتفوق . أذكر أن أول فريق تفوق اقترح زميل أن يأخذ الفريق وسام مصطفى كامل . ووفق على الاقتراح عندما ارتفعت أصواتهم بنشيد .. بلادى .. بلادى . لك حبى وفؤادى . وكان الحافز المادى هو علبة سجاير هوليود . أى أن نصيب كل زميل كان سيجارة واحدة حيث الفريق مؤلفا من عشرة ، وترتفع أصوات :

- راح تشرب سيجارة بحالها ..
- لا على ثلاث مرات ..
- برضه ما جاوبتنى على السؤال ..
- لا .. طبعا .. معقول أشربها لوحدى ؟
- طب هات نفس ..

ويتجمع الزملاء حول حاملى السجائر . يختلسون بضع دقائق ويجلسون جماعات .. جماعات .. ويدخنون بلذة ومتعة .. وتختلط الأصوات ..

- انت برضه راح تولع ثلث ؟
- أمال يعنى أولع **السيجارة كلها** ..
- يا أخى دخنا ستة .
- نصف سيجارة بس ..
- لا تكفى .. ولع السيجارة كلها ..
- وبكره أعمل أيه .. نفسى أشرب نفسين الصبح ..
- يا أخى اصرف ما فى الجيب .. **ياتيك ما فى الغيب** ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ ده تفكيـر غير علمى يا زميل ..
ـ يا أخى ماتزودهاش ..
ـ يا الله ان شالله ما حدحوش ..

ويعودون الى العمل اكثـر نشاطا واكثـر حيوية . وكل فريق ينـاضل أجل الحصول على علبـة سجاير واحـد الأوسمة . وتمـر الأيام سريعا ـم انجـاز العمل فى موعـده المحـدد .

وكـان مشهدا مثيـرا . مشهد **نزول الميـاه من الصنابير فى قلب الصحراء**.

احكى لك عنه يا حبيبتى فى رسالتى المقبلـة ،

٤ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٢٧)

حبيبتـــى

كأنما كان الأمـــر اكتشافا جديدا لم تعرفه البشرية من قبل ٠ المـاء يجرى فى مواسير أكثر من ٥ كيلو مترات وينزل من الصنابير ٠ يا للسـعادة ! نستطيع منـذ هذه اللحظـة أن نفتح الحنفية لينزل منهـا الماء ، نشرب ، ونستحم ، ونطبخ ونخبز منـــه ، بل ونستخدمه فى رى قطعة أرض نزرعها٠

هل نزرع خضارا فقط أم نزرع بعض الأزهار والورود أيضـا ؟

ويـدور حوار طـريف :

ـ طبعـا خضار بس ٠٠ طماطم وخيـار وجرجير وفجل وفول و ٠ و٠٠٠

ـ والفـواكه ؟

ـ بطيخ وشمام ٠٠

ـ وليـه مش برتقال كمـــان

ويضج الزملاء بالضحك ٠

ـ بتضحكوا لبـه ؟

مـرة أخرى يضجون بالضحك ٠ ويرتبك الزميل ، وأخيرا يعرف سبب الضحك :

ـ انت ناوى تقعـد فى **السجن** لغـاية لمـا يطلع **البرتقال** ؟

ويـرد الزميل فى غضب ٠

ـ خلاص غلطت فى البخارى ؟

كان هذا الزميـل طيبا الى درجـة تصل أحيانا الى حد البلاهة ، وكـان حسن النيـة الى درجـة أنه يمكن أن يصدق أى كـلام يقـال له من زميل ٠ أليس زميـلا ؟ وكانت لـه فى نفس الوقت قـدرات هائلة على خلق صداقات مع أى انسـان يلتقى بـه فى الحى ، وفى الجامعة حيث كـان طالبـا ، وفى الأنـدية المختلفـة التى يتـردد عليهـا ، وكـان محبوبا من الجميع يثقون بـه ثقـة تامـة ، ويعتمدون عليه فى حل أى مشكلة تواجههم ٠٠

ويحكى عنـه الزمـلاء قصة طريفة ، حقيقية ، طلب منـــه مســئوله يومـا أن يجنـد بعض الفلاحين فى بلدته ما دام يملك هذه القـدرة علـى خلق علاقات وصداقات ٠ وجاءه فى اليـوم التـالى مباشرة يـزف اليـــه خبـر تجنيـده أحـد الفلاحين ٠ واندهش مسئوله ٠٠ بهذه السرعة سـافر الزميل الى بلدته وعـاد منهـا بعـد أن جنـد فلاحـا ؟ فسأله :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ لحقت تسافر البلد ونرجع ؟
ـ مدن مال انني سافرت
ـ أمال الفلاح ده منين ..
ـ طالع بمعى كليه الطب « جامعة فؤاد »
وضحك المسئول وقال :
ـ بأمول لك فلاح مش طالب ..
فرد عليه ببراءة شديدة :
ـ طيب ما هو طالب فلاح ..

والغريب أن هذا الزميل الذى يملك هذا القدر من حسن النية ، والطيبة، يملك فى نفس الوقت دهاءا يفوق دهاء الثعلب ، وذكاءا حادا ، وذاكرة قادرة على حفظ أى شيء نمر بها ! كنا نكلفه بأخطر التكليفات داخل السجن ، وارسال واستلام الخطابات والتقارير المرسله منا والواردة الينا . كما كنا نستعين بذاكرته عندما نحتاج الى نص محدد فى مرجع محدد ! حتى بعض الاحصائيات التى تكون قد مرت عليه يعيد ذكرها بمجرد الحاجه . كنت أحبه كأبن أكثر مما كنت أحبه كزميل . ليس فقط لصغر سنه فقد كان هناك زملاء فى مثل عمره .وكان هو أيضا يلجأ الى لا بوصفى رمزا له أو مسئولا ، ولكن باحساس الابن .

المحه مستمرا فى الحوار ولكن لا أسمعه . يحرى نحوى وعلى وجهه غضب ، ويقول .
ـ أظن ده بمعى بمعى منتهى الرفاهية .
ـ أيه هوه ؟
يشير الى أحد الزملاء ، ويقول :
ـ عاوز مزرع ورد وزهور
ـ ورود وزهور بس ؟
تزول بعض تعبيرات الغضب من وجهه :
ـ لا طبعا . وخضار كمان
.. مش أيه الفضيحة ؟
ـ المشكله ان كنت نستفيد من الأرض والمزرعة فى زرع خضار علشان الأكل وبس ..
ـ طبعا الأولوية للخضار ..
ـ ما كفاية الخضار .. أيه لزوم الورد ..
ـ برضه .. مفيد ..
ـ مفيد فى أيه .. بيتاكل ..
ـ لا له فوايد أخرى .. متعة جمالية مثل الموسيقى مثلا .
ـ بس بشرط ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ مفهوم ·· بشرط توفير كل احتياجاتنا من الخضـار ·· موافق ؟

ويبتسم فى هدوء ·· ويعلن موافقته ·· والطريف ان هذا الزمبل كـان أول من قـام بزرع ورد وأزهار أمـام الخيمـة التى يسكن فيهـا · وكـان يقف لحراسها طول وقت فراغه ، ويعهـد بها الى زمبل آخـر عندمـا يكون مشغولا فى عمل بعيـد عنها نطيـر وردة يعطيها لـه ·

الحركة لاتهـدأ عنـد صنابيـر الميـاه التى أتينـا بهـا عبر الصحـراء · البعض يملأون الجرادل ويذهبون بهـا الى المطبخ ، وآخرون الى المخبـز ، وبعضهم يسنحم فى الهواء الطلق ، فالعمل فى الحمامات لـم يبـدأ بعـد فما زلنـا فى انتظـار الخزانات وطلمبـات الميـاه التى وعدنا بهـا المأمـور وقـد سافر خصيصا من أجل احضارها هى ولوازم أخـرى · فجأة نسـمع أصوات بعيـدة تـردد نسدد : بلادى · بلادى · الصوت يقتـرب ، موكب من ست سيارات تتقدمهم سيارة المأمور البيك آب ، عربتان بهما زمـلاء يرددون النشيد ، و ٤ عربات لورى تحمل أشـياء كثيـرة لا نتبين منهـا سـوى الصهاريج ·

ـ ادن معـد نفـذ المأمور ما وعد بـه ··

ـ ومن هؤلاء الزملاء ·· ؟

ـ أحكام جديدة بالأشغال الشـاقة ؟

ـ ربما ولكن من ·· ؟

يصرخ أحـد الزمـلاء ··

ـ دول الزملاء اللى فى **سجن مصر** ··

ـ لكن دى أحكامهم سجن بس ··

ـ لازم راح يلمونا كلنـا على بعض ·

ـ دى تبقى مخالفـه صريحة للقانون ·

ـ قانون أيـه اللى أنت جاى تقول عليـه · ؟

يقف العربات عند **باب السجن** · يجرى اليها الزملاء يستقبلون زملاءهـم بعـد فـراق سنوات · **مأمور السجن وضباطه وجنوده** يشاهدون هـذا المشهـد الانسانى فى صمت ·

قـوة اللحظـة وعمق انسانيتها يمكن أن تحـرك الجانب الانسانى حتى عنـد أشرس البشر فما بالك ومعظم هؤلاء وعلى رأسهم المأمور قد أصبحـوا شـبه أصدقاء لنـا ·

بصـوت ودود يقـول المأمور :

ـ انتو بقى مبسوطين بحضور زمايلكم ·· والا بالصهاريج دى ··

ويصيح الزمـلاء فى وقت واحـد :

ـ **الاتنين طبعـا** ··

ـ الخير على قدوم الواردين ·· جبت لكم كميـات هائلة من الطـزود ··

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وللتأكـد يسألون :

- طـرود أيـــه ..
- طرود من أهاليكم .. ،
- هايل « لازمـة مجدى فهمى »
- عظيم « لازمة زكى مـــراد »
- مدهش « لازمة صلاح حافظ »
- آهو ده الشغل « لازمة ملك الصحراء »
- رائـع « لازمـة محمد سُـطا »
- تمـــام « لازمة سعد باسيلى »

لـم تهـدأ حـركة الاهالى منـذ غادرنا **ليمـان طـره الى سجن « جناح » بالواحات الخارجة** . كانوا يترددون يوميـا على **مصلحة السجون والمبـاحث العـامة ورئاسة الجمهورية ودور الصحف والنقابات المهنيـــة والعماليـة** ، كتبـوا مذكرات لكل المسئولين فى الدوله ، ووزعوا بسكل على ببـانا علـى الشعب عن ترحيلنـا المفاجىء الى مكان مـا **فى الصحراء** ، ورغم الوعـــود التى أعطيت لهم بزيارتنا ، ورغم التصريح بالزياره لزوجة أحـد المسجونين ، فما زالوا ممنوعون من الزيارة . والطرود والحطابات لـم يصرح بهـــا . وبحمل الببـان فى حتامه مسئولـه المؤامـره التى تدبـر ضدنا . ولمـــا وجـد الأهالـى تباطؤا فى تحقيق مطالبهم دخل عـدد منهم مصلحون السجون وأعلنوا **اعتصامهم واضرابهم عن الطعام** حتى تجـاب مطالبهم أو **الموت** مع ذويهم الملقى بهم فى **الصحـراء** . عرفنـا هذا من الزمـلاء الذين أتوا الينـا من سجن مصر .

وحن نسكر **مأمور السجن** على جهوده التى كللت بالنجاح فى مصلحـة السجون ، تعـول بتواضع .

ـ الشكر لأهالكم .. دول حقيقى أبطال .. همه اللى حلوا المسئولين يقتنعوا بمطالبكم . كل الى عملته أنى وقفت الى جانب هذه المطالب .

وبتجـه المأمور الى داخل السجن ويـرى حنفيات الميـاه . فيصيح فرحا

ـ .. والله أبطـال

ـ .. والطلمبـات شغالة فى موعد

ـ طبب بالله بقى علشـان تستلموا الطرود

بعض الزملاء تمسى فى ببـات نحو مكتب المأمور ، فهـم يقـون بـأن لهم طرودا .. والبعض الآخـر يقـدم رجـلا ويؤخر رجـلا ، تـرى هـل عندهم فائض كى يرسلوا طـردا ؟ . ومافى الزمـلاء لم يكلف نفسـه عنـاء الذهاب ، ان أهله لا يملكون قوت يومهم فمن أين يأتون اليـه باحتياجاته ؟.

ومع أن نظـام « **الحيـاة العـامة** » يصادر كل ما يأتى الى الزملاء مـن طعام وسجاير ونقود ويوزعهـا على الجميع بالتساوى ، لا فرق بين الزميل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المقتدر وبين الزميل المعدم ، الا أن مجرد وصول أى شىء مهما صغرت قيمته للمسحوق دفع معنوياته الى حد لا يمكن تصوره · مرات كثيرة رأيت فيها زملاء لم تصلهم طرودا أو نقودا ، فى عيونهم حزن وأسى · لاتستطيع ابتساماتهم المفتعلة أن تخفيها · ربما كنت أكثر احساسا من غيرى بهؤلاء الزملاء · فقد كنت ـ فى أغلب الأحيان ـ واحدا منهم ·

كان الضابط ينادى على أسماء أصحاب الطرود ، بينما كنت أضع يدى على قلبى · خوفا على نفسى ، وعلى عدد من الزملاء أعرفهم جميعا· هذه أول مرة يرسل لنا فيها الاهالى طرودا · والذى لا يصله طرد فى هذه المرة بالذات سوف يأخذ عقله ويعطى ، ترى هل أصابهم مكروه ؟ هل يئسوا من عودته فقرروا أن يقطعوا صلتهم به ؟ الى هذا الحد وصلت حالتهم التى لم نمكنهم من ارسال حتى علبه سجابر ؟

أوزان الطرود يبدأ أكبرها ما يزيد عن ٢٠ كيلو جرام ولا يزيد أصغرها عن ٢ كيلو جرام والمحتويات أيضا مختلفة، فى بعضها « **مارون جلاسيه** » وفى بعضها الآخر « **حرنكش** » ! و « الحرنكش » عبارة عن حلاوة مصنوعة من بقايا العسل الأسود ، و «المارون جلاسيه » ـ كما أظن ـ أبو فروه مكسوة بالشكولاته !

وأسمع اسمى ، ويسمع كل الزملاء دون استثناء اسماءهم ·

حمل كل زميل طرده وهو سعيد غاية السعادة · الجميع سعداء لكن الأكثر سعادة كانوا أصحاب الطرود الصغيرة فى حجمها وفى قيمتها ، ذهبوا جميعا بها الى مسئول « **الحياة العامة** » ·· ليتولى مصادرتها لصالح الجميع بالمساواة الكاملة · وكان يوما منهودا ، كان موعد الغذاء قد حل · وحين سمع الزملاء دقات نداء الغذاء المعتادة ذهبوا اليه متكاسلين ، متباطئين ·· يأخذون نصيبهم من الطبيخ والأرز واللحم · حين لا يسمع الزميل أحمد خضر التحيات والتقديرات المعتادة لطبيخه ، يصيح بصوته المرسوم :

ـ أيه يا زملا ·· بطاطس ولحمة ورز ·· مش عاجبكم ؟

لا يسمع أى مديح · بل ولا ردا على سؤاله ·

ـ أطبخ لكم بفتيك ·· مبلبه ·· لحم بارد ؟

ثم يصرخ بغضب ··

ـ شىء بارد صحيح ··

ويجرى حوار طريف :

ـ يا أحمد وأنت مالك بس

ـ أمال مين اللى ماله ·· مش أنا مسئول الطبخ ؟

ـ وحد قالك حاجة

ـ أمال مالكو متيسين ليه ؟ ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- يا أخى افهم بقى ..
- أفهم أيـــه ؟
- فيـــه طرود وصلت النهاردة ..
- وأنا فى المطبخ .. ولا دارى .. وأنا جالى طرد
- طبعـــا .. واستلمناه ..
- طيب أعرف فيـــه أيـــه ؟
- روح لمسئول الحياة العـــامة .

ويجـــرى أحمد خضر الى مسئول الحياة العامة تاركـــا جرادل الطبيخ والأرز واللحمـــة ، والمغرفة ما زالت فى يـــده ليعـــرف ماذا أرسل اليه أهله !

وترتفع أصوات دقات الملاعق على القروان .

- تك ، تك ، تك .. تك ، تك ، تك ..

ويأتى اليهم صوت مسئول الحياة العامة .

- طيب يازملا .. طيب .. عارف طلباتكم .

ويخرج من خيمته كالطاووس يتبعـــه ثلاث زمـــلاء ، ويحمل الأربعـــة غطيان جرادل » وعلبها ما إذ وطاب مما أرسله الأهالـــى فى طرود اليـــوم

- بفتيك .. !
- فيليـــه ..
- فـــراخ ..
- ديك رومى مـــرة واحـــدة .
- والله عمرى ما كلته ..
- والفيليـــه دى لحمه مشوية ولا محمرة ؟
- مشوية يا بنى آدم ..
- اتمدنوا بقى ..
- والبفتيك بالردة والا بالدقيق ..
- يا جدع بالبقسماط المجروش ..
- والله راحت عليك يا أحمد يا خضر ..

ويصرخ أحمد خضر . ويلقى محاضرة :

- يازملا انتو بتفكروا بطريقـــة آنيـــة . استراتيجيا بقى أنـــا اللـــى اكسب . فكروا أن الطرود إن شاء الله كل يوم . وكمـــان مش راح تيجـــى كل مـــرة محتوياتها دى . لأ يعنى . أول مـــرة يبعت فيها الأهـــالى طرود بعد ما جينـــا هنـــا فى المعتقل . وطبيعى أنـــه ...

وتقاطعه دقات الملاعق على القروان :

- تك ، تك تك ... تك ، تك ، تك ..

ويستطرد أحمد خضر :

- أنا بقى عمرى ما تهمنى المقاطعة .. أنا بقى فى النقابـــة لـــا كنت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أخطب ·· ويقاطع مـرة أخرى :

ـ تك ، تك ، تك ·· تك ، تك ، تك ··

ـ النفابيون الصفر ·· كانوا بيقاطعونـى زيكو كـده ··

ومـرة ثالثـــة :

ـ تك ، تك ، تك ··· تك ، تك ، تك ··

ويقـول مسئول الحيـاة العامة :

ـ يا أحمد دول مش بيقاطعوك ولا حاجة ··

ويحتج أحمد ويقول غاضبا :

ـ ازاى بقى مش بيقاطعونى ·· انا احتج ·· أيه رأيكو يازملا ؟

ومـرة رابعـة :

ـ تك ، تك ، تك ··· تك ، تك ، تك ···

ويخرج مسئول الحياه العامة ، ومعه ثانية ، يتبعـه ثلاث زمـلاء ، يحملون الفاكهـــة .

ـ تفـــاح

ـ منجـة

ـ برقـوق ··

ـ والله الحبسه أحلوت

ـ نعمة يصونها من الزوال · ·

ـ اللهم ما أجعله خير ·· عينى بتـرف ··

وترتفع أصوات بعض الزملاء ·· عينى بتـرف يا حبة عينى، باللى حرمت النـوم من عينى · خير ان شـاء الله · والله ما كان على بالى دا كله ·

وبينمـا يتوجه الزملاء لغسل أيديهم وقروناتهم لأول مـرة من الحنفيـات ودون مشاكل مع **أحمد خضر** مسئول الطبيخ يعلو صوت يقـول :

ـ خبر هام يا زملا ·· كل واحـد يستنى مكانه ··

ويعلن مسئول الحياة العامة .

ـ ابتداء من اليـوم ·· فيـه شـاى زيـادة الساعة خمسة ·

ـ فايف أو كلك تى ·· يا عينى ولسـه ·

وينصرف الجميع الى خَتْمهم لقضـاء قيلولة الظهيرة · واستلقى علـى سريرى الخشبى · كنت حزينـا رغم كل ما عشته من مرح خلال الساعات الأخيرة وكنت قلقـا لسبب لا أدرى مصدره على وجه التحديد ، رغم الانفراج الذى حدث فى السجن ·

وكانت وقفـه تأمل مع النفس ·· تستحق أن أخصص لهـا رسـالتى المقبلة ، فالى اللقـاء يا حبيبتـى ··

٥ يوليـو ١٩٧٧

القاهـرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٢٨)

حبيبتـــى

فى بعض الاحيان يعلو فى داخل الانسان صوت أقوى من كل الأصـوات بالحاح ، قف لحظـه تأمل مع نفسك • ولقـد شهدت سنوات عمرى منـذ شبابى عـددا من هذه اللحظـات التى أحدثت كلهـا انعطافا حاسـما فـى حياتى على المستويين العـام والخاص • قبل أن أدخل السجن ، وخلاله ، وبعـد خروجى منـه ، كانت اللحظـة التى حدثتك عنهـا فى رسالتى السابقة واحـدة منهـا • « أرى فى عينيك الرغبـة فى حديث عن كل تلك اللحظات » أعـدك فى رسـائل مقبلة ، ودعينى أحدثك عن هذه اللحظـة بالذات ، لحظة دعانى لفضـاء فيلولة ذلك اليـوم الذى سهد استلامنا جميعـا طرود طعـام وسجاير وحلوى وفاكهة من أهالينـا •

قبل أن نستلقى على أسرتنـا الخشبية ، وفى حركة تلقائيـة ، أخـذنا جميعـا نتأمل بفرح الملابس التى وصلتنـا فى الطرود ، وتوالى التعليقات:

« **مجدى فهمى** » ـ أمى هية اللى مصلت لى البيجامة دى •

ـ وعرفت ازاى يا مجدى ؟

ـ ودى محتاجة لذكاء ••

يضحك بحب وحنان ويستطرد :

ـ شـوف واسعة ازاى ••

« **سعد باسيلى** » ـ شوف بيجامتى •• آخـر تمـام

ـ طبعـا شغل معلمين ••

ـ دد تخصص يا أستاذ ••

« فننـة أخت سعد باسيلى اضطرتها الظروف بعد سجن أخيها الى احتراف الخياطـــة »

« مصطفى كمال خليل » ـ والله بساطه وراتى عملة جدا •• شوف ... ـه سجن تانى ؟

ـ أنا اللى نفسهـا اراى نفصل الهدوم ••

ـ لك حق ما انت بنـاع كلـه •

ويستمر الحوار ، لم يكن حوارا بين الزملاء ، وانمـا كـان حوار بينهـم وبين أهاليهم • وأدرك سبب النـداء الذى يلح فى داخلى • قف مع نفسك لحظـة تأمل • الحوار مع الحيـاة يجرى من خـلال قنوات عديدة ومتنـوعة،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عامـــة وخاصة ، ومع أنـــه لا انفصـــال بين العـــام والخاص ·· الا انـنـى كنت فى حاجة ملحـة لحوار من خـلال قنـاة خاصة جـدا · هذا الحـوار الخاص الذى يجرى تلقائيـا منذ لحظـــات بين الزملاء ، وبين أهاليهـــم بؤكد هذه الحقيقـــه لكننى أحاور من ؟ لو ان زوجتـــى « ميمـى » هـى التـــى أرسلت لى هـذه البيجامة ـ وان كـانت جاهـزة ـ لخلفت بعض كلمـات للحوار · أخى مسعد ـ رحمه الله ـ هو الذى أرسلها وليست « ميمـى » ، فهو لـم يكتب لـى سطرا عنها وعن أخبارها ·· الحوار مع أخى مســعد متصل ولكنـــه حوار عـام وأنا فى حاجة الى حوار خاص ·· خاص جـدا · لو كانت أمى ما زالت على قيـد الحيـاة ، لظل حوارنا متصـلا متجددا · ماتت فى النصف الثانى من الأربعينات بين ذراعي ، وكانت كلماتها الأخيـرة لـى · « خـد بالك من مسعد » ما زلت اتذكـر حوارا قصيرا معهـا بالكلمة والحرف، كنت من وجهـة نظـرها أحسن أخوتى « حنين » مالوش مطالب · لا يحب المشاكل ، لكنهـا كانت تعجب لأمـرى وهى ترانى أعرض نفسى للخطـر · قالت لى فى حنـــان ·

ـ هو انتو يا ابنى ضـد الحكومة والانجليز ؟

ـ ضـدها وأكتـر كمـان ·

ـ ازاى يا ابنى ·· دا انتـــو غـلابة ؟

ـ ما هو سعد زغلول « باشـا » بالغلابة دول عمل حاجات كبيرة للبلـد

ـ يعنى انت يا ابنى راح تبقى زى سعد باشـا ··

أضمها بين ذراعى وأقول لهـا بابتسامة :

ـ وليـــه لأ ·· ؟

وبقبلنى بكل حنـــان الأم ، وتقـــول :

ـ ربنـــا ينصركم يا ابنـــى ·

وأخنى الوحيدة ـ رحمها الله ـ هى التى بتـرت بسكين حـاد حـــوارا كـان بيننـا حين طلبت منى أن أخرج بأى ثمن حتى تشفى من مرضهـا · فقـد قال لهـا الأطباء أن مرضها حدث نتيجـة صدمة اعتقالى ، وخـروجى سيحدث لهـا صدمة أخرى تشفيها من المـرض ·

لا أستطيع أن أتصور يا حبيبتى المدى العميق ، الغنى ، المتجدد لحـوارنا المتصل لو أننـا التقينـا قبل **١٨ يوليو عـام ١٩٥٢** ، ولو بيـوم واحـد· أو لحظـه واحـدة ، ربما كـان لقاؤنا القصير هذا نـواة لتجربة حب عظيمة ، وربمـا كـان بداية لصداقة وطيـــدة ، لكنك يا حبيبتى كنت مـا تزالين « فى المهـد صبيـــة » !

أحيانا ·· وخـلال مسيرة النضال الطويلة مع **مجدى فهمى** ، كنت أعجز أحيانا عن رؤيـــة العالم بوضوح ، وكـان مجدى يقـول :

ـ أنت فى حاجة الى تجربة حب حقيقية ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ لماذا ؟

ـ قدراتك على الابداع والخلق تضاعف عشرت المرات من خلال علاقة خاصة جدا ٠

لم أكن أدرك عمق هذه الكلمات التى سمعتها من **مجدى فهمى** مرات عديدة خلال أكثر من عشرين عاما ٠ عرفت مغزاها وعمقها ، ودلالاتها خلال هذه الأيام فقط ٠ أنت قاسية يا حبيبتى ٠٠ لماذا لم تأت الى هذا العالم مبكرا ؟

كان السبب المباشر لحالتى النفسية هى تلك اللحظة البعيدة التى عشتها فى **ذئب الصحراء** منذ ما يقرب من **العشرين عاما** . هو ابنى لم تعد لى علاقة خاصة ، أمى ماتت ، واختى بترت حوارنا ، وروجنى « ميمى » استسلمت لضغط ظروفها ٠ هكذا فقدت حنان الأم ، والأخت ، والزوجة ٠ وليس لى صديقة أو حبيبة ٠ حتى أخوتى ـ عدا مسعد ولم يكن قد تزوج بعد ـ انصرفوا جميعا عنى ٠ وكان يمكن أن أجد عند زوجاتهم ، أو احداهن ، عطفا يرطب ملبلا من الجفاف الذى أعانيه ٠

لم يعد هناك أى مبرر لاستمرار علاقات وهمية بعد أن فقدت كل مقوماتها ، فالعلاقات الزوجية ، وحتى علاقات الدم ، **يمكن أن تستمر** وبالتالى يجب الا نصر عليها ، ما دامت قد فقدت مبررات بقاءها ، واستمرارها ٠ وأحسست بهدوء نفسى بعد اتخاذ هذا القرار ٠

الأصدقاء القريبون منى ، وكل من تربطنى بهم علاقة خاصة يرون ان تعبيرات وجهى تكشف بوضوح عما يدور بداخلى ، ويبدو أن مجدى فهمى وكان مستلقيا على سريره يحوارى يتابع فى صمت انفعالاتى الداخلية التى يعكسها وجهى ٠ قال وابتسامه ودودة تكسو وجهه :

ـ عاوزين نقعد قعده النهاردة

ـ انا محتاج قوى لهذه القعدة

ـ ياريتك تكون ما اتخذتش قرار

ـ حتى لو حصل ٠٠ ممكن التراجع عنه بعد المناقشة ٠٠ انت مش عارف الحكاية دى يا مجدى ؟

ولا نستغرق حديثنا أكثر من نصف ساعة لننتمى الى القرار نفسه ٠ لكن الحديث بعد ذلك يطول حتى مطلع الفجر الحوار المتصل هو جوهر كل الاتصالات الانسانية الحميمة ويستمر ما تستمر هذا الحوار على أسس انسانية مشتركة بقدر ما تنمو وتطور ٠ وسوفنا الحديث الى تقييم تجربة علاقتنا التى لم يكن قد مضى عليها أكثر من أربع سنوات ٠ ونتفق على أن هذه العلاقة وان بدأت مجرد علاقة نضال ، الا انها تطورت بسرعة هائلة الى علاقة صداقة قوية ، حيث يجمع بيننا التكوين الانسانى المشترك ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واليـوم ـ بعـد أكثـر من **٢٦ عامـا** ـ منـذ التقيت **بمجدى فهمـى** نصل صداقتنا الى أروع وأعظم ما يمكن أن تصل اليـه صداقة · انهـا تجـربة عظيمة تستحق أن تسجل فى عمل كبير ، فأبعادها العميقة فى نفسينا التى اكتسبتها ليس فقط من خـلال الاتفـاق الفكـرى والوجدانى ، والنظـرة الانسانية المشتركة ، ولكن أيضـا من خـلال صمودها لمحاولات لم تتوقف ـ وللأسف من زملاء ـ لضربها أو النيـل منهـا · محاولات وصل بعضهـا الى درجـة من التدنى تفشعر لهـا الابدان · وعينا راحت كل محـاولات الأصدقاء ، والأعداء لتنـال من صداقتنا الوطيدة · ما أروع العلاقة الانسانية حين تتحول الى تجـربة حيـة ، من خلالها يستطيع الانسان ، ان يفكـر بذهن صـاف ، وأن يخلق ويبـدع ويبنـكر ·

وننصرف سـويا وقـد تشابكت ايدينـا نـردد فى صمت قسم المحافظة على تجربتنـا الفـريدة كمـا نحافظ على حبات عيوننـا · وفى الصبـاح نفاجأ بجلسـة انسانية رائعـة مـع **أم مجدى فهمى وأخت سعد باسيلى** ، أحكى لك عنهـا فى الرسـالة المقبلة · باحبيبتى

٨ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٢٩)

حبيبتـــى

كان لوفقتـى مع نفسى ثم حوارى مع **مجدى فهمى** أمرعما العمق مـــى وجدانى • لقـد نفضت عن نفسى أوهام علاقات زوجيـة وعائلية كنت متعلقا بهـا سنوات طويلة منـذ دخلت السجن • وبـدأت مرحلة جديدة من رحلة علاقاتى الانسانية خـلال سنوات سجنى • حقـا لقـد كانت علاقاتى بكـل من التقيت بـه من الزمـلاء ، وعـدد كبير من الأخوان المسلمين ومن المسجونين العاديين تنسـم بطابعها الانسانى ، لكنها كانت لا يمكن أن تـكون البديـل للعلاقات الانسانية الخاصة مع الأم . أو الأخت . أو الزوجة ، ربمـا كـانت العلاقات الزوجيـة أو علاقة الـدم مع المرأة هى أكـثر العلامات الانسـانية التى يجـد فيهـا الرجل ، وبصفة خاصة المسجون لمسات الحنان • ولكـن اذا توفـرت كل الظروف التى توفرها مثل هذه العلاقات عنـد أم صـديق ، أو زوجته ، أو أخته . ألا يمكن أن تكـون بديـلا لعلامه الزواج أو الـدم ؟

كان هذا السؤال يلح على ، يطلب اجابة تطبيقية للاجابة النظـرية التى تقـول : نعـم •• يمكن • فما العلامات الانسانية بجوانبها المختلفـة الا توافق عاطفى ووجدانى ، يجسده الظروف الموضوعية المناسبة •

وتشاء الصدمه ـ وكنت هى الصدف التى لعبت فى حياتى دورا هامـا ـ أن تعطينى الاجابه العملية المؤيـده للفكرة النظـرية •

كانت الساعة لاتتجاوز الثانيـة عصر ظهر يوم يعيـد فى **سجن «جناح» بالواحات الخارجة** • عـربة تقف على باب السجن الخارجى • ومن بعيـد نلمح **ثلاث سيدات ينزلن** من العـربه • **نساء فى قلب الصحراء** ؟ من هن ؟ وكيف وصلن الى هنـا ، ويجرى الرملاء الى هنـاك • جريت بعدهم بقليل ، لأجـد نفسى بين أحضان **أم مجدى فهمى** ، تقبلنى بحنان بالغ • حنـــان الأم الذى فقدته منذ سنوات بعيـده • ثـم تقبلنى زوجة أخ مجدى فهمى ثـم شقيقة **سعد باسيلى** • ويصيح مجدى فهمى ••

ـ هايله يا أمى ازاى عرفتى تيجى ؟

ونقول بثبـات وثقـة :

ـ وانت ازاى جيت ؟

وبلتفت مجدى الى زوجة اخيه :

ـ مدهشة يا « بـدرية » وصلنوا ازاى ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتحتضنه (بدربه) بحنان كبير ..

ـ زى ما وصلت انت ..

والتفت الى فتنـه ـ أخت سعد باسيلى ـ

ـ حمد الله على السلامة يا « فتنـة » .. ازى سكرى .. (سقيق سعد باسيلى)

وأرى دموعـا فى عينيها وتقـول :

ـ سكرى مى **سجن مصر** .

ـ من امتـى ؟

ـ بقـاله شهرين ..

لم يكن لسكرى أى علاقة بالتنظيم . وكـان من العناصر التى يطلق عليهـا لفظ « بلطجى » وكثيرا ما كان يسبب مشاكل لأخيه سعد باسيلى قبل دخوله السجن . فما الذى حدث لـه ؟ متى ؟ وكيف ؟ ويقطع صوت « فتنه » تأملاتى:

ـ سكرى موجود فى مستشفى السجن .

ـ ليـه ؟

ـ حاول الهرب ، قفز من الدور الثالث لما جه البوليس ، انكسرت رجله..

ـ ومسكوه فى الحـال طبعـا ؟

ـ أبدا فضل يجرى وهمه وراه ومسكوه .

ـ ولا يهمك يا فتنـه ..

وتلتفت حولها .. تبحث عن أخيها .. كل من تعرفهم حولها ، يسلمون عليهـا ويتحدثون معهـا وأصيح بأعلى صوتى وبغضب :

ـ فين سعد يازملا هو ما عرفش والا ايـه ؟

وألحـه من بعيـد يأتى الينـا على مهل . كان **سعد باسيلى** يمثل لنـا مشكلة **بالغة التعقيـد** . من رأيـه أنه لا مكان للعواطف الانسانية فـى نفس المناضل،فهىنقيضالصفاتالأساسية التىيجب أن تتوفرعندكلالمناضلين والغريب أنـه هو نفسـه يحمل فى داخله كـل كنـوز الانسـان العاطفيـة والوجدانية ، ولكنه كان يكبتها بقسوة وعنف عند كل محاولة لابرازهـا . عندما كان وجهه ـ الناصع البياض ـ يجرى فيـه الـدم ويصبح شـديد الحمرة ، نعـرف أن معـركة ضارية تجـرى فى أعماقه . كانت عواطفـه تنتصر دائمـا ، ولكنـه لا يعترف ابدا بلسانه . كـان لسانه يقول شيئا ، وكان وجهه يقول شيئا آخـر . وجسد لقاؤه بأخته التى عانت من مشـقة طـريق قطعنه فى **٤٨ سـاعة** ، والتى بذلت جهـدا خرافيا من أجل الحصول على اذن لزيارة أخيها الذى ألفوا بـه فى الصحراء منذ أكثر من شـهر ـ جسد صورته بشكل واضح . رأته من بعيـد يسير نحوها فى خطـوات منتظمة ـ لم تنتظر وصوله وجرت اليه لتلتقى بـه داخل السجن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ اهـــلا يا فتنـــه حمدلله على السلامة ..

يـــده ممدوده للسلام عليهـــا بطريقة تقليدية تماما . وعنـــا تروح كـــل محاولاب ســـفيفته للحصول على قبله منه . كانت حمره وجهـــه تزداد عند كل محاوله تقوم بهـــا المســـكينه لاحتضانه وتقبيله . صاح الرملاء الذين كانوا يراقبون هذا المشهد ، وهم يصفقون بأيديهم ..

ـ سعد باسيلى .. سعد باسيلى .. أعينى معاك وأطلع من دينى .. يا سعد باسيلى .. يا سعد باسيلى ..

كان نشيدا كتب كلماته الساخره **عبد الرحمن الخميسى** ، ولهذا النشيـــد قصـــة طـــريفة .

ذات يـــوم عـــام **١٩٥٣ فى سجن مصر** كـــان عبد الرحمن الخميسى ينتظر زيارة زوجته لـــه ـ لا أذكـــر ترتيبهـــا فى قائمه زوجاته ـ لكنهـــا لم تحضر . وكـــان حزن الخميسى ـ ربما لطبيعته كفنان ـ بالغـــا الى الحـــد الذى جعلنى اقترح عليه أن يقضى الليلة فى زنزانتـــى ومعنـــا بقيه ســـت الزمـــلاء بينهم سعد باسيلى والزميلان الآخران **كانا سعد زهران ومجدى فهمى** . وعندما اغلق السجان باب الزنزانة ، وعندما بدأنا فى الاعـــداد لعشاء شهى من السمك واللحم والمحشى الذى جاءت به أم مجدى فهمى وزوجة سعد زهران، قال الخميسى بحسرة وألـــم :

ـ كـــان نفسى فى السمك اللى بتعمله مراتى ..

ويبتســـم سعد زهران بانسانية ويقـــول ..

ـ معلهش يا عبد الرحمن .. ده سمك كودس بتعمله ســـمعه ..

ويـــرد الخميسى :

ـ لأده كان السمك اللى جابللى من بور سعيد .. طازج ..

ويتدخل سعد باسيلى :

ـ أيـــه يعنى الفـــرق بين سمك القاهرة وسمك بور سعيد

ـ لا فيـــه مـــرق طبعا يا ســـعد ..

ويقول سعد باسيلى بامتعاض . .

ـ أبدا .. كل الحكاية ان الخميسى عاوز ياكل من سمك مـــراته ..

ويصيح الخميسى بصوته الجهورى ..

ـ أيـــوه يا سعد .. السمك اللى بتعمله مراتى لـــه طعم خاص .

ويـــرد عليه سعد بثبـــات :

ـ طعم خاص عندك انت بس .

ويعلو صـــوت الخميسى :

ـ طبعا عندى بس .. أمـــال عند الجماهير كلهـــا !

ويشعر سعد باسيلى بان « **الجماهير** » قـــد أهينت فيهب للدفاع عنها !

ـ بس ماليكش دعـــوة بالجماهيـــر ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويحتد صوت الخميسى :

ـ هو أنت يا أخى وصى عليها ..

كنت **أنا وسعد زهران ومجدى فهمى** ، نرقب الحوار فى صمت ونبتسم بين الحين والحين . التفت الينا الخميسى وصاح فينا :

ـ الله اننوا واقمين على الحباد .. اتتركوا معانا فى المناقشة .

أوجه حديثى لسعد زهران .

ـ أيه يا سعد ما تقول رأيك

يرد ضاحكا ..

ـ لا ياعم قول أنت .. أنا خايف ..

وأقول لمجدى فهمى ..

ـ طيب انكلم انت يا مجدى ..

ويضحك غائلا ..

ـ انت عارف .. أنا مس فدائى ..

ويلتفت الى الخميسى ويتساءل ..

ـ أيه الحكاية .. طيب قول أنت .

وأقول ضاحكا ..

ـ وهل يجدى القول ؟

ونضحك جميعا ، ويشاركنا سعد باسيلى الضحك لكن نظراته تنطق بأننا جميعا ، ناس « خرعين » ! يستجيبون لعواطفهم . ونبدأ فى تناول العشاء أربعة زملاء يريدون « الفضفضة » حول أكلة شهية صنعتها أم أو زوجة أو أخت ! لكن خامسهم يفرض عليهم ارهابه ، بين الحين والحين تفرض روح المقاومة والتحدى نفسها :

ـ ايه رأيك بادرش فى السمك ده ..

ـ سميعة ساطرة فى عمل السمك ..

ـ بذمتك مش أحسن من سمك اسكندريه ؟

ويصبح سعد باسيلى ..

ـ أبوه كده اكتشفوا عن نفسكم .. كنتم بتروحوا اسكندرية عاشان تاكلوا سمك .

بمسكنة يقول سعد زهران :

ـ وفيها أسه يا سعد ؟

ويرد سعد باسيلى ..

ـ طبعا فى ابو قير .. مس كده ؟

وأقول :

ـ أبدا والله يا سعد .. عند الزميل « **خالد** »

ويعلق بسخرية :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

– يا عيني يا عيني على القيادة ..
يسقط في ايدينا . ولا نعلق . وننتهي من تناول العشاء وقد فقدنا جزءا أساسيا من لذته ، لمدة الحديث عن الذين صنعوه . ثم جاءوا به الينا في السجن .

يقوم **سعد باسيلي** باعداد الشاي بينما ينصرف **عبدالرحمن الخميسي** للكتابة ، وأنصرف أنا و**سعد زهران ومجدي** لحديث هامس عن الزيارة حتى لا يسمعنا سعد باسيلي فيكرر اتهاماته لنا . وبينما نحن نتناول الشاي يبدأ عبد الرحمن الخميسي في قراءة قصيدة مطلعها :

انسي انتظرت صبيحة الاثنين
أن تحضري لزيارتي باعيني
لكن مضى يومي ولم يخرجني
من قبضة الزنزانة السجان

سادنا الصمت احتراما للمعاني الانسانية في قصيدة الخميسي وهو يتغزل في زوجته ، بينما نتلمظ سعد باسيلي غيظا ، يقاوم بعنف كلمات على لسانه ، وما أن ينتهي الخميسي من القاء قصيدته حتى ينفجر سعد باسيلي .

– بقى دى .. روح مناضل ..
ولا نملك سوى الضحك بصوت عال ونردد وراء الخميسي كلماته الطريفة ..
– سعد باسيلي .. سعد باسيلي أعيس معاك وأطلع من دينى يا سعد باسيلي ياسعد باسيلي .
وينظر عو الينا في اشفاق وحسرة على « مناضلين آخر الزمن » **ولاد الكلب المثقفين** » !!

ولقد كانت شخصية سعد باسيلي محل حوار ومناقشة بيننا في مناسبات مختلفة ، وكنا دائما نقف حائرين أمامها . أنت لا تستطيع الا أن تحترم بكل الاكبار والاعزاز روح النضال عنده واستعداده للتضحية بحياته من أجل ما يؤمن به . لكنه يقوم بكل هذا البكترونيا ، على الرغم من تكوينه الداخلي الانساني .

ربما كانت في حياته تجربة عاطفية فاشلة ؟
هذا ما كان يرجحه **الدكتور فؤاد مرسي** عندما كنا نناقش هذه المشكلة عند سعد باسيلي ، فهو لا يعترف بأي علاقة عاطفية أو حسية . وموقفه من المرأة يصل الى أقصى درجات التخلف . وكان السؤال المطروح دائما : كيف يستطيع انسان أن يجمع بين فكر سياسي **تقدمي وبين رأي رجعي في المرأة ؟** ولقد فشلت كل محاولتنا لمعرفة سر هذا الموقف ، ومازال هذا السر ملكا لصاحبه حتى الآن .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأعـــود بك يا حبيبتى الى أول زيـارة لنـا فى **الواحـــات الخارجـــة** · والـدة **مجدى فهمى وبدريه زوجـة أخيه مصطفـى ، وفتنـه أخت سـعد باسيلى** يحيط بهما الزملاء · كـل زميل يريـد أن يعرف أخبـار أهـــله وذويه ، وكانت الزائرات بملكن حصيله هائلة من أخبـار العائـــلات ، فهذه خطابات ، وهذه طرود جئن بهـــا · وهذه مشاكل مطلوب حلهـا كلمت والـدة مجدى فهمى بمنافستها مع أصحابها · تقول لمجدى :

ـ يـا مجدى عاوزه مـلان وفلان و ··

ـ ليـه يا والدتـى ؟

ـ وأنت مالك ·· عاوزه اتكلم معاهـــم ·

ـ أيه يعنى يا أمـى · · أسرار ·

ـ أيـوه أسرار ·

وينادى **مجدى فهمى** على الزملاء المطلوبين ، وتنحـى الأم جانبـــا بكـل زميـل ويتهامسـان ، حتى كـاد النهـار أن ينصرم · ويقول مجدى صاحكا ··

ـ وأنا يا أمـى متى راح ييجـى على الدور ؟

ـ بكـره كله علشـانك · ·

اليوم ، وبكره ، يومان بطولهما زيـارة سـجن · وكيف كان ذلك ؟ فـى السـجون الأخرى تتـم الزيـارة بطريقتين · الأولـى يطلق عليهـــا اسـم الزيـارة العاديـة ، وهى تتـم من خلال حائطين من الأســـلاك يفصـل بينهما ممران على الأمل · يقف الزوار فى جانب ، والمسجون على الجانب الآخـر · وحين يفتح باب الزوار ، تنطلق الأصوات عالية وتختلط الـى حـد كنـــا نعجز معه عن معرفة أى شىء · ازيك كويس ، شـــد حيلك ، مع السلامة ، أربع كلمات لا يســـتطيع المســـجون أو الزائـــر أن يلتقطهـا · والطريقة الأخـرى وهـى مـا يطلـق عليهـا زيـادة خاصـة وهى عـــادة لا تزيـــد عن نصف سـاعة يجلس خلالهـا المسـجون على كرسـى والزوار على كراسـى أخرى فى حجرة الضابط النوبتجى وبحضـور أحـد السجانة · لكـن هـذه الزيـارة كانت شبئا غير عـادى · فهى ليست فقط زيـارة خاصـــة حـدودها لا تزيـد عن نصف سـاعة بين المسـجون وأهـــله ، وانما هـــى زيـارة أى فرد من أهالينـا لنـا كلنـا وعلى امتـداد يومين كاملين · والواقـــع أن الفضـل يعود الى مأمور السجن « ··· » ، فلقـد فوجـئ الرجـل كمـا فوجئنـا بحضور الزائرات وهن يحملن اذن زيـارة خاصـــة · وكان مـن المسـتحيل أن تجرى هذه الزيـارة الخاصة بالطريقـة التقليدية ، فليس من المعقول أن يقطعن آلاف الأميـال من أجل قضـاء نصف ســـاعة فى غرفـــة مغلقـة فى قلب الصحراء ، وفى حراسـة ضابط وسـجان ! لقـد أدرك الرجل منذ أول لحظـة اسـتحالة ان تتـم الزيارة بالطريقـة التقليدية · ومنـــذ البدايـة سـلم بذلك عندما تناقشـــنا معه ، ليس فقط نتيجـــة لاقتناعـه

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشخصى ، وانما تسليما بالأمر الواقع • فكل الزملاء ـ الذين لا يمكن حبسهم فى خيام ـ قد خرجوا جميعا للزيارة التى بدأت بالفعل منذ أكثر من ساعة • وكان الحوار مع المأمور حول اقامة خيمه خارج الأسلاك الشائكة كى يجلس فيها الزوار ، وحول مدة الزيارة • وافق على المطلب الأول وشرع الزملاء فى اقامه خيمة كبيرة تتم فيها الزيارة • وبدأت المساومة على المطلب الثانى ـ مدة الزيارة ـ قال المأمور :

ليست عندى أوامر بمدة الزيارة • •

ـ اذن من حقك تحديد مدتها • •

ـ التصريح بزيارة خاصة ولكنه عادى •

ـ وهل يعقل أن تكون مدة الزيارة نصف ساعة كما يجرى فى السجون الأخرى •

ـ غير معقول طبعا • • ما رأيكم أن تستمر حتى الغروب ؟

ـ لكن الفطار لن يغادر **الواحات** الا بعد غد •

ـ ينامون فى الاستراحة •

ـ ولماذا لا ينامون فى خدمة الزيارة • •

ـ مسئوليه !

ـ أنت قادر على تحملها • •

ـ وما الذى يدعونى الى ذلك ؟ •

ـ انسانيتك !

ونلحظ دموعا خفيفة تجرى فى مآقى عينى الرجل الانسان ، يقول وابتسامة ودود تكسو وجهه .

ـ موافق بشروط •

ـ نقبلها مقدما •

يضحك من قلبه ويقول :

ـ انتم مفاوضين شطار •

ونقبل كل شروطه • بعد غروب شمس اليوم يذهب الجميع الى خيامهم ، ولا يجرى أى اتصال بالزوار عبر الأسلاك الشائكة أثناء الليل حتى الصباح

ـ مواقفون •

ـ وفى صباح الغد تجرى الزيارة ولكن بشكل أكثر نظاما •

ـ موافقون •

ـ يبقى بعد ذلك أن تقسموا بشرفكم أن لا ترسلوا معهم أى خطابات غير رسمية •

ويستطرد :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ أو حاجات من اللـى انتو عارفينها ٠

وينتحـى الزملاء المفاوضـون جانبـا ويتهامسـون ، من المستحيل أن نقسـم ثم نحنث بالقسـم ٠ الرجل معه حـق ، فمن المؤكـد أن رجـال **المباحث** ينتظرون رجـوع الزوار وسـوف يقومون بعمل اللازم ٠

ـ نقسم بشرفنـا ٠

ـ وأنا واثق انكم رجـال ٠

ـ فقط لنـا مطلب صغير ؟

ـ أرجو أن يكون كذلك ٠

ـ خطابات رسمية لأهالينا ٠٠ كالتى ترسل بالبريد ٠

ـ موافق ـ ولن اقرأهـا وساترك ذلك لضمائركم ٠

ويكلف أحـد الزملاء بمراجعـة كل الخطابات التى سيكتبهـا الزمـلاء ٠

وعند غروب شمس اليوم الأول ، يطلب مأمور السجن مجدى مهمى وسـعد باسيلى والزملاء الذين اتفقوا معه على شروط الزيـارة ليؤكدهـا من جديد ٠

يقول مجدى فهمى محمد ٠

ـ شىء هايـل جدا ٠٠ بس مطلوب استثناء بسيط ٠

يقول المأمور وهو بضحك :

ـ تانـى ٠٠ أيـه هو الاستثناء ؟

ـ طبعا غير معقول أن الزوار يناموا ٠٠ والا احنا راح ننام ٠٠ والمسـامة بينا بضعة أمتـار ٠ ويفصلنا عنهم أسلاك شائكة ٠٠

ـ طبعا مش ممكن تنام معاهم يا مجدى ٠٠

ـ بالطبع لأ ٠٠ فقط نجلس داخل السـجن ، وهم خارجة ، وننحـدث عبـر **الأسـلاك الشائكة** ، أو علـى الأقـل نراهم ويرونـا ٠٠

ونفاجأ بقبول المأمور فيقول :

ـ موافـق وبشرط ٠

ـ أن لا يجلس معى أنا وسعد واحد آخـر ٠

ـ بالضبط ٠٠

ويتم تنفيذ الاتفاق بمنتهـى الدقة ٠ مجـدى وسـعد يفترشـان بطانيـة على بعد ٥٠ **مترا من الأسلاك الشائكة** ، ـ داخل السجن ـ ، والزائرات يجلس داخل خيمتهن المفتوحـة على بعد ٥٠ مترا فى الجهـة الأخـرى، **خارج السجن** ٠ وعـدد كبير من الزمـلاء يشكلون مجموعـات صـغيرة منتشرة على **أرض السـجن** ، البعض يتسـامر ، والبعض الآخـر ترتفع أصواتـه بالغنـاء ٠٠ أى غنـاء ٠ وبين الحين والحين تسـمع أصواتـا ٠

ـ يا مجدى ازيك يا ابنـى ٠

ـ الله يسلمك يا أمـى ٠

ـ مش عاوز حاجـة ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ سلامتك يا أمـــى ٠

نـــم يسود الصمت ويظل الحوار متصلا بالاشـــارات والضـــــحكات المتبادلة تـــم بكلمات متناثـــرة معدرة ٠ حتى مطلع الفجر ٠

ومع أشـــعة الشمس الأولى يبدأ اليوم الثانى لتلك الزيارة التاريخية ٠

أحكى لك عنهـــا فى الرسالة المقبـــلة يا حبيبتـــى ٠

١٣ يوليو ١٩٧٧
القاهـــرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٣٠)

حبيبتـــى

ويبـدأ اليوم الثانـى للزيـارة مع شروق الشمس ، عـــدد من الزمـــلاء يحمـــل جرادل مملؤة بالمياه وصابون ويجرى بهـا نحـو الراثرات كـــى يغتسـان وعـــدد آخـر يحمل « برادا » كبيرا للشـاى وأكوابـا وبســكويت للأم والشقيقة وزوجـة الأخ • بعدهـــا بقليـل يفود مســئول الحياة العامـة « صلاح هاشـم » فرقـه من الزملاء يحملون صوانـى علبها ما لذ وطـــاب للمطـار • الجميـع يرتـدون أحسن ما لديهم من ملابس وصلت اليهم فـــى طرود ، ذقونهم ناعمه ، وشعورهم مصففة ، وبعضهم وضع كولونيـــا (٥٥٥) أو بارفـان ، وصلته مع طرود أمس أيضـــا • كان **لمعى يوســف** « مسئول المطبخ » من بين الزملاء الجـدد الذين وصلوا الينـا من ســـجن مصر • منذ حضـوره قـام بالعمل فى المطبـــخ وكان التنافس بينه وبيـن أحمد خضر شـديدا •

وذات يوم فوجـئ الزملاء **بلمعى يوســف** يعمل لهم « محشى » ففـرروا انتخابه مسـئولا عن المطبـخ :

يقول للزائرات :

ـ فول مدمس عظيم •• ولا فول التابعـى -

وترد أم مجـــدى :

ـ تسلم أيدبك يا ابنى •• انت اللى عملتـه ؟

ـ وطعمية كمان •• مدهشـة •

كانت الطعمية مفاجأة لكـل الزملاء يقدمها لهم **لمعى يوسـف** • انـهم لا يرونهـــا منـذ سـنوات وكثيـرا مـا دارت مناقشـــات مـــع لمعى يوسف حول أمكانيـة صنعها لكنـه كـان دائما يعدهم بذلك لكـن بعـد « تذليـل الصعوبات الأساسية » قال بفخـر :

ـ أنا قعدت امبارح طول الليـل أفـكر ازاى أوفـر الظروف المناسـبة لعمل الطعميـة • •

ويضحك مصطفى كمال ـ صبيه فى المطبخ •

ـ الذاتيـة والموضوعيـة كمان • •

ويتمتم **زكى مراد** •• ذاتيـة موضوعيـة •• طعميـة ••

ويصيح الزملاء • •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ هاسل ·· مولد قصيدة شعر حديدة لزكى مراد ·
ـ نسمعها الليلة بقى ··
ـ قصيدة وتفوت ما حد يموت ·

بعد ان تتناول الزائرات الافطار مع عدد من الزملاء نصيح مسئول « الحياه العامه » :

ـ يا لله يا زملا ·· كل واحد على شغله ·· محدى وسعد بس انتى دستنوا هنا مع أهلهم ··

برمش سعد باسيلى يده طالبا الكلمة ·· ويعطيه مسئول الحياة العامة الكلمة وهو يضحك :

ـ أيه يا سعد ·· طلباتك ·· عاوز حاجة ؟

وبمنتهى الجدية يقول سعد :

ـ أنا عندى شغل اليوم · عليه الدور فى **غسيل قروان الخيمة** ··
ـ معلهش ممكن زميل آخر يقوم بعملك اليوم ·
ـ ليه بقى ؟
ـ لأن عندك زيارة ·

بحسم يرد :

ـ أنا لا أوافق على أى استثناء ·
ـ دى ظروف خاصة يا سعد ·
ـ ولو ·· وأنا لا أقبل أن يقوم أحد غيرى بعملى ·
ـ ممكن يحصل تبادل ·· اللى عليه الشغل بكره يعمله النهاردة بدالك ·· وانت تعمله بكره ··

وتدور مناقشة تستغرق أكثر من ١٥ دقيقة يقتنع بعدها سعد باستمراره فى الزيارة وتأجيل شغله الى الغد ، ولكن بعد أن تشترك الزائرات فى المناقسه ، وبعد ان استخدمت أختنه « فتنه » كل ما تملك من **أسلحة عاطفية** ·

ينصرف الزملاء الى أعمالهم ، ويحصص مسئول الحياه العامة ثلاثة زملاء لخدمة الزائرات وتقديم الشاى والقهوة والمرطبات المصنوعة محليا كعصير البرتقال والليمون ، من خبرات الزيارة أمس ، وبعقد المعي بوسه ·· « مسئول الطابخ » [illegible] لمحتهم على بذل كل جهودهم من أجل اعداد وجبة غذاء [illegible]

ـ عاوزين نثبت للسحنات دول اننا مفيش حاجة اسمها طبيخ لا يعلى عن طبيخهم ··

ـ أهو كله طبيخ يا لمعى ·
ـ لا بقى ·· طبيخ عن طبيخ يفرق ·
ـ الحكاية حكاية نفس ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ وابـه رأيكو مى محشى ؟

ـ **خطير** ..

ويبدأ لمعى يوسـف فى اصدار التعليمات لمساعديه :

ـ مش عاوز ولا حصـوة واحـدة فى الرز .. عيب . بنغسـل كويس ويترك علشـان بنشـف فى الشمس . الكوسـه دى كبيرة ، فشرنهـا تخبنـة ، لازم تنفسر كويس ، واللى مبها بذر كتير نرمـه . وناخـذ شوية باميـة من بناعـة بـكره .. نعمل طبقين علشـان الزوار .. أمـا اللحمة فسيبوهـا لـى انا بقـى ..

ـ راح نسلقهـا ..

ـ راح نسلق سويـة .. ونحمر شويـة .

ـ وحانعمل سـلطة .

ـ يقـوم **حليم طوسون** يجيب لنـا شويـة جرجيـر من مزرعنـه الخاصـة . . وكمان شويـة طماطم وبصـل أخضر ..

ويرد **حليـم طوسـون** :

ـ ده كل الـى فى المزرعـة ما يجيش حزمتين جرجير وحزمتين بصل و½ كيلو طماطم ..

ـ كويس نعملهم سلطة للزوار ..

ويجرى العمل بهمة ونشاط ، انهم رجال أعلبهم لم يقم بعمل مثل هـذه الأعمال ، فمنهم **الطبيب** ، **والمهندس** ، **واستاذ الجامعة** ، **والطـالب** ، وهـم مسجونون فى **قلب الصحراء** ، فى منطقـة لـم **تعرف الخضرة** من قبـل ،وهم يسـتضيفـون ضيوفـا أعزاء . وهذه الوليـمة الفاخـرة التى يعـدون لها ترمـز الى معـان عميقة . ان يطمئـن الأهالـى الـى أننـا قـادرون علـى مواصلة الحيـاة تحت أى ظـرف من الظروف ، واننا معـا ، يـدا واحـدة ، نتعاون ونتكاتف من أجـل أفضـل حيـاة تستطيع عقولنـا ان تدبـر ظروفها ، ونستطيع سواعدنـا أن تبنيهـا ، نحن بنـاة الحياة وصناعهـا ، سلاحنـا الكلمة وسبيلنـا الديمقراطيـة ، وأداتنـا الوحدة الوطنيـة . لن يقهرنـا أعـداء الحيـاة مهما تنوعت اسـلحتهم . لن نسمح لهم أن يغتالـوا أرواحنـا ، أو يقتلوا حبنـا للحيـاة ، وسوف نحيـا تحت أى ظـرف من الظروف ، وفى أى مكان يزجون بنـا فيـه .

يحل موعـد الغـداء ، الزملاء لا يسمعون الدقـات التى تناديهم لاستلام طعامهم . عصافير بطنهم تزقزق وتعلو أصواتهـا مع كـل دقيقـة تمـر ولا يسمعون فيهـا « دقات » الطعام .

ـ ايـة الحكاية ؟

ـ جعنـا ..

ـ فين الأكـل يا لمعى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويـرد لمعى يوسـف بغضب :

ـ مش عيب برضـه ٠ ٠

ـ أيـه هو اللى عيب ؟ عاوزين ناكل ٠ ٠

ـ مس برضه الضيوف يأكلوا الأول ٠

ـ معاك حـق ٠٠متأسـفين ٠

ويصيح لمعى يوسـف ٠ ٠

ـ دى نقاليـد سعبنا يا عالم ٠٠ شعبنا الضياف ٠

ان يقدم الضيف على أهـل البيت شيء رائـع ، احـدى القيـم الكثيرة التى يتميز بهـا شعب مصر العظيم ٠ عطاؤه لا ينضب ، يعطـى للضيف قبـل ان يعطى لنفسـه ٠ يعطيه أغلـى ما عنـده وهو راض ، حتـى وان لـم يكن يمتلك غيره ٠ لكن ليس كـل من يدخلون بيتـه ضيوفـا ، هـم فى بعض الأحيـان دخلاء ، وهو يملك حاسـة لا تخطـىء ، يميز بهـا الضيوف عن الدخـلاء ٠ الضيوف اصدقائـه ، والدخـلاء اعـداؤه وهـو قـادر على تمزيـق أقنعتهم مهما تنوعت أشكالهـا ٠ ويتسابق الزملاء فى خدمة الضيوف ٠ هذا يحمل صينية عليهـا أطباق الأرز ، وآخـر يحمل صينيـة الكوسـة ، وثالث البامبـة ورابـع يحمل السلطة ، وخامس يحمل الفاكهة ، وسادس يحمل اللحم المحمر ، وسابع يحمل اللحم المسـلوق والشـوربـة التى بهـا لسـان العصفـور ٠ ٠

ـ نصبح أم مجـدى ٠

ـ أيـه ده كله ٠٠ دى وليمة ٠ ٠

ويتقدم مسـئول الحياه العامـة ، ينحنـى فى احتـرام ، كما يفعـل المتر فى الفنـادق الكبرى ٠ ٠

ـ كله من خيركم يا ست أم مجدى ٠

وتسأل « فتنـه » ٠

ـ وكل يوم بتاكلوا كـده ٠ ٠

ـ طبعا ٠٠ طبعـا ٠ ٠

وتعلق « بدريـه » زوجه مصطفى شقيق مجدى ٠

اذا كان كده آجـى اسجن معاكو بقـى ٠

[illegible] مهمى ٠ ٠

ـ لا اهلى معروف ٠٠ أحوسـ مصطفى يزعـل ٠ ٠

ـ بيجـى معايـا ٠٠

ـ أيـوه ٠ ٠ تبقـى كملت !

بعد الغذاء يأتـى حاملو جرادل الميـاه والصـابون والفـوط ، ويغسـل الضيوف أيديهم ، حتى يكون الشاى جاهزا أمامهم ٠

ـ يا سـلام لو فنجان قهـوة ٠ ٠

ـ حاضر يا ست أم مجدى ٠ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

البن من بين الأصناف التى لا تصادر كلها مثل معجون الاسنان والأدويه الخاصة للاستعمال الشخصى ، ويقع مسئول الخباه العامه فى « حبص بص » ٠ من أين يأتى بالبن ؟ يصبح بأعلى صوته .

ـ مين عنده بن يا زملا ؟

ـ الضيوف عاوزين يشربوا قهوة ٠ ٠

ـ ٠٠٠

ويقدم « كبيفه » المهوه المعرومين ، **شريف حنانه ، حكيم طوسون ، وليم اسحق ، زكى مراد ، صلاح حافظ** يتسابقون لعمل مهوة ٠

ويعاق مسئول الحياة العامة :

ـ يعنى المستخبى طلع ٠٠ من الصبح دايخ على فنجان « قهوة » ٠ ٠

ـ هوه أنت ضيف ؟

ويمضى اليوم بسرعة لم نعهدها فى السجن من قبل ، قرص الشمس الأحمر يبدو بعيدا فى الأفق ، يرسل أشعته الأخيره ، الظلام يزحف بسرعه يبدد ضوء الشمس ويعلن موعد الافتراق ٠ ما أمسى لحظة الافتراق ! قد يخفف أمل اللقاء مره أخرى من آلام لحظة الافتراق ٠ احبأؤنا يفترقون عنا ، ولا نملك تحديد **موعد اللقاء مرة ثانية** ٠ حتى هذا اللقاء الناذ لا نعرف له موعدا آخر ٠ الحزن يزحف على الوجوه ، والألم يعتصر القلوب ، ونبضات تسمعها الآذان فى لحظه واحده قبل الافتراق ٠

وفى قلب « اللحظة » **تتبلور دموع بعض العيون ، وهؤلاء أسعد** حظا من أولئك الذين جفت عيونهم من الدموع ٠ الثوار أنقى انقياء البشر ٠ قلوبهم طاهرة مثل قلوب الأطفال ، وارادتهم أقوى من الصلب ٠ هم أسرى الكلمة الطيبة ، وشهداء هدف يؤمنون به ٠ عيونهم لا تعرف الدموع ، عندما يتحدون ويقاومون ، وتنهمر أمام موقف انسانى يهز عواطفهم ووجدانهم ٠

ما أبعد الفروق بين قبلات وأحضان اللقاء بعد غيبه ، وبين قبلات وأحضان الافتراق الى زمن غير معلوم !

وتتحرك السيارة تحمل الذين ادخلوا البهجة فى نفوسنا خلال ساعات مضت كالبرق ٠ أياديها ترتفع عالية ملوحة ، وقلوبنا تسقط الى أقدامنا ، والدموع فى مآقى العيون تبدو فى ظلام الليل كنجوم السماء ٠ تغيب السيارة عن أنظارنا ، ونعود الى السجن ، الصمت باف الجميع ٠ دمات العشاء الرتيبة تنادى الزملاء ، نذهب بتثاقل الى « المس » ٠٠ يبذل مسئول الحياة العامة جهدا كبيرا ليخرجنا من صمتنا ، يعلن أن العشاء اليوم مبه مالذ وطاب ، تعلو هتافات الاعجاب لكن تحس بفقدان حرارتها المعروفة ٠

يعلن مرة أخرى أن حفلة يوزع فيها الشاى والحلوى سوف تقام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعد العشاء • بقابل الخبر بالتصفيق والتهليل الخاليين من روح المرح المعهودة عند الزملاء •

بعد العشاء ، وخلال شرب الشاى وتناول الحلوى ترتفع صوت **صلاح حافظ يغنى** لأم كلثوم ، ثم لعبد الوهاب ، وفاروق عبد السلام يغنى منلوجات نسكوكو ، وأغنيات اسكندرانية ، لكن الجميع ، المغنون والمستمعون معا ، فى واد وما يدور فى أعماقهم فى واد آخر •

ما أنبل الثوار ، فى اللحظات التى يعتصر الألم قلوبهم ، يحرصون على أن لا تنتقل عدوى آلامهم الى زملائهم وهم يعرفون أنهم يتألمون مثلهم • تنتهى الحفلة ، ونمضى الى الخيام • نستلقى على الأسرة الخشبية ، **لا يغمض لنا جفن** • **العيون مفتوحة** ، والألسنة لا تتكلم ، سواء الذئاب ونباح الكلاب يعكر هدوء الصحراء وسكونها ، لكن قلوبنا أكبر من الصحراء ، ونفوسنا أكثر منها هدوءا ، لم تنل منهما كل عواءات ونباحات أعداء الانسانية من البشر ، وهم أشرس من كل الحيوانات المفترسة •

قبل بزوغ الفجر بقليل يهمس مجدى فهمى :

ـ **ما نمتش ليه يا درش ؟**

ـ سرحان •

ـ فى أيه ؟

ـ مى اللى انت سرحان فيه •

ـ نبدو فى الأفق مؤشرات لمعركة حاسمة ضد الاستعمار •

ـ تحطيم حلف بغداد ، وباندونج ، وصفقة الأسلحة •

ـ لا يمكن أن يكون كل ذلك من باب التضليل •

ـ وقضية الديمقراطية •

ـ يكسبها الشعب من خلال المعركة ضد الاستعمار •

ـ ما رأيك فى مقال **عبد الرحمن الشرقاوى** ؟

ـ موافق عليه •

ـ وأنا أيضا ؟

ـ لا [illegible] •

ـ خير الاتصال بالخارج •

ـ يناقش الأمر من كل جوانبه

ـ **هايل •• تصبح على خير** •

وتشرق شمس يوم جديد من أيام النصف الثانى من **يوليو عام ١٩٥٦** • شيئا ما غير عادى يجرى فى احدى الخيام منذ الصباح • **أنا ومجدى فهمى وزكى مراد ومحمد شطا** نجلس فى احدى الخيام وتطول الجلسة فى مناقشات حول المعركة ضد الاستعمار التى تتجمع بوادرها فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الأفق • يجب أن يكون موقفنا واضح من السياسة الوطنية ، المعركة الوطنية ضد الاستعمار تتطلب وحدة كل الصفوف • الديمقراطية للشعب فى المعركه ضد الاستعمار هى ضمان النصر • ونتفق على كتابة ببيان نحدد فيه موقفنا بوضوح ونوقع عليها كل الزملاء •

ونجتمع مرة أخرى بعد الغذاء ونوافق على البيان ويجتمع كل الزملاء كى يتلى عليهم البيان ويوقعون عليه • لم يكن مفاجأه لهم فقد كانوا يتوقعون هذا الموقف الجديد من الحكم الوطنى ، بدأت المناقشات ببينهم بعد المواقف الوطنية من حلف بغداد . وزادت حرارتها بعد مؤتمر باندونج ، ثم كانت صفقة الأسلحة تحولا واضحا فى الموقف •

لكن **مأمور السجن وضباطه** هم الذين فوجئوا بهذا الموقف ، لم يكن فى تصوراتهم ، أن مسجونين يمكن أن يرسلوا لسجانيهم تأييدا ومساندة **وبلا أى شروط** • يتحمس **المأمور** لهذا الموقف الوطنى ، يعلن أنه سيسافر بنفسه الى القاهره ويوصل هذا البيان الى **رئاسة الجمهورية** والى مدير مصلحة السجون •

ـ والصحف والنقابات العمالية والمهنية ؟

ـ سأحصل على اذن من مصلحة السجون لارسالها •

ثم يستطرد :

ـ ومين عارف ممكن اجيب لكم معايا خبر كويس •

ـ لا لسه بدرى •

ـ ليه بقى ؟ • موقف وطنى واضح • ومساندة وتاييد للحكومة •

ـ نأمل هذا • •

ويصيح **المأمور بحماس** :

وبأسرع ما يمكن تكونكم مش هنا ، بره • فى الشارع ، ده شىء منطقى •

وأعلق بابتسامة :

ـ ربما يكون لهم منطق آخر ؟

ويرد المأمور :

ـ عهدى بك انك لست متشائما • •

ـ فى هذه المسألة بالذات متشائم • •

ويوضح أحد الزملاء • •

ـ أصل له ظروفه الخاصة جدا •

ـ ليست هى السبب المباشر ، وأنا انظر اليها بموضوعية •

ويبدو على المأمور انه لا يفهم الحكاية • ويتولى زميل شرحها له •

ـ أصله كان المفروض يفرج عنه بعد **الثورة مباشرة** •

ـ ليه ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ لأنه القى القبض عليه **قبل الثورة بسبعة أيـام** ٠

ونلمح علامات الدهشـة والاشفاق على وجـه المأمور ٠ ونحس بعمـور حماسـه فى نبرات صوته وهو يقـول :

ـ **أظن الموقف مختلف دلوقت** ٠

يسـافر المأمور الى القاهـرة يحمل موقفنـا الجديد الى الحكام ، ويعـود فى صباح يوم **٢٦ يوليو ١٩٥٦** ٠ ومعـه أخبـارا سـارة لنـا ، وكان يومـا مشـهودا أحـكى لك تفاصيـل أحداثـه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

١٦ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٣١)

حبيبتـــى

قضينـا الأيـام العشره بعد سـفر المأمور الى القاهـرة فى ١٦ يوليـو ١٩٥٦ وعودته فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ ، فى مناقشـات واسـعة مع **الاخـــوان المسلمين** حول ما جـاء فى مجلة « **الوطن** » وهى مجلة أسبوعيـة خصصناهـا لمناقشتهم على صفحات المجلة • وكنـا نصدر جريدة يومية من صفحتـى كراس بهـا آخـر الاخبـار وتعليق سريـع • كما كنـا نصـدر مجـلة « **الفـكر** » وهى مجلة ثقافيـة تصـدر كـل سـهر ، وكانت مقالاتهـا تعبر عن رأى أصحابهـا وكنـا نناقش كل ما ينشر بهـا فى جلسـاتنا معـا أو مع الاخوان المسلمين الذين تكونت معهم علاقـات قويـة ، بدأت فى لبنـان طره انسانيـة ، وانتهت سياسية فـى « **جناح** » ثم فـى « **المحاريق** » • منهم على سبيل المثال البكباشى **فؤاد جاسر** ، الصـاغ **جمال ربيـع** ، الصاغ **حسين حموده** ، سيد الرئيس وغيرهم ولـم تتوقف الخلافـات مـع الاخـوان الآخرين دون استمرار المناقشـة معهم أذكر منهم **صـالح ابو رقيق** ، **ومحمـد أبو النصر** ، **ومهدى عاكف وحسن دوح** وغيرهم • من بين هذه المناقشـات اختار مناقسه دينى وبدن البكباشى أركان حرب **فؤاد جاسر** ، وهو مـن « الاخوان المؤيدين » • ذات يوم من تلك الأيـام العشرة فى يوليـو ١٩٥٦ ، وبعـد أقـل من ساعة من صدور مجله « **الوطن** » جـاءنـى البكباشـى **فؤاد جاسر** وهو يحمل المجلة وكنت ساعتهـا « نوبتجى » الخيمة وأقـوم بغسـيل أوانـى الأكـل ، وأملأ ميـاه الشرب ، وأرش الخيش الملفوف حولهـا بالمـاء كلما جفت ، وبعـد وضعها فى مكان ظليـل ، كـى تحتفظ ببرودتهـا ، ثم ارش الميـاه أمام الخيمه كلما جفت ، وأروى الزرع أمـام الخيمة ، هذا العمل كـان يسـتغرق اليوم بطوله ، لكن كـان يمكن اختلاس بعض الوقت بين الحين والآخـر للقراءة ، أو لمناقشـة سريعـة • وحين طلب منـى **فؤاد جاسر** أن نجـرى مناقشة فى خيمته على فنجـان شـاى قلت لـه ضاحكا :

ـ ما أنت شـايف يا فؤاد أنـا مشغول •
ـ وبعدين ضرورى أناقشـك دلوقت •
ـ طيب أكمل غسيل الفروان ده ونعقد هنـا •
ـ عندك شـاى • •
ـ ما عنديش طعما ـ لكن نطلب من مسئول الحياة العامة •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

نظام الحيـاة العامة يصـادر النـاى والسكر ، ولكنـه يسـمح بحالات استثنائيـة مثل وجود ضيوف أو حـافز مـادى لتشجيع الزملاء للقيـام بأعمال خاصـة ·· الخ ·

وتبـدأ المناقشـة فى ظل الخيمة حتى يمكن أن أرى خمس جـرادل مـاء الشرب حين نجف مأرش علبها المـاء وأملأ التى تفـرغ منها · وبعـد فتـرة ارتفعت حرارة المناقشـة حول قضيـة الديمقراطيـه ، يقول فـؤاد :

ـ قضيـة الديمقراطيـة ، وتشمل حريـة تكوين الأحـزاب ، والحريات السياسـية والافراج عن المسجونين السياسيين شرط لهذا التأييد ·

ـ ليست هناك شروط فى **السياسة يا فؤاد** ·· ·

ـ ازاى بقـى تفضل فـى **السجن** ونؤيـد الحـكم الوطنـى ·· ·

ـ **الافراج** عنـا ليس شرطا للتأييـد ··

ـ ولكننا فصيلة وطنية مع الحكومه الوطنيـه فى معركتهـا ضـد الاستعمار ·

ـ ولكنك فى نظرهـا لست كذلك ·

ـ وهل تتغير وجهة نظرهـا حين أعلن تأييدهـا ·· ·

ـ مواقفك الوطنية الواضحـة المستمرة ، والمعلنه للشعب ، تجبرهـا على تغيير موقفهـا منـك ·

ـ من جانبى موافق ·· ماذا تقترح ؟

ـ أقترح أن تجرى منافسـة مع أكبر عـدد من زملائك وتكتب بيانـا للحكومة والصحف والنقابات العمالية والمهنيـة ·

ـ مهمة صعبـة ·· سأبدأ بنفسـى ·

ـ لا يا فؤاد والا صار موقفك تفسيرا خاطئـا ·· ·

ـ **جمال عبدالناصر** يعرفنـى شـخصيا ·· وسوف يثق فى موقفـى ·

ـ حتى ولو حدث ذلك وهو احتمـال ضئيل جـدا ·· سـوف يكـون مادة لأى تفسير خاطىء ·

ـ وماذا يهمنـى ما دمت مقتنعـا بموقفـى ·

ـ أظن أن دورك الوطنـى [illegible] عند خروجك من السجن

ـ [illegible] فى الخارج

ـ مع من ؟

ـ مع الحكومة ·

ـ أيهما أكثر ضمانا ـ حتى من الناحيـة الشخصية ـ أن تعمل وحـدك أو تعمل مع مجموعة من الاخوان المسلمين ·

ـ لن أجد منهم من يقتنـع ·

ـ هـل حاولت وفشـلت ؟

ـ **لا ·· ولكنـى أعرف مقدما** ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- الناس بتتغير يا فؤاد ·· انت نفسك تغيرت ·
- موافق ·· ولكن بشرط ·

وأضحك قائلا :

- أنت هاوى سروط ·· آســه سروطك ·
- ان تشترك معي فـي المناقشـة ·
- موافـــــق ·

يبتسم **فؤاد جاسر ويقـول**

- وأدى سيجارة بيلمونـت بحالهـا ·· تشربهـــا لوحدك · اشـعل السيجارة ، وبتشـعل فؤاد غيرهـا ، ونصمت حتـى لا تشـــغلنا المناقشـة عن التمعور بلذه تدخين سيجارة كامله ·

كان عـدد من الزملاء يرقبوننا من بعيـد لا يســتطيعون الاقتراب منـــا أثناء المناقشة وتدخين ¼ سيجارة مشاركة · وما أن لمحوا الســيجارتين مشتعلتين حتى عجموا علينا دون استئذان · أقول ضاحكا :

- يـا زمـلا احنـا مشغولين ··
- يعنى ·· فتـره استراحـة ··
- نشترك معكما فى التدخين ·

ويخرج **فؤاد جاسر** علبه سجائره البلمونت الصغيرة ، ويوزع **الخمســة** المتبقين فيهـا على الزملاء ، بعـد أن يأخـــذ أحـد الزملاء سـيجارة يقول لى :

- هـات نفس بقـى ·
- يا أخى ما معاك سبجاره بحالهـا ·
- نشربها بعد العشـاء ·· لوحدنـا ··
- والله فـكرة ·· خـد **٣ أنفاس** يا عـم ·

دقات ساعة الغذاء المعتـادة تنـادى علينـا · يهم البكباشى **فـــؤاد جاسر** بالانصراف ، يسرع الينـا مسـئول الحيـاة العامة ويقـول لـــى بغضـب :

- ايـه بقى ، يمشى فى وقت الغذاء ··
- والله فكرت ·· لكن ترددت ·
- ابعت حـد يقول لـى ·· على العموم أنا عامل حسـاب الأســتاذ فـؤاد ·

واحتفاءا بضيفنا يجلس معنـا مسـئول الحيـــاة العامـة · واثنـــاء تناولنـا الغذاء أهمس فى أذنـــه :

- ما تنساش ·· كام سيجارة كـده نشربها مع الضيف ··
- يا زميـل أنا عامل حسـابـى ·

وبعد الغذاء تشتعل **٣ سجائر** ويهجم علينـا بعض الزملاء « ليرحبـــوا » بالضيف ، ومنعـا لاحراجـه ، يتصرف مسـئول الحياة العامة فيوزع علـى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل ثلاث زملاء سجارة • ويقترح فؤاد أن يذهب لاحضار علبة سجاير من خيمته • ويرفض الزملاء ويعلقون تعليقات طريفة :

ـ شفتوا بقى الملكيه الخاصة •• مفيدة !

ـ عملت لنا أيه الملكيه العامة !

ويضحك فؤاد جاسر ، قائلا :

ـ أيه الحكاية •• باين علينا راح نتبادل المواقع •

وينصرف على موعد آخر بعد صلاة المغرب ، حيث التقى معه مرة أخرى ومعه مشروع بيان تأييد الحكومة من مواقفها الوطنية كتبه هو والصاغ **جمال ربيع** والصاغ **حسين حموده** ، وسوف يناقشونه مع أكبر عدد من الاخوان للتوقيع عليه وارساله • أقول لفؤاد جاسر :

ـ شفت ازاى يا فؤاد ، الناس تقتنع بالموقف الوطنى السليم ••

ـ وده راح يلغى على مسئوليه كبيرة •

ـ وأنت جدير بها •

ـ تشجيعك بزيدنى ثقة بنفسى ••

وبعد العشاء كنت على موعد مع الأستاذ **صالح أبو رقيق** • علاقتنا قديمة بدأت فى **ليمان طره** انسانية ثم سياسية • جمعتنا **معارضة** السلطة من خلال قضية الديمقراطية والحريات السياسية • كان يؤكد حقنا فى مباشرة نشاطنا السياسى بحرية • وكنت أتشكك فى هذه التأكيدات ، غير أننا كنا ننهى دائما الى أننا متفقون على الأقل فى المرحلة الراهنة ، بعدها تدور المعركة ، وكنت أعلق ضاحكا : فقط لا تنسوا أن الدين لله والوطن للجميع • فى هذا الاجتماع بدى لى غاضبا ووصف ما قرأه فى مجلة « **الوطن** » بانه **ارتداد** عن الموقف الصحيح •

ـ وما هو الموقف الصحيح ؟

ـ الغاء قرار حل الاخوان المسلمين ، والافراج عن المسجونين منهم فورا •

ـ بما فيها حرية تكوين الأحزاب السياسية والافراج عنا أيضا ؟

ـ طبعا ••

ـ وحفنا فى مشروعية نشاطنا السياسى ؟ ••

ـ هذا ما تملكه الحكومة •

ـ ليس هذا ملكا لأحد •• انه حق •

ـ ومن الذى يعطيه •• ؟

ـ الحقوق لا تعطى وانما تؤخذ ••

ـ كيف ؟

ـ الشعب بواسطة آداته ، جبهة وطنية تضم مختلف القوى الوطنية ، الممثلة فى أحزابها السياسية ، ووفق برنامج وطنى محدد هو القادر على أخذ حقوقه •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ من خلال اســـقاط الحكومة ؟
ـ الحكم الوطنى داخل هذا التحالف الوطنـــى ٠
ـ هذا ما نختلف عليـــه ٠٠
وبســـتطرد ٠٠
ـ أعجب لكم ٠ قلتم بالأمس انها **فاشـــية** ، وتقولون اليـــوم انهـــــا **حكم وطنـــى** ٠٠ كيف هذا ؟
ـ الموقف ليست ثابته ٠٠ الناس تتغير ٠
ـ من الذى تغير ٠٠ أنتم أم هـــم ؟
ـ ربما كنـــا مخطئين فى الحـــكم عليهم ٠
ـ وبماذا تفسر موقفهم من الحريـــات ؟
ـ **تناقض لا شـــك** ٠٠ ولا بـــد من حلـــه ٠
ـ شعار **الاســـقاط** هو طريق حـــل هذا التناقض ٠
ـ وانما **التحالف الوطنى** معهم هو الحل الوحيد ٠
ـ أعجب لكـــم ٠٠ ربما كنتم خباليين ٠٠ وربما كان وراء موقفكم هـــذا شيئا آخـــر ٠
ـ لا هذا ولا ذاك ٠٠ بـــل هو **موقف موضوعـــى** ٠
ـ لكنه لن يؤدى الى الافراج عنكم ٠٠
ويكمـــل :
ـ على الأقـــل فى المـــدى القريب ٠٠
ـ نعرف هذا ولا ننتظره لسنوات قادمة ٠ فالمعركـــة طويلة صعبـــة ومعقدة ٠
ونفترق على خـــلاف ٠ لكن نظـــل أصدقـــاء ، وما زلنـــا حتـــى الآن ٠ وفى كل مـــرة نلتقـــى فيها حتى بعـــد خروجنـــا من السجن يمزح معـــى ويقـــول :
ـ أنت لازم تكون جندى من جنود الاخوان ، وأرد عليه ، كلنـــا جنـــود لمصر ، فلننتظم فى جيش واحـــد ٠
وأعـــود الى الخيمة ويوصلنـــى الاستاذ **صالح ابو رقيـــق** الى منتصـــف الطريق ويقول ضاحـــكا :
ـ الحدود هنـــا ٠٠ مع السلامة ٠
ـ ليس بين الوطنيين حدود ٠
ـ اذن انضموا البنـــا ٠٠
ـ ربما كان التحالف الوطنـــى أفضـــل ٠
ـ لكنـــه لا يلغـــى الحدود ٠٠
ـ نعم لا يلغيهـــا ٠٠ وانما يضعفهـــا ٠
ـ ولماذا لا نلغيهـــا بضربة واحـــدة ٠٠
ـ منطق الحياة لا يسمح ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يربت على كتفى فى ود ونفترق على موعد آخر قريب .

فى الخيمة وجدت الزملاء ينتظرون عودتى لمناقشة ما تم خلال هاتين المقابلتين . وقررنا الاستمرار فى اجراء مناقشات مع الاخوان المسلمين بجناحيهما مع التركيز على الاخوان « **المؤيدين** » . وأن تصدر « مجلة الوطن » عددا خاصا ، ينشر به البيان الذى كتبه « الاخوان المؤيدون » . وعمل تحليل سياسى لموقف الحكم الوطنى ومن خلاله تناقش الحجج التى يسوقها « الاخوان المعارضون » تبريرا لموقفهم المعارض للحكم الوطنى . وما أن نعلن هذه القرارات للزملاء حتى يصيح الفنان **سعيد عبد الوهاب** وهو المسئول عن توضيب ورسم صفحات المجلة التى توزع أربعة أعداد !

— وان شاء الله بقى العدد ده يصدر امتى ؟

— كلك نظر يا سعيد الصبح طبعا . .

— وفين المواد ؟

— حالا تجهز . .

— والحوافز ؟

— المعنوية زى ما أنت عاوز .

— لأ يا سيدى . . شبعت حوافز معنوية .

— والمادية علبة سجاير هوليود « لارج » وأربعة شاى .

ويصيح صلاح هاشم « مسئول الحياة العامة » :

— وأجيب ده كله منين . .

— اتصرف يا أبو الصلح . .

— مفيش سجاير الا للتوزيع يومين على الزملا . .

— ربنا يرزق بعد يومين . .

— لأ يا عم مش موافق .

— أبو الصلح . . لا تكن حرفيا ضيق الأفق . .

— أنا مش مسئول . .

وأقول له فى صوت له نبرة خاصة يعرفها :

— وبعدين . . يا أبو الصلح !

— طيب . . طيب . . أدى علبة السجاير . . وأدى السكر والشاى . . وأنا بقى رايح أنام

ويقول فاروق عبد السلام :

— وأنا كمان أنام شوية علشان أقدر على الأشغال الشاقة دى .

يسحب مجدى فهمى ورقا وقلم ، ليكتب ما كلف به . وأجلس الى جانبه أكتب أنا الآخر . وعند منتصف الليل أهز فاروق عبد السلام كى يستيقظ لندفع اليه بمواد العدد الخاص من مجلة « الوطن » . ومع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شروق شمس اليـوم التالـى يعيد الينـا المواد منسوخة فى نسختين :

ـ هايـل يا فاروق ·· امتـى الباقـى ؟

ـ قبل الغدا يكونوا جاهزين ·

ـ الجانب الايجابـى الحرفى فيك عظيـم ··

ـ بس نظير أجـر ··

ـ مفهـوم ··

ويصيح مسئول الحياة العامة :

ـ لا ·· مش ممكن ·· مفيش سجاير ··

ـ وبعديـن ·· !

ـ طيب ·· طيب · علبة صغيرة آهـى ··

ويبتسـم فاروق ويقـول :

ـ لكن أنا عنـدى « نوبتجيـة » اليـوم ··

ويتقدم الزميل **سعد باسيلى** متطوعـا للقيـام بالنوبتجيـة بـدلا مـن فـاروق ·

وتمضى الأيـام سريعـة · فى مناقشات مع الاخوان المسلمين ، وفـى صـدور أعـداد خاصـة من مجلة « **الوطن** » وجريـدة « **الأنبـاء** » التـى تحمل آخـر الأخبـار والتعليقات المحليـة والعالميـة ، حتـى يحل **يـوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦** ، وتتلاحـق الأخبـار والأحداث والمناقشـات بشـكل مثير ، أحكى لك عنهـا فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـى ·

١٧ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٣٢)

حبيبتـــى

كما قلت لك فى رسالتـى السابقـة كان يـوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ يحمـل لنـا مع المأمور الذى وصـل من القاهرة فى ذلك اليـوم أنبـاء سـارة ٠ قال لنـا وعلى وجهه ابتسـامة عريضـة :

ـ مش قلت لكم ٠٠ **الافراج** عنكم أقرب ممـا تتصورون ٠

ـ هـل هنـاك وعـود ؟

ـ لـم اسمع وعـودا ولكن الجـو العـام فى **الصحة** ، **والمباحث العامة** ، فى صالحكم تماما ٠ لقد وافقـوا على كـل مطالبكم وأكثر منها ٠ الكتب والصحف والزيـارة والخطابات والطرود واقامة كانتين هنـا وسوف تصـل غـدا ٣ زيارات فاسـتعدوا ٠ وبالنسبة للطعام فقـد اتفقت مع متعهـد فى اسيوط على الخضار واللحمة بشرط أن تصـل طازة بطازة ٠٠ واحضرت معى ثلاجة كبيرة ٠ و ٠ و ٠٠٠

ويقول أحد الزملاء ضاحـكا :

ـ دى الحبسـة أحلوت قـوى ٠٠

ويعلق آخـر :

ـ دى تبقـى بشائر حبس طويلة مش افراج قريب ٠

ويعلق المأمور :

ـ أنا مش فاهم ليـه التشـاؤم ؟

ـ أصل الافراج لا يحتاج سوى لقرار ٠٠

ـ وكل **قرار** لـه مقدمـات ٠

ـ المقدمات ضرورى تكون سياسية ٠

ويـرد المأمور :

ـ زى ايـه مثلا ؟

ـ رأى الحكومة فى البيـان اللـى أرسلناه ٠

ويبتسم المأمور ، ويقول ٠٠

ـ واذا جبت لكم رأى **رئيس الجمهورية** ٠

ويخرج من جيبه برقيـة من رئاسة الجمهورية موجهـة الى مأمـور سجن « جناح » بالواحـات لتوجيـه الشكر الى كل الزملاء الذين وقعـوا علـى البيـان ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويسرى الخبر بسرعة بين الزملاء • موجة من التفاؤل تنتشر بينهم - الافراج القريب مؤكد ، مسألة منطقية • الحكم الوطنى يحتاج الى مساندة من كل الوطنين فى معركته القادمة ضد الاستعمار • تجارب الثورات المعاصرة تؤكد ضرورة الجبهة الوطنية للانتصار على الاستعمار • والخلافات الفكرية لا تشكل عائقا فى طريق الجبهة الوطنية •

وأضع يدى على قلبى ، ربما كان كل هذا صحيحا من الناحية النظرية • ولكن النظرية سىء والتطبيق شىء آخر • وفى طريقى الى **مجدى فهمى** أراه قادما يبحث عنى ، يبتسم ابتسامته المعهودة :

– محتاجين لجلسة سريعة • •

نجلس بعيدا وسط الصحراء لنناقش الموقف •

يقول مجدى :

– من البداية ، وأيا كان تحليلنا للموقف يجب أن نوقف بحسم هذه الموجة من التفاؤل •

– تمام • • والأفضل أن تؤخذ الأمور بحذر حرصا على معنويات الزملاء •

ونجد صلاح هاشم على رأسنا ومعه عدد من الزملاء •• يقول :

– أى خدمة •• سجاير •• شاى •• قهوة ؟

– وأيه المناسبة يا أبو صلاح ؟

– انتو برضه بتناقشوا ومحتاجين تعدلوا دماغكم ••

– ما أحنا طول عمرنا بنتناقس •• وأنت عمرك ما عرضت خدماتك بالشكل ده •

– ما هو مناقشة عن مناقشة تفرق !

– اذن هات ما عندك •• ووريانا عرض اكتافك •

ويعطينا علبة سجاير هولبود « لارج » • ويضع أمامنا ترمس مملوء بالشاى • ثم يقول :

– وبعد شوية أعمل لكم قهوة • •

– أيه الكرم المفاجىء ده ؟

– بس شدوا حيلكوا كده وأعملوا لنا تحليل يطلعنا **افراج** •

لم أشعر بوما بفداحة المسئولية كما شعرت بها فى ذلك اليوم ، قبل السجن وخلال السنوات **الأربع الماضية** فيه • ربما كانت هذه أول تجربة يواجهها **مسجونون سياسيون** يقفون الى جانب السلطة ، **يؤيدونها ويساندونها** ، دون أن **يفرج عنهم** • وربما كانت هذه أول مرة تتلقى سلطة وطنية تأييدا أو مساندة من أشد معارضيها حتى الأمس القريب • هل يفهم الحكام موقفنا الحقيقى الموضوعى منهم ؟ وهل يتسع ادراك الزملاء لاحتمال بقائهم فى السجن ، مع استمرار تأييدهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحكم الوطنى ما دام هذا هو الموقف السليم ، فى كل الأحوال يجب وقف هذه الموجة من التفاؤل • كيف ؟

ويقول **مجدى فهمى** : من خلال اعادة قراءة وشرح بعض الكتب النظرية ، وتأكيد عدد من مفهوماتها • الطبيعة المزدوجة للبورجوازية الوطنية ، تجربة الثورة الصينية ، قضية الديمقراطية كما تفهمها وتمارسها الطبقات المختلفة • دور الطبقة العاملة فى الثورة الوطنية وشرط قيادتها للثورة • •

وفى مساء نفس اليوم بعد محاضرة القاها **مجدى فهمى** عن تجربة الثورة الصينية ، وبعد مناقشات استمرت أكثر من ساعة ، جاء من يقول : المأمور جاب راديو كبير علشان نسمع فيه خطاب **جمال عبدالناصر** • ونجلس على البطاطين فى قلب الصحراء لنسمع من الميكروفون صوت المذيع يعلن وصول جمال عبد الناصر •• ونسمع عبارات عالية وتصفيق حاد ثم يسود الصمت حين يبدأ جمال خطابه • وحين اعلن جمال **تاميم قناة السويس** ، امتزج هدير تصفيق الجماهير فى ميدان المنشية بالاسكندرية ، مع هدير تصفيقنا ، نشارك الملايين فى كل مكان فى مصر والعالم العربى وكل القوى التقدمية فى العالم •

وكانت هذه أول مرة تشهد فيها **صحراء الواحات الخارجة** هتافا يشق عنان سمائها **بحياة ناصر وثورة ٢٣ يوليو** • وبعد الخطاب انتظمت جموعنا مع **جموع المؤيدين من الاخوان المسلمين** فى مظاهرة صاخبة ظلت تجوب المعسكر أكثر من نصف ساعة • وبلغ تأثر **المأمور والضباط والجنود** درجة كبيرة جعلتهم ينضمون الينا ويهتفون معنا ، ثم يعانقوننا فى ود وانسانية • وبعد المظاهرة عقدنا اجتماعا عاما حضره كل من فى السجن من مسجونين عاديين وجنود وضباط والمأمور والاخوان المؤبدين • ألقيت فيه الكلمات المناسبة ، والشعر • الشاعر **فؤاد حداد** انسحب بهدوء بعد أن سمع جمال وهو يعلن قرار التأميم ومكث فى خيمته ليكتب قصيدة •

يا حمام البر سقف ، طير وهفيف ، على كتف الحر وقف ، والقط الغله ••

وقصيدة أخرى كتبها **صلاح حافظ** •

بكره النور فى بلادنا بلالى لما نقبم السد العالى •

قصائد كتبت أثناء **خطاب ناصر** التاريخى ، وأخرى خلال احتمالنا • فى ساعات قليلة ولدت قصائد فى **قلب الصحراء** انشدها مسجونون محكوم عليهم بالأشغال الشاقة فى تلك الصحراء ، ثم أنشدتها مصر كلها ومعها كل أقطار الأمة العربية •

كان استقبالنا لتاميم القناة يفوق فى ايجابيته كل القوى الوطنية الأخرى • فمنذ **الأربعينات** وهذا الهدف واحد من أهداف

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

برنامجنـــا • وخلال معركة الكفـاح المسـلح فى القنـاة ضـد قوات الاحتلال البريطانية ، كان تأميم القناة فى مقدمة المطالب التى طالبنا بهـا حكومـة **الوفـد**.

كانت كل كلمات الزملاء تبرز أهمية هذا القرار ، وتضـع احتمـالات معركة ضارية ضـد الاستعمار الذى سيلجأ الى شتى المؤامرات لضرب الثورة الوطنية ، حتى قـد نصـل مؤامرته الى الغزو المسـلح • وانـه لا سبيل الى تحطيم مؤامرات الاستعمار بكل أشكالها الا بتعبئـة الشعب واطلاق حرياتـه السياسية والافراج عن كل المسجونين الوطنين • وتضمنت البرقيـة التـى أرسلناها الى الرئيس **جمال عبد الناصر** فى نفس الليلة هذه المعانـى : لقـد تحمس المأمور حين قـرأ تلك البرقيـة وركب عربته على الفور واتجـه الى المحافظة كى يرسلها باللاسلكـى ، قال وهو يركب عربته التى كنـا نحيط بهـا من كل جانب :

ـ أظن بقى لا مجـال للتشاؤم

ـ وهل نهوى التشاؤم ؟

ـ نحن أكثـر الناس تفاؤلا :• ولكن :

ونسمع نبـرات صـوت المأمور الودودة :

ـ كلها يومين وأجيب لكـم أحسن خبـر •

موجة التفاؤل تصعـد بسرعة عنـد الزملاء • لا نستطيع أن نقف فـى وجهها ، وفى نفس الوقت يجب أن نسير معهـا • الموقف هـو أن نهيىء أنفسنا لأحسن الاحتمالات ، ولأسوأها فى نفس الوقت • الأمـر المؤكـد ان معركة ضـد الاسـتعمار قـد بدأت بعـد **التأميم** • والانتصـار فـى هـذه المعـركة يتوقف بالدرجة الأولى على **قيـادة المعركة** • فهل تدرك هذه القيادة كل أبعـاد المعـركة وهل تعى ضروراتها • وما تفرضه من اطلاق الحريـات السياسية للشعب ومنظماته وهيئاتـه الوطنية ، وقيـام جبهة وطنيـة والافراج عن المسجونين السياسيين الوطنيين ؟ انهـا حقـا قيادة وطنيـة ، ولكنهـا بورجوازية ذات طبيعة مزدوجة • الموقف اذن يفـرض حملة تعبئـة سياسية وفكـرية • محاضرات يوميـا ، سياسية وفكـرية ، والنشرة الداخلية « **الوعى** » تركز على الدروس المستخلصة من تجارب الثورات الوطنية الديمقراطية المعاصرة ، وعلى التحليل السياسى اليومى لمـا يرد الينـا من أخبـار فى الصحف والراديو • كان الزملاء يعـون بعقولهم المقـولات النظـرية ، لكن عواطفهم معلقـة **بالأمل المستحيل** • وتنهـال خطابات الأهالى تبشرنا بالافراج القريب جدا ، بعـد ان يلوون عنق أى كلمـة أو تصريح لسئول • ولم يكن هذا غـريبا منهم فالحق كل الحق معهـم حين يتعلقون بقشـه كالغريق ، ولكن الغريب حقـا أن تصلنـا تحليـلات سياسـية لزملائنا فى الخارج تتوقع الافراج عنا بين يـوم وآخـر • أكثـر من ذلك ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يصلنا مقال نظرى بعنوان « **نحن حزب فى السلطة** » ! ويدلل على ذلك بأن معظم ما وضعناه فى البرنامج قد تحقق ، وبالتالى فان القيادة السياسية قد أصبحت له !

وأصبح وضعنا شاذا حين وصلنا هذا التقرير ، مثل هذا الكلام لا نوافق عليه من الناحية النظرية • وهذه التحليلات السياسية المتفائلة على غير أساس ، نرفضها ، فما العمل ؟ موجه التفاؤل سوف تصل الى قمتها لو عرف الزملاء ما جاء بها ، فمن البديهى أن يكون الزملاء فى الخارج هم الذين على صواب لأسباب مختلفة ، ليس فقط بحكم وضعهم ، وانما أيضا لأنهم أقرب الى الواقع • بل المفروض انهم جزء منه • كان من الأفضل أن لا يرسل لنا زملاء الخارج هذه التحليلات والمقولات النظرية على الأقل من باب الحرص على معنويات زملائهم المسجونين اذا لم يتحقق الافراج عنهم • لقد وصلوا الى يقين بحقيقة الافراج عنا ، هذا ما تقوله تحليلاتهم • وهو خطأ نظرى ومنهجى فى نفس الوقت • ان التزامنا ليس التزاما أعمى وانما هو التزام واعى • والظروف لاتسمح بمناقشتهم وامكان تعديل رأيهم فى نفس الوقت تفرض علينا مسئوليتنا ازاء الزملاء المسجونين أول ما تفرض الحرص على **معنوياتهم** بعدم تعريضهم لأى **هزة نفسية** • ورأينا أن نكتب الى الزملاء فى الخارج وجهة نظرنا فى هذه التحليلات السياسية والمقولات النظرية ، ومررنا اعلانها على زملائنا ، فى نفس الوقت الذى تعلن فيه تحليلاتهم • وتجرى الأيام البافية من يوليو ، وأغسطس ، وسبتمبر ، وثمانية وعشرين يوما من أكتوبر ١٩٥٦ ، وموجة التفاؤل بين الزملاء بين مد وجزر • خطابات الأهالى **ترفع** الموجة أحيانا ، وأحيانا أخرى **تهبط** بها • وتحليلات زملائنا فى الخارج كانت تتجاذبها أيضا موجة التفاؤل فى مدها وجزرها • كانت كل الدلائل تشير الى مؤامرة كبرى بدبرها الاستعمار ضد الثورة • ولم نكن موافف القيادة السياسية تدل على ادراكها الكامل بأبعاد هذه المؤامرة • لقد ركزت كل ثقلها على العمل السياسى الدبلوماسى الخارجى فى الهيئات الدولية • ولم تهتم باعداد الشعب سياسيا وعسكريا للمعركة، وبالتالى لم تكن قضية الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين فى **جدول أعمالها** • وكان من الطبيعى أن نقل بين الزملاء نغمة الحديث عن الافراج ، وأن تهبط موجة التفاؤل الى أدنى مستوى • وبرزت مشكلة خطيرة • مسئوليتنا كسياسيين وطنيين تفرض علينا تأييد ومساندة المواقف الوطنية للسلطة فى مواجهة المؤامرات الاستعمارية ، والتحذير من اشكالها المتعددة • وفى كل بيان أو برقية كنا نضع مطلب الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين ، حتى تحول الى أكلشيه تتناوله السنة بعض الزملاء بالسخرية ! وفى نفس الوقت تفرض علينا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مسئوليتنا ازاء الزمـلاء تفسير سياسى ونظـرى لاستمرار وجودهم فـى السجن ، أن تسجن لانك **تعـارض** النظـام شىء مفهوم ومقبول · ولكن أن تسجن وأنت **تؤيد وتساند** هذا النظـام مسـألة لا تقبلها الا اذا كنت تملك قـدرة نظـرية كبيرة ورؤيـة سياسية واضحه مستمدة منهـا · ولقد أثبتت التجـربة صحـة موقفنا الفكرى والسياسى وظل الزملاء صامدين متماسكين· غيـر أن موقف الاخوان المسلمين « المؤيدين » كـان ضعيفـا ، فبعـد أن كان عددهم بزداد ، أخذ بضيق ، فتركهم عـدد كبير وعـادوا الى الاخـوان المسلمين « المعارضين » · وبعـد أن كان « المعارضون » والمؤيدون يعيشـون معـا أصر المعارضون على عـزل المؤيدين فى خيام خاصة · ومع السـاعات الأولى لصباح **يـوم ٢٩ أكتـوبر ١٩٥٦** سمعنا خبـر العـدوان الثلاثى على مصر ، واشتعلت مشاعرنا وجـرت أحـداث أحكى لك تفاصيلها فى الرسـالة المقبلـة ياحبيبتـى

١٨ يوليـو ١٩٧٧
القاهـرة

ملحوظـات لابـد منهـا ·· وسؤال ·

الملحوظة الأولى : يوافق اليـوم ـ **١٨ يوليو ١٩٧٧** ـ الذكرى الخامسة والعشرين للقبض على فى ١٨ يوليو ١٩٥٢ ·

الملحوظة الثانية : بعد أربعة أيام من اعتقالى قامت ثورة **٢٣ يوليو ١٩٥٢** وبقيت فى السجن **حتى ٤ ابريل ١٩٦٤** ·

الملحوظة الثالثة : بعد أربعـه أعـوام وأربعة أيـام قضيتها فى السـجن صـدر قـرار تأميم قنـاة السويس ·

الملحوظة الرابعة : تستعد الصحف والاذاعة والتليفزيون للاحتفال باليوبيل الفضى **لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢** ·

السؤال : **كم** كـان عمرك يا حبيبتى يوم صدر قرار تأميـم القناة · وهل كان جيلك يعرف عن وجودنا وراء الأسوار ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٣٣)

حبيبتـــى

فى مســـاء يوم **٢٩ أكتـوبر ١٩٥٦** ، كنـا مثل بعض أبنـاء البيت الـذين قيدهم أبنـاء آخـرين من نفس البيت حتى لا يقاومـوا اللصوص الـذين اقتحموه لسرقته والاعتداء على حرماته ! لمصلحة من يشلون مقاومتنـا لهـؤلاء **اللصـوص**؟

اللصوص والسفاحون يسرقون ويقتلون كل أبنـاء البيت وهم لايتعاونون الا مع أولئك الذين يخونون حرمة البيت الذى آواهـــم • واخوننـا الذيـن يقيدوننا يتعرضون لنفس مـا يتعرض لـه أبناء البيت البررة •

وأتـرك لك يا حبيبتـى تصـور حـالة الزملاء الملقى بهم فى **قلب الصحراء** ، وبلادهم الحبيبة يعتـدى عليهـا الغزاة الاستعماريون والصهاينة • كانـــوا أسودا وضعوا فى **أقفاص** • ومن الذى وضعهم ؟ أخوتهم الذين يجمع بينهم شرف الانتماء **للبيت الواحـد** • لكن حالتى فاقت كل تصور فى تلك اللحظة• **أللك يقبض على ، وحـكام ثورة ٢٣ يوليو يحكمون على بالأشـغال الشـاقة تـم يحرمونني من شرف الدفاع عن بلادى !**

الزملاء جميعـا يتجمعون فى حلقـات حول عـدد مـن أجهـزة الراديـو «البرانزستور» مع جميع اذاعات العالم ، ويرتفع صوت من بين احدى الحلقات:

ـ الجـوس الاسـعماريـــه •• اجتازت ممـر متـلا ••

ـ أى اذاعـــه ؟

ـ لنـــدن •

ـ كذب لا تصدقوها •

ويرتفع صـوت آخـــر ••

ـ اسرائيل اذاعت نفس الخبـر ••

وتصيح أصوات غاضبـة :

ـ كذب •• كذب ••

ويأتى صوت مالئ حزين •• حزين ••

ـ الخبـر صحيح يا زمـلا ••

وتصيح كل الأصوات ••

ـ لا •• لا •• مش ممكن ••

ـ الخبر من راديو القاهرة ••

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبسود صمت رهيب . راحت سبناء . ربما يكونون غدا فى مدن القنـاة . هل يحتلونها ؟ هل يحمل الشعب السلاح ليدافع عن أرضه ووطنه؟ الموقف العسكرى خطير جدا ؟ لماذا ؟

البكباشى **أركان حرب فؤاد جاسر** من الاخوان المؤيدين ـ يشرح لنا الموقف العسكرى على سبورة ، أن بمر الغزاه من ممر متلا معناه احتلال كل سيناء . الا تستطيع جيوشنا أن توقف تقدم الغزاة ؟ لا . مستحيل ؟ ما العمل اذن ؟

ويأتى البنا **صوت فؤاد جاسر** حزينا ، ممزقا ، مكسورا :

ـ لابد من انسحاب جيوشنا الى ضفة القناة .

وفى صباح يوم **٣٠ أكتوبر** نسمع خبر صدور **الأوامر** بالانسحاب من سيناء ! لم تعد الحرب نظامية بين جيوش فقط . انها حرب شعبية، وهل يملك الشعب السلاح ؟ ويأتينا صوت **جمال عبد الناصر** من الجامع الأزهر ..

سنقاتل .. سنقاتل ..

وتصل أخبار حمل **الشعب للسلاح** فى مدن القناة وفى القاهرة . ليقاوم الغزاة !

دماؤنا تغلى . وأعصابنا لم تعد تحتمل . هذه أرضنا ونحن أخلص ابناءها . ايدينا التى يكبلها الحكام يجب ان تحمل السلاح مع الشعب فى وجه المعتدين العزاة . وأصحب **زكى مراد** فى صباح اليوم التالى للعدوان على بلادنا ونذهب الى **المأمور** ، فى الطريق الى مكتبه نتفق على كل شىء . دون أى مقدمات يقول **زكى مراد :**

ـ نرجو أن تبلغ القاهرة ما يأتى : **اذا لم يصدر قرار الافراج عنا فى ظرف ٤٨ ساعة من الآن نعليهم أن يتحملوا مسئولية ما يحدث هنا .**

ويلاحظ **المأمور** الانفعالات على وجهنا فيقول بصوت ودود :

ـ يا جماعة أصبروا .. .. الحكومة عارفة موقفكم الوطنى العظيم ..

وأقول بغضب ..

ـ لم يعد **شرف** معرفتها لموقفنا له أى أهمية ..

ويحاول المأمور تلطيف الموقف ..

ـ ده مرضه يساعدنى فى مسألة **الافراج** ..

ـ **لا أحد يملك منع مواطن من شرف الدفاع عن أرضه**

ـ أنتو عارفين ـ الرئيس مشغول فى المعركة .

ـ ونحن .. ألسنا جزءا من هذه المعركة ؟

ـ يعنى .. المسألة تحتاج لبعض الاجراءات

ويقول **زكى مراد** بغضب :

ـ اجراءات أيه ؟ دى كلمة يقولها ..

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأكمل ..

- ولابد أن يقولها .. والا ..

ويقول المأمور ..

- طيب أدونى فرصة كافية ..

ونقول بحسم :

- **٤٨ ساعة** من الآن .. ليس أكثر .

- وأنا فى ايدى أيه ؟

- فى ايدك أن تتصل باللاسلكى بالقاهرة .. الآن .

- سأفعل ..

- واذا مضت ٤٨ ساعة ولم نخرج من السجن فسيكون هناك تصرف آخر .

- زى أيه مثلا ؟

ويقول زكى مراد :

- سننتظم جميعا أمام بوابة السجن ونطلب من سيادتك السماح لنا بالخروج والذهاب الى القاهرة لحمل السلاح ضد الغزاة المستعمرين .

ويقاطعه **المأمور :**

- وأنت عارف اننى لا أملك هذا ..

- طبعا نعرف هذا ..

- اذن ما الذى تنتظره منى ؟

وارد عليه :

- أن تقوم بتنفيذ **ما يمليه عليك واجبك**

ويسأل المأمور :

- واجبى الوظيفى .. أو الوطنى .

- نتمنى أن يكون الواجب الوطنى

- وأكل عيشى ؟

- هذه ظروف استثنائية

- لكننى موظف أولا ..

- فى مثل هذه الظروف **أنت وطنى أولا ..**

ونلمح الدموع تتجمع فى عيون الرجل الوطنى

- لا أستطيع الا أن انحنى احتراما لكم .. لكن أرجو أن تقدروا موقفى .

ويقول زكى مراد :

- نحن نقدر موقفك تماما حتى ولو تغلب واجبك الوظيفى على الواجب الوطنى ..

- وهل تعرفون نتائج القيام بواجب الوظيفة ..

- واقول :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ نعرفه جيدا ·· ستطلقون علينا **الرصاص** عند خروجنا من **السجن** ··
ـ وهل أنتم مستعدون لذلك ؟
ويرد **زكى مراد بحسم** :
ـ كل الاستعداد ·
وترتسم علامات الدهشة ممزوجة بالاعجاب والتقدير على وجه المأمور :
ـ سيسقط منكم **ضحايا** ·· والباقى لن يخرج ··
ـ لا سنخرج جميعا من بوابة السجن ·· **أحياء أو اموانا** ·
ويتساءل المأمور :
ـ وما الذى تجنونه من وراء ذلك ؟
وأقول ساخرا :
ـ حتى تصل المأساة الى ذروتها ·
لحظة صمت تمر كأنها دهر · نلاحظ خلالها وجه المأمور يجسد ما فى داخله · هؤلاء الناس اذا قالوا شيئا فعلوه · خروجهم من باب السجن ليس له سوى معنى واحد · هو محاولة الهروب · والقانون صارم ، **اطلاق الرصاص على المسجون الذى يحاول الهروب** · هؤلاء أول مسجونين يعلنون عن عزمهم **للهروب** ويحددون له موعدا · وهم لا يهربون من أجل ارتكاب جرائم ، وانما كى **يموتوا** فى ساحة الشرف · عجبا لهم من بشر·· يهربون **للموت** وليس للحياة ·
ـ وفجأة يسأل المأمور :
ـ هل انتم مستعدون لتسجيل موقفكم هذا والتوقيع عليه ،
ونقول فى نفس واحد .
ـ وفورا ·
ويتناول **زكى مراد** الورقة والقلم من **المأمور** ويسجل عليها مطلبنا · الافراج عنا كى **نموت** فى ساحة القتال برصاص الغزاة خلال ٤٨ ساعة أو استمرار سجننا والموت برصاص الحكومة الوطنية على باب السجن · ويوقع وأوقع بعده ·
ـ واضح أن الحكاية جد خالص ·
ـ عهدك بنا لا نقول الا الجد ··
ـ اذا أعطونى فرصة للتصرف
ـ نرجو أن يكون بسرعة ·
سأذهب فورا الى المحافظ وأطلعه على ما دار بيننا وعلى هذه الوثيقة· وأطلب منه ان يبلغ رئاسة الجمهورية بمضمونها ·
ـ نأمل أن نعرف النتيجة على وجه السرعة
ويقول ضاحكا :
ـ ربما يحتاج الأمر اطالة مدة **الانذار** ٢٤ ساعة ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول **زكى مراد** بحماس شديد :

ـ ولا ساعة واحدة ..

وأكمل :

ـ وهو ليس انذار ..

ـ ما هو اذن ؟

ـ هو موقف .. والانسان موقف .

ويضمنى **زكى مراد بحب** ، ويقول :

ـ عنوان محاضرة نسمعها اليوم منك .

ـ ومطلع قصيدة تنشدها لنا اليوم أيضا .

ويطلب المأمور ان لا تبدأ المحاضرة قبل عودته من عند **المحافظ** فهو يريد أن يسمعها مع الزملاء ، كما يسعده أن يسمع القصيدة . ربما لم يشهد أى سجن فى العالم ما شهده سجن جناح بالواحات الخارجة فى ذلك اليوم . اجتماع يضم المسجونون الشيوعيون والاخوان المسلمين المؤيدون للحكم الوطنى والمسجونون العاديون ، وكل السجانة وكل الضباط ومعهم مأمور السجن يستمعون لاكثر من ثلاث ساعات محاضرة عنوانها « الانسان موقف » ، وقصدة مطلعها هاتين الكلمتين . كان الراديو يذيع نشرة أخبار كل ساعة وكنا حريصين على أن لا تعطل المحاضرة سماع نشرة القاهرة ، وكل اذاعات العالم . وجلس الزملاء الذين يحملون الراديوهات « الترانزستور » يسمعون الاخبار بواسطة السماعة ، بأذن ، ويسمعون المحاضرة بالأذن الأخرى .

بعد حوالى ساعه من بدء المحاضرة ، رفع زميل يحمل راديو يده أشار الى خبر هام ..

ـ الرئيس **جمال عبد الناصر** يوجه نداء للمعسكر الاشتراكى **ولكل** القوى التقدمية فى العالم الوقوف الى جانب مصر فى معركتها ضد الاستعماريين والصهاينة والغراه .

وتلتهب الأكف بالتصفيق دقائق . وأعود الى المحاضرة :

تمضى أقل من نصف ساعة .. وترتفع يد زميل آخر من حملة الراديوهات .

ـ الاذاعة توقفت عن الارسال .

أتوقف ، وتكاد قلوبنا تتوقف عن ضخ الدماء الى أجسامنا . **لهفة عليك يا أرضنا الحبيبة** ، حرمونا من شرف بذل **دماؤنا فوق ترابك المقدس** ، لا ، لن تجمد دماؤنا فى عروقنا ، اليقين فى أعماقنا يحمى قلوبنا ولن تتوقف أبدا عن ضخ دماء الحياة لأجسامنا ، **حتى نبذلها فداء لك يا مصر يا حبيبتى .**

ويبدد الصمت أصوات ترتفع :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ تمكن المهندسون (١) المصريون من تجهيز عربة اذاعة حتى يتم اصلاح محطة الاذاعة التى تعطلت ٠

أكف الحاضرين تلتهب من التصفيق وتعلو الهتافات بحياة الشعب الذى لا يقهر ٠وأعود الى محاضرة « الانسان موقف » بعدها ينشد زكى مراد قصيدته ٠ ثم نردد مع أم كلثوم ٠٠ **والله زمان يا سلاحى اشتقت لك فى كفاحى ، أنطق وقول أنا صاحى يا شعب والله زمان** ٠ ومع فايدة كامل ٠ **دع سمائى فسمائى محرقة ، دع مياهى فمياهى مغرقة** ٠٠ الخ ٠٠

ونستقبل نور فجر اليوم الجديد بنفس هادئة ، وقلوب مطمئنة ، وروح شفافة متصوفة ، كانت لنا مواقف كثيرة ، قبل السجن وخلاله ، لكن موقفنا هذا جسد الانسان فى شموخه وعظمته ، الانسان الذى لا يقهره شىء ٠٠ حتى الموت ذاته ٠

وفى الصباح تحمل لنا زيارة من أهلنا أنباء هامة ، تجعلنا أكثر اصرارا على الموقف الذى أخترناه ، أحكيها لك يا حبيبتى فى الرسالة المقبلة ٠

٢١ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

---

(١) كان على رأس هؤلاء المهندسين المهندس الدكتور فائق فريد ٠ النائب الأول مجلس الأمة عن دائرة روض الفرج ٠ اعتقل فى عام ١٩٥٨ ، ولم ترفع عنه الحصانة البرلمانية ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٣٤)

حبيبتـــى

ذات يـوم من الأيـام الأولـى فى شـهر **نوفمبـر ١٩٥٦** حملت الينـا زيـارة من أهالينـا انبـاء هامة أعطتنـا أمـل الاشتراك فى معركـــة مصر المقصـــة • وازداد أملنـا حين سـمعنـا اخبارا أخـــرى من مأمور السجن • الحكومة توزع السـلاح على الشعب • **زملاؤنـا** فى الخـارج بالاتفـاق مـع **الحكومة** يقومون بتعبئـة الجماهير فى المعركـة ، وينظمون المقاومة الشعبية فى بور سعيد • الجبهة الوطنية تتحقق من خـلال المعركـة ، والحـريات السياسية تعم كـل مناحـى الحيـاة فى مصر • فقط لـم يبـق ســوى الافراج عن المسجونين السياسيين الوطنيين ، وهى مســألة قـد أصـبحت أقرب الينـا من حبل الوريـد !

ـ ولماذا لـم يصدر قرار الافراج مع قرار التعاون معكم ؟

وجهنا هذا السؤال الى الزميـل الذى جـاء مع الزيـارة وحمل لنـا هذه الأخبـــار •

ـ لأنـه يحتـاج الى قانـون •
ـ ربما كان الأفضـل أن يصدر عفـو سياسـى •
ـ بالعكس القانـون أفضـل •
ـ حتى يكتسـب نشـاطنـا مشروعيتـه ؟
ـ بالضبط • •
ـ ونشاطكم •• أليس مشروعـا ؟
ـ بالطبـــع • •
ـ من أى شىء يستمد مشروعيته ؟
ـ من صلتنـا بالدولة وعملنـا مع أجهزتهـــا •
ـ وهـل نتنظـر حتى يصـدر القانـون ؟

ويصيح الزميـل وكـل نبرات صوتـه توحـى بالتفاؤل الشديد • •!

ـ مشروع القانون أعـد بالفعل وسينظر أمام مجلس الأمة •
ـ وهـل تضمنون وقوف أغلبيـة مجلس الأمة الى جانبنـا • • ؟

وترتفـع رنـة التفاؤل فى كلمات الزميـل :

ـ عـدد من مجلس الأمة طالبـوا بهـذا فى مقدمتهم **ابو الفضل الجيزاوى** و • • •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويهمس :

ـ اطمئنوا ما دام الريس عاوز كده .. لازم مجلس الأمة يوافق .

وأتساءل بسخرية . .

ـ وهوه الرئيس عاوز يفرج عنا ؟

ـ ليس فى ذلك أدنى شك .

ـ اذن فليصدر قانون يعرضه بعد ذلك على مجلس الأمة .

ـ قانون يصدر من مجلس الأمة أقوى من قانون يصدره رئيس الجمهورية .

ـ وهل احتاج قرار توزيع السلاح على الشعب الى قانون يوافق عليه مجلس الأمة ؟

ـ توزيع السلاح ده قرار سياسى .

ـ لكنه يستند الى قانون .

ـ وهذا ما حدث .. وبسرعة . .

ـ ألا تستحق قضية **الافراج** مثل هذه السرعة ؟

ويستنكر الزميل هذا الكلام .

ـ ده بقى موقف **ذاتى** . !

وأقول بغضب :

ـ الافراج عن الوطنيين فى ظروف غزو استعمارى يبقى موقف ذاتى ؟

ـ الالحاح عليه يتحول الى موقف ذاتى . .

ـ وهل اطلاق الحريات السياسية موقف ذاتى ؟

ـ طبعا لا . .

ـ لماذا اذن هذا الفصل التعسفى بين الحريات السياسية والافراج عن المسجونين السياسيين ؟

ـ ربما لخوفنا من أن يفهموا أننا نضع شروطا ؟

ـ أخشى أن تكون هناك أسبابا أخرى !

وينقطع الحوار فترة حول هذا الموضوع ، ثم يعود مرة أخرى حين يأتى **المأمور** ومعه أنباء أخرى ، يقول :

ـ جاءت برقية من رئاسة الجمهورية صباح اليوم .

ـ خيرا . .

ـ شكر وتقدير لموقفكم الوطنى المشرف .

ـ تانى !

ويشاركنا المأمور بتعبيرات وجهه وابتسامته ، سخريتنا :

ـ على العموم لازم تعطوهم فرصة . .

ـ تانى !

ـ يا جماعة ليه بس التشاؤم ده . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- على العموم • باقى من الزمن **٢٤ ساعة** • •
- ده بقى ببقى انذار •• **مش موقف** • •
- ليه بقى • ؟
- بمكن نعديل الموقف • •
- هذا اذا استجدت ظروف تستدعى تعديله • •
- بعى توزيع السلاح على الشعب ، واستراك زملائكم فى المعركة مع الحكومه دى مس طروف جديده ؟
- هى بالفعل ظروف جديدة •• تجعلنا أكثر اصرارا على موقفنا •

ويكاد المأمور أن يتوسل الينا • ويقول :

- أرجوكم لا تضعونى فى موقف حرج •
- ولمادا تضع نفسك فى موقف حرج ؟
- سأكون مضطرا الى القيام بواجبى الوظيفي •
- لا تفهم منه وحدك •
- كيف ؟
- اطلب حضور المحافظ واترك له الأمر •
- عذا يصر على أنه تقصير فى تأدية وظيفتى • •
- أعرف من أن تكون وظيفتك هى **اطلاق الرصاص علينا** •

وتستمر فترة من الصمت • كان الحوار مع **المأمور** يدور معنا على مسمع من أعضاء وفد الزملاء الذين جاؤا لزيارتنا ، لكنهم لم يفهموا شيئا من الحوار حتى آخر كلمه منه • لم نعكر كل ما شهدناه من خوف وقلق ونساؤل فى وجوه الزوار من هدوء أنفسنا الذى يعكسه برنس الاصرار فى عيوننا • ويبدأ **المأمور** محاولة كسب الزوار الى جانبه . ولم نعتر الدموع التى جرت من عيون **الأم والزوجة والأخت** ، من موقفنا ، وبلغى الزميل آخر ما فى جعبته •

- ده موقف استفزازى •
- لمن ؟
- للسلطة •
- لماذا ؟
- لأنهم سيفسرونها على أنها حركة ضد الحكومة

لكن ما تفسيرك أنت ؟

- الى حد كبير هو كذلك • •

ونتوالى تعليقات الزملاء :

- البعض يستفزون • •
- والبعض يطبطبون • •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ اللى ايـده فى الميـه ٠
ـ مش زى اللى ايـده فى النـــار ٠
ـ البعض يقاومـــون ٠
ـ والبعض مســـجونون ٠
ـ يـد تطلق الرصاص على الاعـــداء ٠
ـ واليد الأخرى تطلقـه على الأصدقـاء ٠
ـ أحسن جبهة وطنيـة ٠
ـ وآخـر صيحـة نظريـة ٠

سخريـة لاذعـة تجســد كل ما فـى داخلنـا ، اصرار على الموقـف الذى أخترنـاه ، رمض لكـل الأوهـام التى نسجها زملاؤنـا فـى الخـارج ارضـاء لذواتهم ، واحساس مرير بالأسـى من موقفهم الذاتـى ٠

ويتوجه المأمور الى عربتـه وقبل أن تتحرك بـه ، يقول لنـا :

ـ أنا رابح اتفـاهم تانـى مع **المحـافظ** ٠٠ ونتصـل **بالقاهـرة** ٠

راديـو القاهرة لا يتوقف صوتـه الذى يسمعه كل من فـى السـجن ٠ يذيـع الأغانـى الثوريـة والأناشـيد الوطنيـة ٠ وآذان بعض الزملاء على كل اذاعـات العالم يتابعـون أخبار الحرب العدوانيـة على بلادنـا ٠ يقطـع المذيـع الاناشـيد والأغانـى الوطنية ويعلن :

ـ قوات العـدو تغزو بورســعيد ٠ ٠ المعـارك تدور فى منطقة الجميل ٠ ويعـود الراديو لمواصـلة اذاعة الأناشـيد الوطنيـة ٠ وتغلى الدمـاء فى عروقنـا ٠

ويعلن المذيـع ٠

ـ المقاومة الشـعبية تطـارد قوات الاحتـلال ، **بورسـعيد** يا مدينـة البواســل وقلعة الاحرار ٠ قاومى الاحتلال ٠ ٠

وتعود الأناشـيد ٠ ٠ وترتفـع صيحـات الزملاء تستنكر هذا الموقـف من جانب الحكومة الوطنيـة ٠ انهـا حمـا نقـود الشـعب فى معركـة المصير ، فلماذا يحرموننا من شرف المعركـة ولمصلحة من ؟ وتدور منافسـات حـادة بين الزملاء والاخوان المسلمين المؤيدين من جانب والاخوان المسلمين المعارضين من الجانب الآخـر :

ـ ماذا حنبتم من تأييدكم للحكومة ؟
ـ هو موقف سياسـى لا ننتظر من ورائه سبئا ٠
ـ ومطلب الافراج عنـكم ؟
ـ جـزء من الحربات السياسية ٠
ـ ومتى يفـرج عنكم ؟
ـ هذا ما تقـرره المعركـة ٠
ـ قـد تطول ولا يفرج عنكم ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ لن يغير هذا من موقفنـــا ٠

ويعلو صوت مذيـع راديو القاهـرة :

ـ الاتحاد السوفيتى يوجه انذارا للمعتدين الغـزاه ٠

يصفق الزملاء والاخوان « المؤيدون » ، ويعلق بعض الاخـــوان المعارضين

ـ لمصلحة من هذا الانذار ؟

ـ لمصلحه المعركة المشتركه ضـد الاستعمار ٠

ـ سيكون الثمن باهظـا ٠

ـ مســـلا ٠

ـ احلال استعمار محل استعمار آخـر ٠٠

ـ وما رأيـك فـى الآخـــر ؟

ـ أهـــون الشريـــن ٠

ـ كـــذا ٠

ـ نعـم ٠٠ وما رأيك ؟

ـ مصر الحـــرة المستقله ٠

وتحاول بعض العناصر من الاخوان المعارضين استفزاز الاخـوان المؤيدين ٠ ترتفع الأصـوات ويعلو الأصـوات ، وتتبـادل السنائم ، والأبـــدى تتسـابك ، وتكـاد معركة تنشـب **بين الطرفين** ٠ لكن صـوت العقـل يعلو ، ويعـود الهدوء ٠ تتوقف المناقسـات والاستفزازات المتبادلة ، ويتفـق علـى عـدم اثـاره اى مناقسات جماعيه والتمسـك باحترام كل لساعر وفـــكر الآخـر ٠

صوت « **البروجـى** » يعلو بنغمـة خاصـة تعرف معناهـــا المسجونون فى سجونهم ، ورجـال الحرس فى ثكناتهم . ويثاره أحـد **لـــواءات** الجيش أو البوليس ٠

ـ أى نوع من اللواءات يا ترى ؟

ـ المحافظ لـواء ٠٠ ومدير مصلحه السجون لـواء ٠٠ ومدير المبـاحث العامة لـــواء !

العربـة السـوداء فى مقدمتها عـــلم « **اللـواء** » تجرى بسرعـة نحـو باب السجن ، وصـوت « **البروجـى** » لا يكف عن الصيـاح ، وراديـو القاهرة يواصـل اذاعـه الأناشيد والأغانـى الوطنيـة ، وتتمس الظهيـرة اللافحـة فى الصحراء ، لا تحـول دون وقوف الزملاء على باب السجن ، وفوق الرمال الملتهبـة ، فى انتظـار ما يحـدث ويرتفـع صـوت حماسم ٠

ـ موقفنـا كما هو لـم يتغيـر ٠

أذهب أنا وزكى مراد لاستقبال اللواء القادم الينا ٠

يتقدم الينـا **اللواء المحافظ** وعلى وجهـه ابتسـامة عريضـة ويسـلم علينـا باليد بود ملحوظ ، ويقول :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ أحمل أخبارا هامة لكم ٠
ـ خيـــرا ٠
ـ برقيـــه من **رئاسـة الجمهوريـة** تعـد بالافراج العاجـل ٠
ـ كنـا نود أن نحمل البرقيـة قـرار **الافراج** ٠
ـ مجلس الأمة سيناقش الأمـر عـدا ٠
ـ ربما نطـول المناقشـة ٠
ـ لا أعتقد ٠٠ مطلوب منـه اصدار **قانون بسرعـة** ٠
ـ وهـل تتحمل أعصابنـا الانتظار وجـزء من أرضنـا تدنسـه قـوات الاحتلال ؟
ـ أعـرف عنكم القدرة على التحمل ٠
ـ نحن غير مفتنعين بهـذا ٠
ـ أجدر بكم أن تثقـوا بقيادة المعركـة ٠
ـ كل الثقـة بجديتهـا في المعركـة ٠
ـ من المنطقى ادن أن نتقـوا بوعودهـا لكـم ٠
ـ تجربة الأيـام الماضيـة ـ منذ قرار تأميم القناة ـ علمتنا الحذر ٠
ـ ربما كان من الأفضل لكم أن تراجعوا موقفـكم ٠
ـ نرجو أن لا يكـون ذلك تهديـدا ٠
ـ بـل هو واجب الوظيفـة ٠٠
ـ نحن لا نعتـرض ٠٠
ـ وتعرفـون النتائـج ٠٠
ـ نعرفهـا جيـدا ٠٠
ـ أنتـم تنتحـرون ٠
ـ لا ٠٠ وانما نسـجل موقفنـا ٠
ويضحك المأمور ، ويقـول :
ـ الانسـان موقف ٠
ويبدو على المحافظ عـدم الفهم ٠ ويشرح لـه المأمور ما سـمعه فـى المحاضرة ، وتكسو وجهه تعبيرات الدهشـة ممزوجه بتعبيـرات الاعجـاب والتقدير ٠ يقـول :
ـ لـم أكن أتصـور الأمـر بهذه الدرجـة ٠
ـ ألـم ينقـل البكم المأمور حوارنـا معـه ؟
ـ ليس من سمع كمن رأى ٠
ـ وها أنت قـد سمعت ورأيت ٠
ـ وتضاعف حـرج موقفـى ٠
ـ نأسـف ٠٠ ونرجو أن تقدروا موقفنـا ٠
وتتوالـى رجاءات **المحافظ والمأمور** وعـدد من ضباط السجن وبعض الاخوان

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المسلمين الذين كانـوا ينابعون الحوار :

ـ انتظار كـام يوم لن يقلل من قيمه موقفـكم ٠

ـ انتـم فى منزلـة أولادى ٠

ـ فى التانـى السلامة ٠

ـ ألبس لكـم أولاد ؟

ـ وزوجـات وأمهـات ؟

ويذهب **المأمور** الى خيمة **الزوار** ويصطحبهم الينـا :

ـ يا ولادى ٠٠ حرام شبابكم ٠

ـ أولادكم مين يربيهم ؟

ـ وزوجاتكم ٠٠ ليه يترملوا بدرى ٠

ـ وامهاتكم ٠٠ رح تبقـى حالتهم أيـه ٠٠

و ٠ و ٠ و ٠ وبنتحـى بنـا البكباشـى **فؤاد جاسر** جانبـا ويهمس :

ـ أنا رايـى كصدى ننتظروا كام يوم ٠٠

ـ انتظرنـا طوبـلا ٠ ٠

ـ انتظار كام يوم كمان لن يقلل من موقفكم ٠

ـ ولن يغير أيضـا من موقفهم ٠

ـ وقتئذ يكون الحق معكم تماما ٠

ـ أوليس الحق معنـا منذ زمن ؟

ـ اقصـد حى مسئولبتكم عن أرواح زملائكـم ٠٠

مسئولبتنا عن **أرواح** زملائنا قبـل مسئوليتنا عن **أرواحنـا** نحـن ٠ لكن الزملاء ممتلئون حماسـا ٠ انهم مقتنعـون تماما بهذا الموقف ٠ القرار ليس قرارنـا ٠ انـه قرار كـل الزملاء وبالاجماع ٠ هـل اهتز اقتناعنـا أمـام كل ما سـمعنـاه ٠ من توسـلات ، وما رأينـاه من دموع فى العيـون ؟ هل يكون تأجيـل الموقف ضعفـا منـا ؟ وهـل الاصرار عليـه بعـد كل ما سمعناه ورابناه يعتبـر موقفـا جامـدا ؟ ٠ موقفنـا واضـح ومحـدد يعرفـه كـل المسئولين وكل أهالينـا وبالتالـى قطـاع هـام من الجماهير ، وقدرتنـا على تنفيذه ليست محل تسـاؤل ، الانتظـار عـدة أيـام أخـرى سنكون فى صالحنا فى كل الأحـوال ٠ اذا صـدر **القانـون** من مجلس الأمة ، فقد كسبنا **الافراج** ، واذا لـم يصـدر واتضحـت نواياهم بعـدم الافراج نكسب عطف أوسع قطاعات من الجماهير ومز بسقط يخلد فـى سجل **الشـهداء** ٠

كان ما يدور فى داخلـى هو نفس ما يدور بداخل **زكى مراد** :

ـ أيـه رأيك يا زكـى ؟

ـ **نعود الى الزملاء ٠٠ نناقشـهم** ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ أفضـل أن نعـود برأى واحـد ٠
ـ وما رأيـك ؟
ـ المساومة ٠
ـ كـم يومـا ؟
ـ أربعـة أيـام أخرى ٠
ـ موافـق ٠

وقبل أن يعود الحوار مع المحافظ والمأمور نشترط ٠
ـ مـا سنتوصل اليـه يتوقف تنفيذه على موافقة كـل الزملاء ٠

ويبتسـم المحافـظ ٠ ٠
ـ يعنى الرجوع لمجلس الأمـة ٠
ـ تقريبيـا ٠
ـ ماذا تقترحـون ؟
ـ التأجيل أربعـة أيـام ٠ ٠
ـ خلوهـا سبعة أيـام ٠ ٠
ـ ولماذا سـبعه ؟
ـ اذهب خلالها الى القاهرة لعرض الأمـر بنفسـى ٠
ويستطرد المأمـور ٠
ـ وينتهـى مجلس الأمـة من المناقشـة ٠ ٠
ـ نقسـم البلد نصـفين ٠
وبضحك المأمور :
ـ يبقـى خمسة أيـام ونصف ٠ ٠ بلاش كسـور ٠
ـ اذن خمسة أيـام ٠ ٠
ـ لا سـتة ٠ ٠
ـ اذن اتفقنـا ٠ ٠
ـ ليس قبل موافقـة الزملاء ٠ ٠

ويذهب معنـا الى الزملاء ، **فؤاد جاسر وحسين حموده** وعدد من أصدقائنا من الاخوان المسلمين المؤيدين ٠ وبعـد اجتماع يستمر أكثـر من سـاعة نبـذل خلاله جهـدا مكثفـا لاقناعهم ، تارة بشرح مستفيض لموقفنـا خلال الحوار مع **المحافظ والمأمور** ، وتارة أخـرى بشرح الظروف الموضـوعية الآن ، وبعـد التأجيل ، وانهـا سـوف تكـون فى صالح موقفنـا فى كل الاحتمالات نصل الى موقف الاجمـاع الكامل ٠

وحين يسمع المحافظ والمأمور والضباط قـرار الزملاء جميعـا بالموافقـة ، تتهلل وجوههم فرحـا ، ويعـدون ببذل كل الجهـود حتى يفـرج عنـا ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتجرى الاحداث بسرعة مذهلة ، مع كل حدث ترتفع موجة التفاؤل وتتوقع افراجا سريعا ، لكن حدثا بعينه يدمع بقصبة الافراج عنا الى الخلف ، ويدفع فى نفس الوقت المعركة الى بداية النهاية .
احكى لك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى .

٢٣ يوليو ١٩٧٧
القاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة رقم (٣٥)

حبيبتـــى

فى نفس اللحظـة التى توقف فيهـا القتـال **يـوم ٦ نوفمبـر** ، ألغينـا قـرارنا الذى حدثتك عنـه فى رسالتى السابقتين ٠ أحس بتمنيك تتحركان لتسألى سـؤالا أعرفـه ، وتعرفين أنت اجابته ، لكن بريق عينيك يطـلب المزيـد ٠

قـرارنا السـابق الذى ألغيناه كانت حيثياته تتلخص فى كلمـات : ان تنتهى جهودنا **برصاص الحكومة الوطنية** ، خير من أن نموت مـن الداخل حين نـرى أرضنـا المقدسـة تدنسها أقـدام الاستعماريين الصهاينة، ونحن هنـا فى السجن **مكبلون** ٠ ولم تكن قرارنـا هـذا بسـبب الرغبـة فى الاستمتاع بحيـاة آمنـة مستقـرة بين الأهل والأصدقاء ، وانمـا كان لهـدف محـدد هو أن **نخـرج من السجن الى ساحة القتال مباشرة** ٠ وكنـا على استعداد للعودة الى **السجن** مـرة أخـرى اذا لم ننـل شرف **الاستشهاد** فى ميـدان القتـال ، اذا ما اشترط الحكام ذلك ! كـان موقفنـا يا حبيبتى صادقا كل الصـدق ، غايته محددة ووسيلته جـزء مـن هـذه الغـايـة ، فالوسيلة عند الثوريين ليست مبررا لهـا ، كمـا يفعـل الانتهازيـون والوصوليون ٠ ان كانت غايتك شريفـة فيجب أن تـكون وسيلتك الـى هذه الغـاية شريفة حتى ولو كـان ثمنهـا **المـوت** ٠

هذه المعـانى كانت محـور حديثنـا مع **مامور السجن** بعـد انتهـاء المـدة المتفق عليهـا كى نعلن تمـردنا ونخرج **من باب السجن** اذا لم يفـرج عنـا وبالتالـى نتعرض **للرصاص** ، فـال :

ـ أقترح أن تنتظروا لبعض الوقت ولا تقلقـوا ٠٠

ـ سننتظر طويلا ٠٠ ربما حتى انتهـاء مـدة **عقوبة السجن** وربمـا سـنوات أخرى **بعـدها** ٠٠

قـال بدهشـة :

ـ وموقفكم السـابق ٠٠ هل عدلتم عنـه ؟

ـ لـم يعـد لـه ما يبـرره ٠٠ **والغيناه** ٠

ـ هل يمكن أن أعـرف السبب ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ **ليس خوفـا أو جبنـا** ٠
ـ **لم يبدر هذا بخاطـرى** ٠٠
ـ وانما لأن الظروف قـد تغيرت بعد وقف **القتـال** ٠
ـ ظننت انكم وجدتم فيهـا فرصـة للضغط ٠٠
ـ عفـوا ٠٠ وبعض الظن أثـم ٠
ـ ربمـا لأنى لا أفهم **العلاقـة** بين موقفكم الحـالى وبين وقف القتـال ٠
ـ كانت غايتنـا أن نخرج من هنـا الى ميـدان القتال مباشرة ، ويعود الى السجن من بقى **حيـا** منـا ، اذا اشترط ذلك الحكـام !

دقـات نـداء العشـاء تدعونا ، ويقبل المأمور والضباط دعوتنـا لتنـاول الطعام معنـا ٠ ويستمر التواصل الانسانى بين المسجونين ورجال **ادارة السجن** ، أثنـاء تنـاول العشاء ، وخلال **الحفلة الساهرة** ، التى أحيـاها الزمـلاء لمناسبة وقف القتـال ٠

كانت هذه أول حفلة نقيمها منـذ بـدأ العـدوان على بلادنا ٠

وبعـد انتهاء الحفله وقبل أن ينصرف المأمور ، عائـدا الى منزله يقـول :

ـ كل يوم اكتشف فيكم جديـدا
ـ نرجو ان يكـون محل تقديركم
ـ كل التقـدير
ـ وما آخـر جديد اكتشفتـه ؟
ـ قدرتكم على العطـاء كبيرة
ـ ولكنهم يحبسونها هنـا فى قلب الصحراء ٠
ـ ورغم ذلك فعطاؤكم لا يتوقف ٠٠ حتى فى **الصحراء** !

كـان المأمور يشير الى نشاطنا الثقافى والتعليمى فى **سجن « جنـاح « بالواحات الخارجة** ٠ كمـا قلت لك يا حبيبتى فى رسـالة سابقة ، انفـا وصلنا الواحات ولم نكن بهـا الامكانيات التى تسمح بالحد الأدنى للحياة ٠ وكان أول ما قمنـا بـه هو توصيل المبـاه الى السجن ، واعـداد مطبـخ لطهى الطعـام ، ومخبز لخبز العيش ، ومستشفى ٠ بعـد ذلك قمنـا باعداد « **كانتينـا** » نتنـاول فيهـا وجبات الطعام ٠ ونستخدمها فـى القـاء المحاضرات ، كمـا كنـا نستخدمها كمدرسة ٠ أكثـر من ٢٠ **مسجونا** مـن المسجونين العاديين الذين جاءوا معنا كانوا أميين ، تعلموا القراءة والكتابة وبعضهم درس حتى الاعـدادية ، وبعضهم حتى الثانوية العامة ٠ واثنـان التحقـا بالجامعة ، وأكثـر من ١٠ سجانة واصلوا دراستهم ومنهـم مـن **التحق بالجامعـة** ٠ فى نفس الوقت فتحنـا فصـول دراسية للزملاء الـذين لم يتموا تعليمهم ، وفصول للغـات المختلفة ، والرياضة ، والرسم ٠

كثير من الزملاء تعلم الرسم على يـد **وليـم اسحق وسعيد عبد الوهاب** وكـان « **ملك الصحراء** » خيمة خاصة يستخدمها كمرسم بعـد أن قـام هو بنفسـه بصنع الحامل والبراويز التى يشـد عليهـا القماش ٠ ان عـدد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اللوحات التى رسمها ولدم اسحق للزملاء . وللزوار من أهالينا ، وللسجانة والضباط نكفى لأكثر من ثلاثة **معارض كبيرة** . كان أملا « لملك الصحراء » بعد أن توقف عن الرسم ما يقرب من أربع سنوات ، أن يرسم . وتكاتفه الزملاء جميعا كى يحققوا له هذا الأمل ، بمساعدة المأمور والضباط والاصدقاء توفر له كل ما يلزمه من مماس وألوان زيت وجواش وورق وخلافه .

ما زالت صوره وليم فى ذاكرتى حين وصله أول طرد به القماش والألوان والفرش . احتضنهم بحب وأخذ يجرى فى انحاء السجن يصيح :

ـ راح ابتدى ارسم تانى .. أنا ملك .. أنا ملك .

ـ ملك أيه ياوليم .. ما خلاص مفيش ملوك ..

ـ لأ فيه .. أنا ملك .. أنا ملك الصحراء

ـ لكن أنت ما تنفعش ملك يا وليم .

ـ مش الملك يملك ..

ـ وبيقولوا أنه لا يحكم

ـ أنا أملك الآن ما استطيع أن أعبر به بالفن

ـ تبقى ملك الفن ..

ـ لأ .. ملك الصحراء .. لأن فى هذه الصحراء الجرداء راح أخلق فيها فن .

ـ يعنى مش راح تحكم

ـ لأ .. سايب لكم الحكم ..

ويكمل ضاحكا ..

ـ فى المشمش طبعا !

أذكر أنه ظل يعمل طوال النهار فى صنع الحامل وبعض البراويز الخشب ليشد عليها قماش الرسم . وظل طول الليل يصنع كرسى خاص ليجلس عليه أثناء الرسم وبعد « الطبيعة الصامتة » التى سيرسمها فى الصباح، كنت معه كل تلك الساعات أقوم بعمل صبى النجار حينا ، وصبى الفنان حينا آخر ، وبين الحدن والآخر نعمل قهوة « بن غامق » . !

ـ يا درش البن ده قشطه اليمن طول عمرى أشتريه من الراجل الخواجة اليونانى فى شارع شبرا ، عارفه ؟

ـ مش واخد بالى يا ملك ..

ـ يا أخى اللى جنب المحلة « محلة شبرا » المشهورة ..

ـ أيوه .. أبوه .. افتكرت .. لكن يعنى لازم البن ده ؟

ـ مش ممكن أشرب الا « قشطة اليمن » .

وكان يرفض باستمرار أن يقوم أحد بعمل القهوة .

ـ أصل عمل القهوة فن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- طيب أولع لك الوابور .
- وابور أيه بس .. هيه برضه القهوة تنعمل على وابور
- أمال تتعمل على أبه ؟
- على نار هادية جدا

ويقوم بعمل كومة صغيرة من الرمل ، ويضع عليها قطعا من غصون الاشجار الجافة بعد أن يقطعها قطعا صغيره . ثم يشعل فيها النار ويتركها حتى تتحول الى جمرات :

- طبب أحط الميه والبن والسكر ..
- أيه هوه .. كده مره واحدة .

يأتى بالكنكة ويبدأ بوضع البن ، ثم السكر ، ثم الميه .

- ولازم بهذا الترتيب ..
- طبعا .. دى بقى اسمها كيمياء .. ملعقة صغيرة من البن لكل فنجان و ½ ملعقة صغيرة من السكر ، ثم تضع الميه ، ودى برضه بالمقاس . المية تبقى أقل شوية من سعة الفنجان .
- وبعدين نقلب بالملعقة ..
- شوية قبل وضعها على النار .. وبعدين أثناء وضعها على النار الهادية .
- ونقعد قد أبه بقى على نارك الهادية دى ؟
- أنا برضه نارى هادية يا درش .. ؟
- مس فصدى ..
- ده أنا مولع من جوه ..
- نار القهوة « الهادية » دى عاوزه ييجى ساعة علشان تغلى .
- وماله مش لازم السائل تنضج ..
- طبعا .. بس مش على الهادى قوى كده ..
- بالضبط .. يعنى على النار المناسبة .
- وانت متأكد ان هيه دى النار المناسبة ؟
- التجربة الذاتية .. فضلا عن تجربة الملايين تؤكد هذا ..
- طب الذانية وفهمناها .. ايضا حكاية الملايين دى تبقى أيه ؟
- ملايين الفلاحين يا درش .. القهوة .. والتتن .. والأكل .. كله على النار الهادية دى !
- معاك حق .. اقتنعت .

نشرب القهوة .. هات الفنجان البنى .. يدى للقهوة طعم .

- آهى دى بقى مش فاهمها .
- أولا . أنا أحب اللون البنى ، لانه لون مصرى أصيل . وثانيا : القهوة البنى ، أغمق من الفنجان ، ودرجتى اللون تريحنى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ حبيبى .. انسان وفنان .

ـ أنه ده .. اكتشاف جديد .

ـ أبدا .. انما تأكيد لحقيقة ..

من يملك تكوينا انسانيا حقيقيا لا يملك فقط القدرة على التعامل الانسانى مع البشر ، وانما على التعامل أيضا مع الأشياء - ويبدأ « ملك الصحراء » فى اعداد ماده اللوحة التى سيقوم برسمها فى الصباح « **حنظل** » جمعه من الصحراء ، و (**دوم**) كان قد أوصى أحد السجانة بشرائه من « جناح » زهور عباد الشمس وبعض الورود ، وبعض فروع شجر الخروع . يضعها بطريقة ثم يتأملها من بعيد ، ويعود الى ترتيبها مرة ثانية بطريقة أخرى .. وثالثة ورابعة .. و . و .. وأروح فى نوم عميق . وفى الصباح الباكر أرى وليم وقد جلس أمام الحامل والفرشاة فى يده . وعلى اللوحة خطوطا وألوانا . جلست أتأمل هذا المشهد الانسانى . ما الذى يجرى داخل هذا الفنان وهو يمسك بفرشاته لأول مرة منذ أربع سنوات ، منذ انتزعوها منه ؟ ما الذى سيخرج من أعماق هذا الفنان ، بعد كل ما لاقاه فى **سجون مصر** ، **وأبى زعبل** **وليمان طره** ، **والواحات** طوال أربع سنوات ؟ ما الذى يريد أن يقوله ، حين وضع « الحنظل » المر و « الدوم » الشديد الجفاف ، مع زهور عباد الشمس ، والورود التى زرعناها هنا فى الصحراء ؟

تجرى يده بسرعة على اللوحة ، خطوط . ألوان ، أتأمل اللوحة تارة ، وتارة أخرى اتأمل ما يجرى على وجه هذا الفنان من انفعالات . وفجأة ـ رأيت على وجهه ما لم أره أبدا من قبل خلال **سنوات السجن** . هل يمكنك يا حبيبتى تصور تعبيرات وجه أم وهى ترى طفلها يذبح أمامها ، وهى لا تستطيع انقاذه ؟ بالهول ما رأيته على وجه الفنان الصادق الذى يريد أن يعبر عما فى داخله ولا يستطيع . كان يقف على حافة السكين بكل كيانه ووجدانه ، ويرفض الهزيمة . وظل صراعه العنيف ضد احساسه بالهزيمة أكثر من ساعة . القى بالفرشاة وخشبة الألوان جانبا ، والتفت الى وعلى وجهه ابتسامة تحد :

ـ مش هو ده اللى أنا عاوز أقوله .

وأنظر الى اللوحة بالوانها الجميلة وأقول مشجعا :

ـ مش من أول مرة يا وليم .

ويخرج من أعماقه تنهيده طويلة ويقول :

ـ ودى أول مرة ارسم فيها يا درش ؟

ـ قصدى بعنى منذ أربع سنوات .

ـ طيب وانت أيه رأيك فى اللوحة دى ؟

ـ المهم رأيك أنت الأول .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ لو شفت اللوحـة دى فى معرض تلفت نظرك ؟

ـ ما كنت عارف ياوليـم أنا معلوماتى فى الفن التشكيلى لاتزيـد عـن معلوماتى عن اللغـة الهيروغلوفية ٠

ويمسك بحجر ويلفى به ويخرق اللوحة ويمزق القماش ، ثم يقول :

ـ ما تعمل لنا فنجان قهوة ٠

ـ وأقـول ما زحـا :

ـ هو انا برضه أعرف أعمل قهوة ٠

ويبتسـم ابتسامة باهتـه :

ـ زى بعضـه أعملها بقى بطريقة « المثقفين » ٠

بقـدر صـدق الانسان مع نفسـه بقـدر ما يكون احساسه بالهزيمـة كبيـرا ٠ وحين ينتصر على الهزيمة فى نفسه يصبح كالطفل فى طهـارته وبراءته وتلقائيته ، حقبقة جسدها لى وليـم اسحق الفنـان ، حين ظـل لمدة شهر كامل ، رسـم خلاله أكثـر من عشر لوحيات وبمزقهـا ٠ وفى كل مـرة كان يعانى آلاما تفـوق طاقـة البشر ، حتى أننـا دون أن يشعر ـ فهو يرفض بشراسـة أى مجاملة أو عطف ـ كلفنـا الزمـلاء الذين يتجـاوب معهم انسانيا ، بألا يتركـوه وحـده أبـدا وكنت أنـا الازمـه طـول الوقت فيمـا عـدا الأوقات التى أكون مشغولا فيهـا ٠ وكثيـرا مـا كـان بعض الزملاء يقومون بعمل « النوبتجيـة » بدلا منى حتى لا أترك وليـم ٠

وذات يـوم لازمتـه منـذ الصباح وهو يكمل لوحة كان قـد بدأهـا ٠ وكنت وأنا أتأمله أحس من تعبيرات وجهه بأنه سـوف ينتصر على الهزيمة التى ظل يعـانى منهـا طوال شهر كامل ٠ فى الحقائق الأخيرة كان يضـع اللمسـات الأخيرة على اللوحة ، وابتسامة هادئة تكسـو وجهـه ، ووضع الفرشاة جانبـا وقـال :

ـ نعمل بقى فنجان قهوة ٠

ـ بطريقة **الفلاحين والا المثقفين ؟**

يضحك من اعماقه ويقـول :

ـ لا ٠٠ بطـريقة **الفلاحين** طبعـا ٠

وجلس يتأمل اللوحة ، وقـد استغرقه عالمـه الخاص ٠ وجلست الـى جانبه اتأمل اللوحة ، لكن شيئا آخـر لم يستغرقنى سوى فرحى وسعادتى بانسان احبـه انتصر على الهزيمة بعـد ان عانى منهـا طويلا ٠ بعـد أن رشف بلذة كبيـرة رشفة قهوة مصنوعة من بن « قشطة اليمن » سألنى :

ـ أيه رأيك بقى يا درش ؟

قلت مازحـا :

ـ فى اللوحـة والا فى القهوة ؟

ويبادلنى المزاح :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ فى المهوة طبعـا ٠
ـ لا ٠٠ دى قهوة مسفمين ٠
ـ طيب وفى اللوحـة ؟
ـ فيهـا ما نريـد أن نقوله ٠
ـ لكن رأيك انت أيـه ؟
ـ ما نقوله رائع وعظـيم ٠
ـ بلسانى أم بفرسانى ٠
ـ وهل يمكن الفصل ؟
ـ كثيرون يفعلون ذلك ٠
ـ ليسوا فنانين ٠ هم آفاقون ٠
ـ لكنهم فى الصورة ٠
ـ مزيفون داخل اطار صورة مشوهه ٠

ويستمر حوارنا منصـلا ، نتحدث ، ونشرب قهوة بطريقـة الفلاحين ، ونسمع موسيقى دسهومن وناخ وشوبان ، وننأمل الصوره ، ونمشى وسـط الصحراء خارج الخيمة ثـم نعـود اليهـا ، ونعـاود التأمل فى الصـورة ، وتمتزج أسـعه الفجـر ، مـع صـوت الموسيقى مع حوارنـا الانسانـى ، مع نظراتنا الخاطفـه الى اللوحـة ، ونعيش لحظـات فى عـالم خاص ، وننمنى أن يكـون هذا هو عالم الناس كلهـا ٠

ـ فجـر يـوم جديد ٠
ـ هو آت لاريب فيـه ٠
ـ أحلم أن يكون كمـا أراه فى هذه الحظـة ٠

وأفيق من حلمى على صوت ينـادى على :

ـ يا زميل منتظرينك فى «**الفرن**»

كنت أذهب الى « الفرن » ثلاث مرات فى الأسبوع مع طلوع الفجر ، كى أقوم بعملى هناك ، وكان تخصصـى « **فـرد عجينة الخبز بالنشابة** » ٠ وعن نظـام العمل فى الفرن ، والمطبخ ، والمنشآت الأخرى ، سأحكى لك عنهـا فـى رسالتى القادمة يا حبيبتـى ٠

٢٤ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة (٣٦)

حبيبتـــى

قبل أن أدخل السجن قـرأت وكتبت كثيرا عن الكادحين وعرمهم وآلامهم ، غير انى لـم أحس بهم تماما الا عندما اصبحت **كادحـا** ما يعـــرب مـــن ثلاث سنوات فى سجن « **جناح** » **بالواحات الخارجية** ٠

منـذ اللحظة الأولى التى وصلنـا فيهـا الصحراء ، لم يكن أمامنـا كـى نعيش سـوى أن نتحول الى كادحين حقيقين ، نأكل من عرقنـا وكدحنـا ٠ كنـا ثلاثين كادحـا فقط حين وصلنا الى **أرض الصحراء** الجرداء من كـل مقومات الحياة الضرورية ٠ وفرضت هذه الظروف القاسية أن يقـوم كـل واحـد منـا بعمل يومى عـام فى المعسـكر ، وعمل آخـر خاص فى خيمـة السكن ٠ فى نفس الوقت خلق تخصص فى الأعمـال العـامة ، خبـازين ، وطباخين ، وممرضين ، ونجارين ، وحدادين ، وفلاحين ، وأخترت أن أكون خبازا وكـان تخصصى «فـرد » رغيف العيش وهو عجينـة « بالنشابه » ٠ والعمل فى الفـرن يبـدأ مع **غـروب** شمس كل يـوم حتى **ظهـر** اليـوم التـالى ٠ المتخصصون فى العجن واللت يذهبون مع غروب الشمس يمزجون الدقيق بالماء والخميرة والملح ، ثم يعجنون ويلتون حتى يصـبح للعجينة « **عـرق** » ، فيغطونهـا باجولة من الخيش ، ويشترط فى هؤلاء الكـادحين أن تكـون صحتهم جيـدة ، وعضلاتهم قـويه ، وأجسامهم طويلة ٠ وقبـل الفجـر بقليل يذهب الى الفـرن متخصص آخـر ، يمسك بطـرف **أصابعه** قطعة من العجين ليـرى قـوة « العـرق » فيهـا ، ثـم يذوقها بلســـانه ليتأكـد من « **حدقهـا** » ٠ اذا وجـد كل شىء على ما يرام نادى على فـريق العمل ويقسم الى اثنين يقف كل منهما على « **عين** » الفـــرن ، واثنين يضعان الخشب والحطب تحت « **صاجة** » الفـرن ويراقبان اشتعال النـار ، كلما خمد لهيبها يعطـــونها المزيـــد من الحطب ، واثنين يقفـــان على « **ماجـور** » العجين ويشترط فيهمـا أن تكـون عضلاتهما قـوية ، حيث مهمتهما أن يخرجا مـن « الماجور » كمـة مـن العجين لا يقـل وزنهـا عن **١٥ كيلو** ، ويضعاها على « الطاولة » حيث يتلقاهـا اثنـان آخـران أحدهمـا يقطع بيـده هذه الكومة الكبيرة الى قطع صغيرة ، يزنهـا الثانى ، ثم يدفع بهـا الى أربعـة من حاملى « النشـاب » الذين عليهم أن « يفـردوا » القطع الصغيرة « المكورة » من العجين الى ما يشبه العيش « الاسكندرانى » الرقيق والمنفوخ ٠ وطبعـا هنـاك فـرق بين النوعين وهو أحد الفروق التى لاحصر

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لها بين المبشة والرغيف . وبعد فرد قطع العجين لتأخذ شكل الرغيف تحملها بمهارة من بضعها على « **الكريك** » لتجمعها آخر الى عين الفرن . وبعد خبز العجين والتأكد من أنه « استوى » يستقبل العيش المخبوز وهو سخن « ملهلب » ثلاثة آخرون فى يد كل منهم سفنجه مبلوله بالماء يمسح بها بسرعة « **وجه** » الرغيف حتى « **يلمع** » . وبقوم آخرون برص الخبز على ألواح من الحريد ، ثم يقوم الموزعون بتوزيع الخبز على « الخيام » . كل خيمه حسب عدد افرادها ، ولكل فرد ثلاثة أرغفة فى اليوم ، مع وجود استثناءات للبعض الذين لا تكفيهم ثلاثة أرغفة فقط ، مثل محمود زينهم من الأخوان المسلمين وهو بطل مصارعة حرة .

فى أيام الشتاء خاصة ، كنت أخرج فى الفجر من تحت أربع بطاطين الى **برد الصحراء القارص** ، وأسير فى الخلاء حوالى **٢ كيلو متر** حتى أصل الى **الفرن** . وقبل خروجى البس ملابس داخلية « كستور » ثم بدلة السجن « العبك » وبلوفر « صوف » وفوق كل هذا التفح **ببطانيتين**. وفى كل مرة كنت أحس أنى قمت بعمل التحصينات اللازمة ضد البرد ، كان « **سرسوبا** » أو « **سرسوبين** » أو عدد من « **السراسيب** » **تخترق** جلدى ، ولحمى لتستقر فى عظامى باردة **كالثلج** ! . وكنت أجرى بسرعة الى حيث **الدفء** فى الفرن ، وعند عودتى من العمل فى عز الظهر والشمس عمودية على رأسى مباشرة كنت أضع بطانية عليها حتى لا أصاب **بضربة شمس** ، وأحمل البطانية الأخرى والبلوفر الصوف . وبداخلها ٣ أرغفة عيش « سخنين » و « نقاوة » ، وكانت هذه الأرغفة الثلاثة علاوة استثنائية لكل العاملين فى الفرن الذين يبدأ عملهم فى الفجر فقط .

وفى أيام الصيف يبدأ الجو الرطب بعد منتصف الليل حتى بعد الفجر بقليل ، ومع أشعة الشمس الأولى يبدأ الجو فى السخونة التى تمتصها الواح الصاج فوق رؤسنا فى **الفرن** ، ترسلها الى اجسامنا بلا رحمة ، وكلما زادت حرارة الشمس ، كلما ازدادت كميات العرق التى تخرج من أجسامنا . ولا يأتى الظهر الا وتكون أجسامنا عارية تماما ، الا من « الشورت » طبعا !

ودون مبالغة ، كان « **خبزنا** » أفضل من « **خبز** » القاهرة ، ولا يقل جودة عن « خبز » الاسكندرية ، وهذه شهادة **أمور السجن وضباطه** الذين كفوا عن أكل « خبز » جناح وكانوا يأكلون من « خبزنا » ! وشهد الاهالى الذين حضروا البنا فى زيارات ما شهدت به ادارة السجن . وكنا نعطى لكل زائر ٣ أرغفة يأخذها معه عند عودته ، بالاضافة الى ما كان يأكله خلال الزيارة التى كانت تستمر يومين متتاليين .

ودون مبالغة - مرة ثانية - تمكنا من صنع كحك العيد وبسكويت وغريبة بمناسبة الأعياد . كما صنعنا « جاتوه » و « تورته » فى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المناسبات المختلفة خاصه فى اعياد ميلاد الزملاء • لكن ذلك لم يحدث الا بعد فترة أدخلنا خلالها التحسينات الضرورية • فقد بدأنا « **بتكنولوجيا** » **محلية** • ثم استوردنا تكنولوجيا **مناسبة للبيئة** • فمثلا بدأنا « تحميه » الفرن بنيران الحطب ، وانتهينا الى استخدام « **السولار** » • كذلك المطبخ بعد أن كنا نطبخ على « الكانون » ، وفى صفائح ، أصبحنا نطبخ فى « حلل » كبيرة وعلى « بوابر » كبيره تستعمل بالسولار ، كتلك التى نراها فى المطاعم الشعبيه وعند « **بتوع الطعمية** » • وكثيرا ما كان يدور نقاش طريف بين المتمسكين بالقديم ويرون ان الأساليب البدائية تعطى « نكهة » « خاصة » « للطبيخ » وللخبز • وبين المتحمسين بالجديد وأساليبه الحديثة التى توفر الجهد والوقت • وكان انصار القديم يضعون الجهد الاكثر نظير الطعم الألذ والأفضل • ويرد عليهم دعاة الجديد بأن الجهد الأقل نظير الوقت الأطول للثقافة والتزود بالمعرفة ، وخلال المناقشة يطرح أحد الخبثاء سؤالا • أيهما أكثر متعه • الطعام اللذيذ ، أو قراءة كتاب ، أو سماع قطعه موسيقية • والطريف ان بعض الزملاء وقعوا فى « حيرة » السؤال الخبيث فراحوا يتبارون

ـ أنا شخصيا أفضل قراءة كتاب عن أكلة دسمة •

ـ أمال عامل زى عجايز الفرح ليه مش عاجبك الأكل ؟

ـ أنا لم أنقد الأكل الا فى الأيام الأخيره •

ـ يعنى بعد استيراد « التكنولوجيا » •

ويضحك الجميع ويصفقون مهللين ••

ـ تبقى من أنصار القديم ••

ويدرك « المطب » الذى استدرج اليه ويشاركهم الضحك والتصفيق •

والحقيقة أن ادخال التحسينات باستمرار على المنشآت العامة فى السجن وفر لنا كثيرا من الجهد والوقت • وساعد ذلك على زيادة نشاطنا الثقافى والفكرى والفنى •

فقد استطعنا تنظيم وقتنا بصورة دقيقة ساعدت الجميع على التحصيل الفكرى والثقافى بشكل كبير • فقد كتب المرحوم « خليل قاسم » روايته الشهيرة « **الشمندورة** » وكتب صلاح حافظ مسرحية « **الخبر** » وكتب مجدى فهمى كتابا عن « **التفسير المادى للتاريخ** » وترجم حلمى **طوسون** « مبادىء الفلسفة » وشريف حتاتة « مبادىء الاقتصاد السياسى ومعظم أشعار فؤاد حداد وزكى مراد وكمال عمار كتبت خلال فترة سجن جناح ، وتعلم عدد من الزملاء لغات جديدة ، انجليزية ، وفرنسية ، وروسية ، هذا الى جانب النشاط المسرحى فقد قدمت مسرحيات من تأليف صلاح حافظ ورؤوف نظمى وعبد المنعم سعودى •

هكذا بدأنا من الصفر ببدائيات بدو الصحراء الى امكانيات تقرب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

من مثيلاتها في المدينة . وأقمنا على أرض الصحراء القاحلة نوادى سياسيه وثقافيه ومرسم ومسرح . ونحولنا نحن من كادحين في بلاد شديدة التخلف يعملون أكثر من ١٨ ساعة في اليوم . الى كادحين في بلاد متقدمة يعملون ٧ ساعات في اليوم ! لقد تمكنا من تحويل هذه البقعه من **الصحراء** الجرداء الى **أرض تنبض بالحياة** ، ومجتمع صغير نسوده المساواة التامه . لكل فرد فيه حقوق وعليه واجبات ، الجميع يعمل عملا يدويا لا فرق بين رمدل وآخر . وكل ما نصل الزملاء من نقود وطرود **لصالح الجميع** فيما عدا استثناءات قليله كحوافز مادية . وشهد كل من زار هذا المجتمع من الاخوان المؤيدين والمسجونين العادين والضباط والجنود بمناليته من حيث العلاقات الاجتماعية السائدة ، والمساواة المطلقة في الحقوق والواجبات ، وتوفير أفضل الظروف للتزود بالمعرفة والثقافة .

ومثلما كنت أحس بالكادحين قبل دخولى السجن بشكل نظرى ، كذلك كان تصورى للمجتمع الاستراكى وشعاره « من لايعمل لايأكل » مجرد تصور نظرى . وحين طبقنا هذا الشعار في تلك **الأرض الجرداء** أصبح هذا التصور حقيقة . لقد دلت تجربتنا خلال السنوات الثلاث التى قضيناها في **سجن « جناح »** ، على أن تخطيط أقل الامكانيات القائم على وحدة الفكر والعمل هو الطريق الوحيد لبناء مجتمع المساواة في الحقوق والواجبات للجميع . واذا كان الانسان هو آداة خطة البناء وهدفها لبناء مجتمع متقدم ، فقد نجحنا أيضا في تحويل هذه المقولة الى حقيقة . ففى ظل أصعب الظروف لم نتوقف لحظة واحدة عن تثقيف أنفسنا . وكما قال لنا يوما أحد الضباط الاصدقاء أن تسود هذه الروح بين عاملين أحرار وفى مجتمع حر ، أمر يستحق التقدير اما أن ينجح **مسجونون** في ظروف بالغة الصعوبة ، ولا يعرفون متى يخرجون للحرية **فهو أسطورة** ..

ذات يوم من أيام سجن جناح ، دار حوار طريف بين عدد من الزملاء بدأ بنكتة من أحد الزملاء العمال :

— أنا شخصيا مبسوط جدا هنا .

وتلقى النكتة زميل عامل آخر

— نعمة يحفظها من الزوال .

باستنكار يقول زميل مثقف :

— مبسوط أيه .. ونعمة أيه .. يا زملاء .. الحرية هى كل شيء .

— ليس بالحرية وحدها يحيا الانسان .

ويرد المثقف :

— دى نظرة ضيقة الأفق .

— ليه بقى ؟

— أن تفضل الأكل على الحرية .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويضحك زميل ثالث من العمال :

– وقع فى « المطب » ·· وهل هنـاك تناقض بين الاكل والحـريه ؟

– أصل لـه مفهومه الخاص عن الحـريه ·

ويغضب الزميل المثقف ··

– أفهم من كـده أنكوا تفضلوا **السجن** ، عنـا ، عن الحرية ·

ويقول الزميل الأول الذى بـدأ الحوار بنكته

– ببساطة ·· نتمنى الخروج من السجن ·· ونرجو أن نوفر لنا فى ببوتنـا ما نأكله هنـا ··

وتبـدو « الدهشـة » على وجه الزميل المثقف :

– للدرجة دى ؟

– وأكثـر يا زميل !

– ازاى ؟

ويصيح الزملاء العمـال :

– لا بقى ·· ده مش معقـول ·

ويدرك الزميل المثقف – متأخرا – أنه **نسى** ما عرفه وسمعه عن حيـاة العمال والكادحين ·

هذا الحوار يا حبيبتـى لـم يحدث بالطبـع ، وانما هو صـورة فنية أردت بهـا أن أجسـد لك حقيقـة عـاريه ، انفصـام بين الفكـر والممارسـة · كثيرون من أبنـاء الطبقـات المتوسطة التى حملوا الفكر التقدمى لـم يستطيعوا حـل التناقض بين **ما يحملونـه من فـكر ، وبيـن ممارستهم للحيـاة** ، لسبب محـدد هو أنهم ذاتيون · وسبب عجزهم فى مجـال الحديث عن الاضرار التى أصابت الحركه الثوريـة حين توخى **بعضهم** مراكز قياديـة ، وانما أريـد أن أصـور لك سلوكهم فى سجـن « **جـناح** » فى نظـام حياتنـا وكيف استطعنـا من خلال اعـادة تنظيمهم ، أن نحولهم الى المجتمع النموذجـى الذى كتبت لك عنـه فى هذه الرسـالة · لقـد كانوا خارج السجن « **يشتركـون فى المعـركة مع الحـكم الوطنـى** » أثنـاء العدوان الثلاثـى وبعده بشهور · وألغـى القبض عليهم · وصـدرت أحـكام ضد بعضهم ، وافرج عن البعض الآخـر لبراءتـه ، ثم ارسلوا بهم جميعـا فى **الواحـات** فى أوائـل **عـام ١٩٥٧** · وكان أول من شارك معهم فى نظـام « الحياة العامة » عندنـا والذى يقوم على أساس ما يسمى « **تصالح الجميـع** » مع اسـتثناءات قليلـة جـدا · لقـد كانوا أن يتمرغوا تحت أقدام العائلـة العظيمة التى استطعنـا أن نغرسـها فى نفوس الرجال المسـجونين القدامى – **منذ عـام ١٩٥٢** – لكننا عالجنـا الأمـر بمرونـة وحكمـة واستطعنـا أن نحمى مجتمعنـا النموذجـى وسوف تكون رسالتـى المقبلة عن هذا الموضوع يا حبيبتـى ·

٢٥ يوليو ١٩٧٧

القاهـرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة (٣٧)

حبيبتى

مع كل دفيفه تمر منذ التقيت بك يزداد يقينى بلحظة الصدق التى أعيشها ، وبزداد اصرارى على التمسك بها حتى آخر دقيقة من عمرى • ربما لا نجد واحد من زملاء السيرة ما يغضبه فى رسائلى السابقة ، لكنى أرجح أن هناك من سيجد فى رسائلى المقبلة ، ما سوف يغضبه • وربما يلفى فى وجهى بعدد من الاتهامات ، لكنها لن تصل بأى حال الى تلك التى الصقوها بعدد من الثوريين • ومتى ؟ فى **ديسمبر عام ١٩٥٦** • وكان المدانون وبعض الذين أدانوهم صدرت ضدهم **أحكام بالسجن والأشغال الشاقة** • على أن هذا ومثله ليس مجال حديثى فى هذه الرسائل ، وسيكون لها مكان آخر • وحديثى هنا ينصب فى الأساس على نموذج من السلوكيات الشخصية داخل السجن حيث يكون الانسان **عاريا** تماما لا يستطيع ستر عورة من عوراته ، تحت أى قناع أو ستار • لقد دلت تجربتى الخاصة على أن السلوك الشخصى هو محك صدق الثورى • فالثوريون يا ابنة الستينات من **طينة خاصة** • وبقدر ما يكون التكوين الانسانى للثائر سويا ، بقدر ما ينبت الفكر ، وينمو ويزدهر ، ثم يجنى ثمارا يانعة له وللآخرين • وفى قاع النفس اللا انسانية تضيع كل جرعات الفكر التقدمى الانسانى ، اذا وصلته ، أو تقف عند مخه التى لا يرسلها الا الى لسانه فقط ، ليلوكها فى حديث **مبهر** ، أو مقال **رشيق** يحتوى على « **بهارات** » نورية جدا ! • واليك تجربتنا معهم فى نظام الحياة العامة :

منذ بدأ تواجدنا فى السجون بالعشرات منذ **الخمسينات** ونحن نطبق نظاما للحياة العامة يقوم على أساس **مصادرة** كل الامكانيات التى ترد الينا واعادة **توزيعها** على الجميع يتساوى فى ذلك من تصله امكانيات مهما بلغت قيمتها ، ومن لا يصله **شىء** على الاطلاق • طبقنا هذا النظام فى **سجن مصر وفى أبى زعبل وفى ليمان طره وفى سجن « جناح » بالواحات** • وخلال تلك السنوات ـ **٥٢ الى ٥٧** ـ لم يثر أصحاب الامكانيات ـ على قلتهم ـ أقل معارضة لهذا النظام وبلغت حماستهم له انهم كانوا يعملون باستمرار على مضاعفة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

امكانياتهم كلما أشرفنا على الافلاس الذى يهددنا بأن نعيش على ما يقدمه لنا **السجن** فقط وهو دون **الكفاف** .

وكانت المفاجأة فى **أوائل عام ١٩٥٧** حين وصل الينا من **سجن القناطر الخيرية** عدد من أصحاب الامكانيات ومعهم عدد من المعتقلين ويحملون معهم نظاما للحياة العامة يقوم على أساس مصادرة ٥٠ ٪ فقط من الامكانيات لصالح الجميع ، والـ ٥٠٪ الباقية لصالح **أصحاب الامكانيات** .

ويدور نقاش بين الزملاء القادمين من سجن القناطر الخيرية وبين مسئول الحياة العامة فى سجن « جناح » بالواحات الخارجة ويتوقف حتى اتخاذ قرار .

وجائنى مسئول الحياة العامة ، فقد كنت فى ذلك الوقت املك اتخاذ القرار ، قال :

- اليك استقالتى .
- وهل املك قبولها ؟
- ولماذا لا تملك ؟
- انت منتخب ولست معينا .
- أقدمها للجمعية العمومية .
- ربما أمكن علاج الموقف .
- لا أظن .
- كيف ؟ انهم زملاء . . !
- أشك فى ذلك .
- كلامك خطير .
- وأتحمل مسئوليته .
- الى هذا الحد ؟
- وأكثر
- انتظر . . سنرى كيف نعالج الموقف .

وابدأ نقاشا مع الزملاء :

- المسألة فى غاية الحساسية وأرجو أن توافقوا على نظامنا . .
- وهل تصادر الامكانيات خارج السجن لصالح كل الزملاء ؟
- أفضل أن نرتفع بمستوى المناقشة .
- لكنك لم تجب على السؤال ؟
- ما زلت أحترم ذكاءكم . . أنتم تفهمون ما أعنيه .
- أليس لكل انسان احتياجاته الخاصة . ؟
- بالتأكيد . . ولكن زيدونى ايضاحا .
- المريض الذى يحتاج الى طعام معين .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- يوفره له نظامنا سواء كان من ذوى الامكانيات أو من عديمها ٠
- المدخن الذى يشرب ٤٠ سيجاره فى اليوم مثلا ٠
- ربما نجد ظروف لا يجد فيها سيجارة واحده ٠
- وفنئذ تكون المسألة مفروضه ٠
- أليس من الأفضل أن يكون الأمر بارادتكم ؟

كان **مجدى فهمى وسعد باسيلى** بسارغانى فى هذا الحوار ، تداولنا فى الأمر مره أخرى واتفقنا على نقل حوارنا معهم الى كل الزملاء ، وهو يتضمن ادانة لموقفهم ، فى ذات الوقت يتضمن اصرارا على نظامنا للحياة العامه والذى ارتضيناه ما يقرب من**خمس سنوات** ٠ فى ذات الوقت يفرح نظاما آخر مرنا جوهره المصادرة ولكن مع استثناء بعض **الأشياء** والتنازل عن ١٥٪ من قيمة ما يرد اذا زادت القيمة عن ٥ جنيهات ولن يرغب ٠ وكان من المستحيل أن نتجاهل انانية من يملكون الامكانيات والتى يمكن أن تدفعهم بعد تغليفها « **بموقف مبدئى** » الى تقليل ما يقدمونه أو حتى الى الامتناع عن تقديم شىء بالمرة ٠ وعند مناقشة هذا النظام الجديد معهم وافقوا بشرط ان تزيد نسبه الاستثناء الى ٢٠ ٪ اذا زادت قيمة ما يرد من امكانيات عن ١٠ جنيهات ولم نعترض ٠ فالذين تقل قيمه امكانياتهم عن ٥ جنيهات لن يطالبوا بنسبة لانهم مع المصادرة الكاملة ، واولئك الذين تزيد قيمه امكانياتهم عن ٥ جنيهات فهم الذين يصرون على حقهم فى جزء لهم ٠

ومع أننا بذلنا جهودا مكثفة لاقناع زملائنا القدامى للموافقة على هذا النظام الجديد ، ولكى تكون نظرتهم الى ذوى الامكانيات واقعية ٠ فان العلاقات الانسانية بينهم لم ترتق أبدا الى مثل ما هى عليه بين الزملاء القدامى ٠

ربما طال حديثى قليلا عن الموقف من نظام الحياه العامة داخل السجن ، وانما أردت بذلك أن أطرح جانبا من جوانب السلوكيات السحصبة للمناضل خاصة داحل السجن حيث الهدف الأساسى هو خلق أرقى علاقات انسانية بين الجميع ، كضرورة للمقاومة الجماعية لكل الظروف الصعبة التى يواجهونها فى السجن ٠

لقد حسبنا عندما حضر الينا الزملاء من سجن القناطر الخيرية فى أوائل عام ١٩٥٧ اننا سنسمع الكثير عن تجربة **تعاونهم** مع الحكومة الوطنية ، وسنسمع أكثر عن دورهم فى **المقاومة الشعبية** فى بورسعيد ، وأخيرا ، وليس آخرا ، عن سبب تفاؤلهم الشديد فى **قضية الافراج** عنا بعد بأمدم قناة السويس ، ثم بعد العدوان الثلاثى ، ولكن بدلا من كل هذا وجدناهم يستهلكون وقتنا فى قضية تتعلق بذواتهم فى المقام الأول !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ذات مساء من ربيع عام ١٩٥٧ ، وكنت مستلقيا على سريرى الخشبى فى الخيمة ، وجدت نفسى أمام شريط طويل من ذكريات الماضى البعيد ٠ **الأربعينات ، وثمانية عشر شهرا وسبعة عشر يوما من الخمسينيات** ، ما هى حصيلتها اليوم ؟ فجأة طفرت الدموع من عينى غزيرة ٠ خرجت من الخيمة مسرعا الى مكان بعيد وسط الصحراء ، ممر ١٤ يرسل نوره فى المكان وبكاد يحيل ظلام ليله الى نهار لكن عماى لا يراه ، ولا يحس الا بظلام مستقبل حالك السواد ٠ هواء ربيع الصحراء نفسى ومعش ، لكنى اكاد أختنق ! وآلام حادة فى كل جسمى ، بعد انى عظامى وبكاد تحطمها ، دوار يلفنى وصداع يكاد يحطم رأسى ، وأروح فى اغماءة ٠ أصحو منها على صوت ودود ، وأرى **الدكتور رؤوف نظمى** وعلى وجهه ابتسامته الانسانية :

ـ نومة لذيذة فى الهواء المنعش ده ٠

ـ نومة واغماءة ؟

ـ وانت برضه من الصنف اللى يغمى عليه ؟

ـ أبه بقى ؟ انسان ميكانيكى ؟

ـ قدرتك على التحكم فى انفعالاتك كبيرة ٠

ـ وكل قدرة لها حدود ٠٠

ـ أنق فى انها لن تصل الى تلك الحدود ٠

ـ أرجو ٠٠

يقول وابتسامته لا تفارقه :

ـ تسمع حتة الزجل دى ؟

ـ أنت عارف يا رؤوف ٠٠ أنا أحب اسمعك وأنفعل بكلامك ٠٠ لكن حالتى لا تسمح ٠

ـ طيب ما نيجى نروح عند الملك ؟

ـ لا ، أفضل أن أجلس هنا قليلا ٠٠

ـ لوحدك ٠٠ لا ٠٠

ـ أرجوك ٠٠

ـ لا تنس أننى مشروع طبيب ٠

ويضحك دقائق ٠ ويذهب ذهنى بعيدا الى أواخر الأربعينات ٠ كان **رؤوف نظمى** واحدا من المناضلين الفاد ين على كسب ثقة الجماهير ، بين طلبة **كلية الطب** حيث كان طالبا ، وبين عمال وأهالى حى بولاق حيث ولد هناك ٠ احترف العمل الثورى وهو فى السنة النهائية ، ثم قبض عليه وقام خلال محاكمته بعمل **دفاع سياسى** يعترف فيه بعضوية التنظيم الذى فصله ويدافع عن سياسته على الرغم من بعض تحفظاته عليها ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هـل كان من باب الصدفـة أن يدان رؤوف نظمى وعـدد آخـــر مـن الزملاء وكلهم من المعروفين بشعبيتهم **كأحمد الزقـم وعبد الخالق الشهاوى** ، وغيرهم من الذين أدوا دورا هامـا فى الحركة الثورية مثل **داود عزيز ووليـم طانيوس** ؟ ، وأن تصـدر هذه الادانـات والمعركة الوطنيـة فى عنفوانها ؟ مـا أخطر الذاتيـة حين تتمكن فى نفوس الذين يملكـون اتخاذ القـرار !

وأرى **رؤوف نظمى** نادما نحـوى ومعه **مجدى فهمى** ، وملك الصحراء ، ودور حوار انسانـى أحكيه لك فى رسالتـى المقبلة يا حبيبتى ،

٢٨ يوليو ١٩٧٧

القاهـرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة (٣٨)

حبيبتـــى

لماذا خرجت فى تلك الليلة التى حدثتك عنها فى رسالتى السابقة من خيمتى الى وسط الصحراء ؟ هل كانت الرغبة فى وقفة مع النفس ؟ كلا . فالتقييم الذاتى هو جوهر الوقفة مع النفس . هل كانت محاولة لتقييم موضوعى للمسيرة منذ انتزعونى من موكبها ؟ كلا . لست أدرى على وجه الدقة ما الذى كان يسيطر على كيانى ويكاد يهده هكذا . ربما كان شيئا أقرب الى أحساس أم ذبحوا وليدها أمام عينيها . لقد سُدنى هذا الاحساس **المؤلم** والبالغ القسوة وأنا أرى طريق المستقبل المنظور **حالك الظلام** . بعد أن كان فى **بداية** الخمسينات يبشر بمستقبل **مشرق** . ولكن لماذا تملكنى هذا **الاحساس** بعد مجىء زملائنا من سجن **القناطر الخيرية** منذ سهور وفى تلك الليلة على وجه التحديد ؟ حقا كان لهذا الاحساس ارهاصات ، لكنها لم تجعلنى يوما قبل ذلك اليوم المسهود أتشاءم فى المستقبل المنظور وبمثل هذه النظرة شبه اليائسة . منذ القى القبض على كانت لنا ملاحظات سياسية وفكرية وتنظيمية على عمل زملائنا فى الخارج ، بعثنا بها اليهم ، ولم نلق منهم يوما ادنى اهتمام . كانوا من عليائهم يرسلون الينا بكم هائل من التقديرات والنخبات ، لمواقفنا البطولية فى السجن ! ولصمودنا فى **وجه الارهاب** ونجاحنا فى المحافظة على **وحدة** الزملاء داخل **السجن** ! لكن دون اشارة واحدة الى ما نرسله لهم من نقد حول مواقفهم السياسية والفكرية والتنظيمية . وكنا نقابل كل هذا الكم من التقديرات والتحيات بفتور **بلغ حد** السخرية فى بعض الاحيان ثم وصل الى حد الاستنكار حين وصلنى قرارهم الذى ينص على التقدير الخاص بى ، ضمن قائمة قرارات الادانة لعدد من **أخلص الزملاء** ، وسجلنا استنكارنا هذا فى شكل رفض لهذا « التقدير » وادانة الهدف منه ، فى ذات الوقت اتخذنا قرارا كنا نملك حق اصداره برفع **الاتهام** عن الزملاء **المدانين** . ومع ذلك فقد ظلوا فى « عليائهم » ولم تصل الينا كلمة واحدة منهم . حتى حين أوقفنا قرارا منهم « بالتحقيق » مع زملائنا « القدامى » والمسجونين منذ أكثر من خمس سنوات سكتوا ولم ينطقوا بحرف واحد . وكانت

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

انسه انى مضمت طهر البعير هو موقفهم من نظام الحياة العامة . لقد ضاع كل شيء ولم تبق سوى قيمة الروح الجماعية التى نجحت فى تأكيدها عبر زملائنا القدامى ، فهل يريدون تدميرها بعد أن **دمروا كل شيء فى الخارج** ؟ .

ويسدى عن تأملاتى صوت « **ملك الصحراء** » .

ـ ولا يهمك يا درس .

ـ ولا يهمنى عن أنه يا ملك ؟

ويعلق **رؤوف نظمى** :

ـ طول ما فينا نفس مش راح نسكت أبدا .

ـ وانه الى تقدر تعمله أنفاسنا الباقية .. فى السجن ؟

ويسود الصمت لحظة .. يقطعه قول **مجدى فهمى** :

ـ وقف التدهور على الأقل .

ـ أرجو أن لا نكون قد وصلنا الى نقطة اللا عودة !

ويبتسم مجدى فهمى ويقول :

ـ لا دى الحكاية عاوزه فنجان قهوه من بن « قشطة اليمن » .. أيه رأيك يا ملك ؟

ويصيح الملك .

ـ اجرى يا رؤوف جهز لنا عدة الشغل . .

ويلتفت الى رؤوف نظمى . .

ـ عاوز قهوة « منقفين » ولا قهوة « فلاحين » يا درس ؟

ـ ما كفايانا منقفين يا **رؤوف** . .

وفى خيمة الملك أجد عددا من الزملاء الذين تربطنى بهم علاقة أبوية ، مجموعة من الشباب لا يزيد عمر أكبرهم عن ٢٣ عاما . **نبيل حلمى** الطالب بالسنة النهائية بكلية الآداب . جسمه النحيل يحمل امراض الكبد ، والكلى والاستباه فى الصفراء . **مجدى نجيب** ابتسامته الانسانية وتلقائيته التى تبشر بمولد فنان كبير على يد الملك . **ماجد حافظ** الطالب بالثقافة العامة « العمدة » الذى يسهر على راحتنا . **مصطفى حامد** عامل الخراطة الذى تعلم القراءة واكتابة فى أقل من ثلاثة أشهر . وكتب بتشجيع منى تحليلا سياسيا نشرناه فى النشرة الداخلية **ومحمد خليفه** طالب الثانوية العامة الذى حكم عليه بالأشغال الشاقة **عشر سنوات معى** . **وفايز مراد** طالب الثانوية العامة بتكوينه الانسانى السوى المعطاء . وابتسامته الذكية أحيانا ، والخبيثة أحيانا أخرى ، وسعيد عبد الوهاب الفنان الموهوب .

ما ان دخلت خيمة « الملك » حتى احتوت كيانى المهدود كلمات الزملاء « أبنائى » .

ماجد حافظ « عمدة خيمتنا » يقول :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ انمـد نفسـك يا زميـل ٠
ـ ليـه يا عمـده ؟
ـ جرادل الميـه فاضيـه ٠٠
ـ معـــاك حـــق ٠٠ نســـبت ٠
ـ يعنى أيـه نسيت ٠٠ افترح عقوبـة على نفسـك ٠
ـ أمنـرح أنت يا عمـدة ٠
ـ العمدة لا يفتـرح ٠٠ وانما يقـرر ٠
ـ قرر وسأنفذ فـــورا ٠
ـ خذ ٣ سجابر هوليـود « لارج » ٠٠
وأضـحك قائـــلا ٠٠
ـ على كـده راح أنسى كـل مـرة ٠٠
ويقـول متوعـــدا :
ـ لأ ٠٠ المرة الجايـة بقـــى ٠٠ حاتشـوف ٠
ويقـول **مجدى نجيب** ٠٠
ـ انـى اتهم ٠٠
ـ أيـه يا مشروع فنـــان ٠
ـ تعطيـــل المشروع ٠
ـ ازاى ؟
ـ انت نسيت يا أستاذ ان موعدنـا اليوم لرسم « بورتريه » لك ٠٠
ـمعاك حق يا مجدى ٠٠ متأسـف ٠٠
ـ أقترح عقوبـة لنفســك ٠٠
ـ ترسمنى مرتين ٠٠
ويضحك الجميع من قلوبهم ٠٠
ويقـول **مصطفـى حامـد** :
ـ كله كـوم ٠ ٠وحسابـى معاك كوم لوحده ٠
ـ كان موعدى معك ٠٠ لمراجعة مقالى للنشرة ٠
ـ وده معنـاه أيـه عند الثوريين ٠٠
ـ تخريب الثورة طبعـــا ٠٠
ـ اقتـرح عقوبـة لنفســك ٠٠
والتفت الى الملك ضاحـــكا ٠٠
ـ اقتـرح انت يا ولـيم ٠٠
ويقول وليـم ضاحـــكا :
ـ الشـنق طبعـــا ٠٠
ويضج الزملاء بالضحك ٠ والتفت الى **رؤوف نظمى** قائـلا :
ـ أحدث طريقـة للعلاج يا رؤوف ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبقول بـود وحب :

ـ أولادك وأحبابك ٠ ٠ عاوزينك !

وأحس بكيانـى المهـدود وقد تبددت كـل آلامه ، وصـوت من داخلـى يصرخ بأعلى صوت **الحقيقـة مؤلـمة** ، نعـم ، لكن مسئوليتك تضـاعفت **عشرات المـرات** !

ويناولنـى الملك فنجان القهوة ٠ ٠

ـ فنجان مهوه « مسطة اليمن » بعـدل المخ ٠ ٠

وأقـول ضاحـكا ٠

ـ ما دام قهـوة « فلاحين » يبقـى راح يعدل المخ ٠ ٠

ـ همه دول يا درنس ممبنى غبرهم ٠

ويحتج **مصطفى حامـد** :

ـ والعمـال راحوا فين ؟

ـ يا سيدى العمـال ٠ ٠ قيـادة ٠

ـ للسـلطة والا من خارجهـا ؟

ـ مـا خـلاص اتعدلت ٠ ٠

يضج الجميـع بالضحـك وهـم يتناولون قهـوة « قشطة اليمن » التى تبرع بهـا الملك على شرف « درش » وبهمس **مجدى فهمى فـى أذنى** :

ـ أول مـرة تخـرق اتفاقنـا ٠ ٠

ـ كنت فى حـالة سيئة جـدا ٠

ـ هذا أدعـى ٠ ٠

ـ معـك حـق ٠ ٠

ـ اذن لنـا قعـدة ٠

الهدوء يعود الـى نفسـى المضطربـة وأنـام الساعات الباقيـة من ليلة ذلك اليـوم ٠ وفى مسـاء اليـوم التـالى التقى مع **مجـدى فهمى** فى احدى « قعداتنـا » التاريخيـة :

أسـئله :

ـ هـل كان موقفـا بائسـا ٠ ٠

ـ بـل كان خطـوة نحـوه ٠

ـ ولكنـى انسـان ٠

ـ حقيقـة وموقفك دليـل جديد يؤكدهـا ٠

ـ وأن تكـرر ؟

ـ يصبح مهزلـة ٠

ـ وتكتمـل المأسـاة ٠

ـ لا يزال فى نفسـك ما يسمح بتكرار الموقف ٠

ـ وكيف يزول نهائيـا ؟

ـ أن تـكون أنـت !

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ كان فى الخارج بريق من أمـل ٠
ـ ليكن الأمـل هنـــا ٠
ـ نبـدأ من الصفر مـره أخـرى ٠
ـ وهل نملك غير ذلك ؟

كنـا نتحدث ونحن نسير فى الصحراء ، وعيـون الزملاء من بعـد ترقبنـا ، ما كادت ترانـا **متعانقين** ، بعكس نـور القمر ظلنـا ، جسـما واحـدا ، يخـرج علينـا **سعيد عبد الوهـاب** ، لا نـدرى من أيـن وهو يصيح ٠٠

ـ اثبتوا ٠٠ خليكو زى ما انتـو ٠٠
ـ أيـه يا فنـان الجيل الصاعـد ؟
ـ حتـة دين منظـر ٠٠ مدهش ٠
ـ راح ترسـمه يا سعيد ؟
ـ أتأمله ! الفن تأمـل يا أستاذ ٠
ـ دا الحب يا ســعيد ٠
ـ وهـوه الحب مش فن يا أســتاذ ؟

الحب بجميـع أنـواعـه هو علاقـة انسانيـة جوهرهـا الصـدق ٠ الصدق مع الذات ، والصدق مع من نحب ، حبيبـا كان ، أم زمـلا ، أو واحدا من ذوى القربـى ٠

وهذا الحب « الانسانـى » ليس غايـة فى ذاتـه ٠ أنـه غايـة وهى نفس الوقت وسيلة الى غايـة اسمى ؛ هى حب الوطـن بكل ما يفرضـه هـذا الحب من التزام ومسئولية ، واسـتعداد لبذل الحيـاة ذاتهـا من أجـله ٠

والتفت الى مجدى فهمى قائـلا :

ـ مجدى ٠٠ انت دائما تصيب كبـد الحقيقـة ٠٠
ـ ليس دائما والا أصابنى الغرور !

ويستطرد ضاحـكا :

ـ ما هـى آخـر حقيقة أصبت كبدهـا ؟
ـ قولك ان الأمـل من هنـــا ٠
ـ فعـلا لـم يعد الا من هنـا ٠

ومنذ ذلك التاريخ نفضنا كل الأوهام عن كاهلنـا ، لنبـدأ **من جديـد من السجن** ؛ وبالزملاء الذين اتبعوا خـلال نضالهم خـارج السجن وداخله ، انهم قادرون على مواصلة المسيرة ٠

كيف بدأنـا ؟ وما الذى أنجزنـاه **منذ منتصف عـام ١٩٥٧** حتـى انتقلنـا من سجن « جنـاح » بالواحات الخارجة الى سجن « المحاريق » بنفس **الواحات فى أغسطس عـام ١٩٥٨** ؟

هذا ما سوف أحدثك عنه فى الرسالة المقبلة يا حبيبتى ٠

٣٠ يوليو ١٩٧٧
القاهـرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة (٣٩)

حبيبتـــى

كان علينـا بعد **منتصف عـام ١٩٥٧** بعد اهتزاز الثقـة بزملائنـا فـى الخارج ، أن نستمد أملنـا فى مواصله المسيرة من زملائنـا فـى السـجن بعد خروجنـا • كان عرارنـا : من السجن نبدأ من جديد • هذا على الرغـم من الأخبـار التـى وصلتنـا عن مباحثات الوحـدة بين التنظيمات الثلاثة وقـرب وصولهـا الى تنظيم واحـد « تـامخ » ! ولقـد كان شـعار الوحـدة جذابـا للغالبيـه العظمى من قواعـد وغـادات التنظيمات الشيوعية فـى مصر • وكان موقف المسحوبين من الوحـدة ينجسـد فى وحدتهم الطبيعيه فى مواجهـه ظروف السجن وانعكاس هذه الظروف على أفكارهم السياسـيه والايديولوجيـه والتنظيمية • لذلك رحبنـا بأخبـار مفاوضـات الوحـدة • وان كان هنـاك سـؤال يجول فى أعماقنـا : لماذا اندفعت القيـادات التـى عاشـت سنوات طويله منقسمة على بعضهـا ، وتحـكم كل منها علـى الآخـر بالانحراف ، والانتهازية ، بـل والخيانـة ، الى **الوحـدة** ، وبهـذه **السرعة الجنونية** ؟ وهـل ينبـع هذه الوحـدة من ايمان حقيقـى بضرورة انهاء **الانقسـام الطويـل** ، أم أنهـا محاولة يائسـة لقيـادات تشعر **باهـتزاز** ثقـة قواعدهـا بها ، وتحاول استرداد هذه الثقـة ؟

وكان علينـا أن نجيب على السؤال الكبير •

كيف نعـد أنفسنـا ، ونعـد الزملاء لمواصـلة المسيرة بعد خروجنـا من السجن على أسس نظريـة وسياسيه أكثر وضوحـا ؟ وكانت الاجابـة هى : دعـوه كل الزملاء الى تقديم كل المواقف الفكريه والسياسية لزملائنـا فى الخارج منذ **٢٣ يوليو ١٩٥٢** بهـدف الخروج **بدروس مستخلصة** • وفى وجه معارضه شرسه واتهامات عديده لنـا من بعض الذين حضروا البنـا فى **عـام ١٩٥٧** ، قررنـا تخصيص النشرة الداخلية لمناقشـة موضوعـات أذكر منهـا : الموقف من ثـورة **٢٣ يوليو عند قيامهـا** • الموقف من أزمة **مـارس ١٩٥٤** • الموقف خـلال **العدوان الثلاثـى** • مفهـوم الوحـدة الوطنيـة وعلاقتـه بقضيـة الديموقراطية والحريات السياسية ، كذلك مناقشة أهـم الموضوعات النظرية التـى تضمنتهـا بعض التقديرات الأساسية التى كتبها زملاؤنا فى الخارج وأهمها • « **حزب السلطة** » • و « **الوحدة مع الانتهازية تغليب لهـا** » و « **قرارات ديسمبر ١٩٥٦** » •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وخلال **أشهر** قليلة صدر من النشرة الداخلية « الوعى » **عشرون عددا** احتوت على الرأى الرسمى وكان الذين يدافعون عنه يدافعون عن الواقع عن ذواتهم ، وعلى الرأى المعارض ، ومد جاء بآراء جديده . وأخرى كانت **مرفوضة رسميا** فى وقتها على الرغم من صحتها . وفضلا عن أن هذه الاعداد من النشرة ، كان لها قيمتها السياسيه والفكرية ، فانها قد أكدت حقيقة ان **اطلاق حرية** كل الزملاء فى المناقشة ترفع من وعيهم ، وتؤكد ذاتهم ، وتزيدهم ثقة بانفسهم . ولقد كانت هذه التجربة التى لم تحدث فى تاريخ التنظيمات الثورية فى مصر أو خارج مصر **مؤشرا** لمفهوم جديد بدأت صياغاته الأولى منذ ذلك الحين عن **الديموقراطية داخل التنظيم** ، ربما استطيع أن اكتب عنه فى وقت آخر فليس موضعه هنا .

لكن ما أود قوله هنا ، هو أن هذه التجربة الفريدة رغم أنها كانت منافية للتقاليد التنظيمية المعروفة ، فانها قد أجابت على العديد من الأسئلة المطروحه وقتئذ . كيف يثق الزملاء بقدرتهم على مواصلة المسيرة بعد خروجهم من السجن بعد أن انعصلوا عن كافتهم المتعلق بأوهام نشاط زملائهم فى الخارج ؟

كيف يحتفظون بطهارتهم الثورية ونقائهم الفكرى بعد انهيار الوحدة بين التنظيمات الثلاث وما سوف يواجهونه من أرهاب فكرى تحت ستار « **المحافظة على الوحدة** » ؟

كيف يمكن أن يفهموا عددا من الحقائق ويستخلصوا منها تجربة جديدة لمواصلة نشاطهم بعد الخروج من السجن . حقيقة سكتية الوحدة ، وحقيقة سقوط القيادات التقليدية ، وحقيقه أنه لا أمل الا فى الجديد الذى يقوم على أكتافهم ، وحقيقة أن قضية الافراج عنا قد تراجعت الى الخلف ، وأصبح الأمل هو فى الخروج من السجن بعد **انتهاء مدة العقوبة** ؟

كيف يمكن أن يصمد الزملاء فى وجه « ظروف السجن الصعبة » محافظين على شرف التزامهم بالفكرة رغم هذا الواقع المؤلم ، داخل السجن وخارجه ؟

لقد خلقت تلك التجربة الفريدة نواة صلبة . تملك وضوحا سياسيا وفكريا ، كان سلاحها فى القتال ضد اليمين وضد اليسار داخل تنظيم الوحدة الجديد ، وكان سلاحها الذى قاتلت به دفاعا عن سرها والتزامها .

وتشهد الشهور السابقة على نقلنا الى **سجن « الحاريق »** بالواحات **الخارجة فى أغسطس عام ١٩٥٨ أحداثا** « عامة واخبارا مثيرة » ! . من بين هذه الأحداث « الهامة » شهدت **تعثر** مفاوضات الوحدة بين **التنظيمات الثلاثة** واعلانها بين تنظيمين . فأممنا احتفالات « بهيجة » لمناسبة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هذا الحدث « **السعيد** » . ثم شهدت اعلان الوحدة بين التنظيم الواحد الجديد وبين **التنظيم الثالث** ـ وأقمنا احتفالات « **مهيبة** » لمناسبة هذا الحدث « **التاريخي** » . ثم شهدت انقساما ـ بعد أقل من أربعة أشهر مى « **التنظيم الكبير** » ! وكان المنقسمون هم الذين اتحدوا معهم منذ أشهر عبر أن الانقسام والوحدة ، ثم الانقسام مرة أخرى لم يؤثر على علامة **السجونين القدامى** التى دعمتها الخبرة المشتركة خلال سنوات السجن . ولقد ساعدت هذه العلاقة القوية على تنظيم مقاومتنا لما ينتظرنا فى سجن « **الحاريق** » **الجديد** . فبعد اعلان « الوحدة الثلاثية » حمل الينا زملاء القى القبض عليهم فى أوائل عام **١٩٥٨** حوكموا ونقلوا الينا فى « **جناح** » أخبار بناء **سجن جديد** « **مخصوص** » **لنا فى الحاريق بالواحات الخارجة** . ما الذى ينتظرنا فى السجن الجديد ؟

ويضحك **حليم طوسون** قائلا :

ـ اللى أكلناه وز . وز . راح يطلع علينا بط . بط .

كان نقلنا من ليمان طره ـ بعد **الاضراب العام** الذى دخله كل **السجونين فى الليمان** ـ الى سجن هو أقرب الى معسكر ، اجراء سريعا لعزلنا عن المسجونين هناك ، وحتى يتم بناء **سجن** « **الحاريق** » **فى قلب الصحراء** .

هل يطبق علينا نظام السجون التقليدى ، فى سجن مثل هذا فى قلب الصحراء ؟

ويهمس الينا أحد الضباط الأصدقاء . .

ـ سينتقمون للسنوات التى أخذتم فيها **حريتكم** هنا فى « جناح » . .

ـ وهل يملكون أكثر من النظم التقليدية للسجون العادية ؟ .

ـ لقد أعدوا لكم **نظاما خاصا** .

ونبدأ فى اعداد أنفسنا للحياة فى **سجن** « **مغلق** » **فى قلب الصحراء** . لم يدر بخلدنا يوما أننا سننقل الى سجن له « زنزانات » مرة أخرى فى قلب الصحراء . حسبنا أنهم قد القوا بنا هنا الى ما لا نهاية . لكنهم كانوا يتلمظون غيظا ، فكيف **نكون مسجونين ونعيش كالبشر** ؟ كانوا يريدون « بسجننا » أن نمتنع عن تعاطى « الثقافة والفكر » فاذا بنا ننهل منهما لتغذى عقولنا وأرواحنا ؟ كيف يغمض لهم جفن ، أو يهدأ لهم بال ، ونحن هنا ، فى **الصحراء** التى أرادوها قبرا لنا نغنى ونرقص، ونميم الاحتفالات ، ونعرض المسرحيات ؟

كم بقى أمامنا من وقت كى نعد أنفسنا للظروف الجديدة فى **السجن الجديد** ؟ ويأتى الينا الخبر « من منبعه الأصلى » من **مكتب**

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قائـد **السجن الحربـى** • ! ويحمله الينـا الزميـل **محمد مختـار جمعـه** الذى وصل الينـا حديثا ، فى أبريـل ١٩٥٨ ، بعد اعـلان الوحـدة « الشامخة » ! بما لا يزيـد عن ثلاثة شـهور • كان **مختـار جمعـه** مجنـدا فى الجيش حين القوا القبض عليه • عذبته **المخابرات العـامة** ، « **نفختـه** » و « **جلدتـه** » وحرقت **ظهـره بالحديد المحمى** « **وخلعت أظافـره** » ، **ووضعـوه عاريا فى الماء المغلى** ، كى يعترف على واحد من زملائة ولكن دون جـدوى • كان بطـلا ، فاقت بطولتـه **الأسطورة** • وحين ضاقوا ذرعـا ببطولته وهم الجبنـاء رغم كـل ما يملكـون من حديد ونـار قرروا ارسـاله الى سـجن « جناح » **بالواحات الخارجـة** • وفى مكتب **قائـد السجن الحربـى** قبـل ترحيله بساعات سمع **محمد مختـار نقاشـا بين قائـد السجن وبين أحـد ضباط المخابرات** :

ـ مش كان أحسن نرميـه هنـا ؟

ـ مفيش فايـده • • لن يتكـلم •

ـ راح يا خذ حريتـه فـى « جنـاح » • •

ـ كلها كام شهر ويروحوا كلهم « المحارق » •

وتأتى الينـا أخبار أخرى تؤكـد ان سجن « **المحاريق** » **على** « **التشطيب** » وأن بعثـة من **ضباط المباحث العامة** ، **والسجون والمخابرات** ، قامت بزيارته للاشراف على التشطيبات النهائيـة ، ووضـع نظام لحياتنـا هنـاك • وقررنا أن ندخل فى سباق مع الزمن حتى لا نفاجأ بنقلتنـا الى **المجهـول** الذى لـم نستعد لـه •

المعرفـة هى زادنـا الذى لا يمكن أن نعيش لحظـة بدونـه وتحت أى ظـرف من الظروف مهما بلغت قسوته • هذه الكتب والتقارير والبحـوث **والمجلات** سـوف يلقـون بهـا الى أفـواه النيران لتلتهمها • ولكـن متـى استطاع اعـداء المعرفـة الانسانية ، بكل ما يملكـون من أدوات البطش والارهـاب ، وعلـى مـر العصور ، أن يحجبوا **المعرفـة** عن طلابهـا ! وكان أول قرار نتخذه هو اعـادة نسـخ كل ما نملكـه من كتب وبحـوث على ورق سجائر « **بفـرة** » ومضطـرا [illegible] لشراء كميات منه ، بسرعة من بلدة « جناح » التى تشرب أهلها سجائر « الف » ، وتكليف أهالينا بشراء أكبر كميـة منه من القاهـرة • وخلال أقـل من شهرين تـم نسـخ عدد كبير من الكتب الهامة ، وكـل التقارير والبحوث التـى نملكهـا علـى ورق « البفـرة » بخط رفيـع جـدا وغايـة فى الوضوح ، نسـتطيع قراءتـه دون جهـد كبير •

كان حماس الزملاء وهم يقومون باعـادة نسـخ ما فـى هذه الكتـب **والتقارير** مـن معرفـة على ورق « البفـرة » يفـوق التصـور • كانـوا حريصين عليها حرصـهم على **حياتهم** • وهل يمكن أن تـكون لحياتهم معنى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بـدون **الثقافة والفـكر** ؟ **الثائـر لا يموت** ، اذا قتـل أو مـات ، انـه يمـوت فقط عندما يحجبون عنـه **المعرفـة** · وأبـدا لـن نستسلم ، لـن يقتلوا ما فى داخلنا من حب وصـدق وشرف وانسانـة نعترفهـا من معين المعرفة الانسانية الذى لا ينضب أبـدا ·

كانت عملية النسخ تجـرى بسرعة لتسبق الزمن · مجموعـات الزمـلاء تعمل **٢٤ ساعة** فى اليـوم ، هذا يقـرأ وآخـر يكتب وثالث يراجـع · مسـئول « الحياة العامة » يدور على المجموعـات المختلفـة ، يوزع عليهم السجائـر ، يرفضـون حينـا ويطلبـون بـدلا منها ورق « بفـرة » وحينا آخر يقبلون حتى تعينهم على السـهر طول الليـل · لم نكن فى حاجـة الـى جلسـات توعيـة كتلك التى عقدناهـا قبـل نقلنـا **من ليمان طـره الـى « جناح »** · ان حماس الزملاء وأقبالهم على اعـادة « نسـخ » ما لدينـا من فـكر وثقافـة تحسد لـما بدور فـى نفوسهم ، أنـه أقـوى من أى كـلام يمكن أن يقـال فى مثل هذه الظروف ، ما الذى يمكن أن يقال لزملاء أعـدوا أنفسـهم لمواصـلة المسيرة بعد خروجهم من السجن وهم لا يملكـون شـيئا سـوى ارادتهم ، وتحديهم لواقـع مؤلـم وصعب داخل السجن وخارجـه ؟ كان دأبهم على هذا العمل المضنـى ، كما كانت تعليقاتهم المزوجـة بالسخرية ، تجسيدا لاصرارهم على **رفض الهزيمة** ·

وفى غمرة هذا النشـاط الكبير الذى يسـتعد للحيـاة الجديدة ، المعرونـة والمجهولة فى **سجن « المحاريق »** تأتينـا أنبـاء انتصـار **ثورة ١٤ يوليـو ١٩٥٨ فى العراق** من راديـو القاهـرة · ونظـل طـول الليـل نسـمع تعليقـات الاذاعات العالميـة ، واعلان القاهـرة بوقوفهـا الى جانب الثـورة ضـد أى تدخل اجنبـى ، يبعثه **جمال عبدالناصر** من عرض البحر خـلال عودتـه من **موسكو** · ونلمح بين بعض الزملاء تفاؤلا بافـراج قريب ، ونقـرأ بيانا يصدره أفطـاب « التنظيم الواحـد » الثلاثة ويوقعون عليـه بأسمائهم !

ونتسـاءل بسـخرية :

ـ ليـه كـده ؟

ـ وأيه المناسـبة ؟

ـ ليجدوا مكانـا تحت الشمس ·

ـ ولن يجدوه كما يتوقعـون ·

ـ ربما كان وراء الشمس ·

ـ لـم يتعلموا بعـد · ·

ـ سيلدغون مـرة أخـرى ·

ـ آه لو كانـوا مؤمنين ·

ـ ومن أيـن يأتيهم الايمـان ؟

ـ ذواتهم فـوق كل أعتبار · ·

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

- اليـوم يمين ٠ ٠
- وغـدا يســـار ٠
- كلـه ماشـــى ٠
- وحسب الطلب ٠

ومرة أخرى يأتينا من زملائنـا فى الخارج ما يهـدد معنويات زملائنـا فى السجن ٠ **الافراج** أقرب ممـا تتصورون ٠ اتـدوا غائمة بأسماء عـدد كبير من **الاخوان المؤيدين** ٠

ونـرى تكاسـلا فى عمليـة نسـخ الكتب والتقارير ٠ وتتضـاعف مسئوليتنا ٠ ولا نجـد سـوى الحوار معهم حينـا ، والسخرية بمـا يقولـه الزملاء فى الخارج عن الافراج القريب حينـا آخـر ٠ وتجرى الاحـداث بسرعة مذهلة نداء شـهر « **العسل** » الذى حسب زملاؤنـا أنه آت لا ريب فيـه يرفضه الطرف الآخر ، وتلوح بوادر شهر « **البصل** » ٠ ونتوالى التعليقـات السـاخرة :

- همه كانوا عاوزين عسل أبيض ولا أسود ؟
- مش مهـم ٠ ٠
- مش مهم ازاى ٠٠ الأبيض غير الأسـود ٠
- لـه بقى ؟ الأبيض حلـو ٠٠ والأسود حلـو ٠
- برضـه الطعم مختـلف ٠ ٠
- المهـم ما يكونش مـر ٠
- وهـل يميزون ؟
- انهم لا يبصرون ٠
- ربمـا يحسـون ؟
- ذواتهم قتلت مصادر أحاسيسهم ٠

ويعود الزملاء الى حياتهم السـابقة فيواصلون عملـية نسخ الكتب التى سنأخذهـا معنـا الى **سجن « الحاريق »** وينجزون كل ما كلفوا بـه ويجرى عمل **مخابىء** لها حتى لا تقع عند وصولنا الى سـجن « **الحاريق** » ٠ وفى المسـاء نلمح سيارة المأمور تقف على باب السجن الخارجـى فى وقت لم نعتـده من قبل ٠ ينزل من سيارته ونـراه متجهـا الى حيث يسـكن الاخوان المؤيدين ٠ بعـد مرور بعض الوقت يزف البنـا البكباشى **فؤاد جاسر** خبر **الافـراج** الصحـى **عن ١٠٠ من** الاخوان المؤيدين ٠ جاءنـا الرجل سـعيدا ليس لأنـه سيخرج من السجن فقط ، وانما لأنه يـرى ٠ ٠

- ده مقدمة **للافـراج** عنكـم ٠ ٠
- مش بالضرورة ٠

ويقـول بدهشـة ٠

- ازاى بقى ٠٠ وانتو اللى خليتونـا **نؤيـد الحكومة ؟**
- ولـو ٠ ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ونتضاعف دهشـــته ٠ ٠
ـ مش ممكن ٠٠ ده شىء غير منطقـى ٠
ـ المهم ٠٠ ألف مبـــروك ٠
ـ سأسحب تأييدى للحكومة اذا لـم تفرج عنكم ٠
ـ يسـجنوك معانـــا ٠ ٠
ـ زى بعضـــه ٠ ٠
ـ موقف منالـــى ٠
ـ بـل أبسـط أنـواع الوفـاء ٠ ٠
ـ أى وطنـى خارج السجن ٠ ٠ مكسب للمعركة ٠
ـ سأمتنع عن العمل السياسـى ٠
ـ خطـــأ كبير ٠ ٠
ـ خير من التعاون مع من **يسجنون** أخلص الوطنيين ٠
ـ تغلب عواطفـــك !
ـ وهـل من العقل أن تسجنوا ؟
ـ عقـــل الحـــكام ٠
ـ وهل تختلف عن عقولكـــم ؟
ـ اختـلاف كبيـر ٠
ـ وما مصـــدره ؟
ـ الموقف الاجتماعـى ٠
ـ لكن المعركـة ما تزال وطنيـة ٠
ـ يحسبون أنهم قادرون على كسبها وحدهم ٠
ـ ولماذا وحدهم فقط ؟
ـ لضمان موقفهم الاجتماعـى ٠
ـ ربما لا يفرج عنكم أبـدا ٠
ـ الا اذا اضطروا الى ذلك ٠
ـ وما الذى يضطرهـــم ؟
ـ ظروف المعركة التى يمكن أن تفرض الوحدة الوطنية ٠
ـ فهمت ٠ ٠
ـ وماذا بعد أن فهمت ؟
ـ سأكون من أقوى المطالبين **بالوحدة الوطنيـة** ٠

وفى ساعة متأخرة من الليـل يقيـم الزملاء احتفالا يـدعـون اليـه الاخوان المسلمين المفـرج عنهم ، لكن لا يحضر سوى عـدد قليـل منهم **البكباشى فؤاد جاسر** ، **والصاغ جمال ربيـع** ، **والصاغ احسن حموده** ، **وسيد الريس** ٠ وفى نهاية الاحتفال يلقـى **البكباشى فؤاد جاسر** كلمة انسانيـة تتضـمن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل المعانـــى التى دارت فى حوارى معه • وفى اليـــوم التالـــى يشـــهد سجن « **جناح** » **بالواحات الخارجة** مشاهد انسانية ، قـــل أن بحـــدث مثلهـــا • أحكى لك عنها فى الرسالة المقبلة يا حبيبتـــى •

أول أغسطس ١٩٧٧
القاهـــرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الرسالة (٤٠)

حبيبتـــى

وشـهد يوم الافراج عن المسجونين من **الاخوان المسلمين المؤيدين للحكومة الوطنية مواقف** انسانيـه عميقـة أكـدت الجوهـر الطيب للانسـان • كانت قائمة أسـماء المفرج عنهم فى مسـاء اليوم السابق تشـمل كل ضبـاط الجيش وعددا من المدنيين ، ولم تتضمن أسماء اخـرين مـن الاخـوان المؤيدين • وظلت هذه المسـألة محل تسـاؤل من الاخوان المؤيدين الذيـن سملتهم الفائمه والذين لـم ترد اسماؤهم فيهـا • مخاوف كبـيرة كـانت تنتاب الباقين من المؤبدين ، ليس فقط لعـدم الافراج عنهم ، ولكن بسـبب مـا سـوف يلاقونـه فى السجن بعد خروج قياداتهم • فلقـد كان الوضـع بين الاخوان المؤبدين والاخوان المعارضين قـد بلغ درجـة كبيـرة من السـوء • ولقـد بلغت هذه المخاوف حـدا جعلت الاخـوان المفـرج عنهـم يفكرون فى البقـاء الى جوار زملائهم حتى يفرج عنهم هـم الآخرين •

وأشهد حوارا بين بعض الاخوان المسلمين المؤيدين والمفرج عنهم وبين مأمـور السـجن :

ـ هل تقبل **استضافتنا** عنـدك كام يـوم ؟

وتبدو علامات الدهشـة على وجـه المأمور •

ـ استضافتكم ! أين ؟

ـ هنـا فى **السـجن** •

وتزداد دهشـة المأمـور •

ـ هل أكذب أذنـى ؟

ـ لا تكذبهـا • •

ـ تربدون البقـاء فى السجن !

ـ أيـوه •

ـ وليه ؟ مش راح تلاقوا تاكلوا بـره ؟

ـ مش دى المشـكلة •

ـ وهـل توجـد مشـكلة ؟

ـ أيـوه •• اخواننا الذين لـم يفـرج عنهم بعـد •

ـ ستحل قريبـا جدا •

ـ ننتظر فى السجن حتى تحـل •

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبصيح المأمور :

ـ جـــد والا هـزار ؟

ـ منتهـى الجـــد ٠

ـ دى مبقـى مسئوليـه على ٠

ـ ليه بقى ٠٠ نحن مربـد أن **نسجن** بارادتنـا ٠

ـ لا تملكـون ذلك ٠

ـ لا تملك أن نسجن أنفسـنا ؟

ـ ولا تملكـون الخروج من السجن بارادتكم ٠

ـ اذن سنعدس هنـا على أبواب السجن ٠

ـ ولا تملكـون هذا أيضـا ٠

ـ لماذا ؟ ألـم يفـرج عنـا ؟

ـ بعـد أن اسلمكم فى القاهرة ٠٠ افعلوا ما شـئتم ٠

ـ نحن عهـــدة ؟

ـ تمـــام ٠

ـ اذن لن نخرج من باب السجن ٠

ـ سأكون مضطرا لاستخدام القـوة ٠

ويتوتر الموقف لحظة ٠٠ ويقول المأمور مبتسما ٠٠

ـ **الأسجن بالقوة ٠٠ والافراج بالقوة ٠٠** أيـه رأيكم ؟

ـ هل يمكن الاتصال بالقاهـرة ؟

ـ للحصول على اذن باستضافتكم ؟ أمـر غريب ٠

وبضحك واحـد من الأخوان :

ـ وما وجه الغـرابة ٠٠ ناس عاوزه تنسجن فيها أنه دى ؟

ـ فيها كمان ٠٠ **قرار جمهورى** ٠

ـ وهـل الحصول عليه صـعب ؟

ـ جـــدا ٠٠

ـ كان سـهلا قبـل ذلك !

ـ أنا لا أفهم فى السياســة ٠

ويضج الجميع بالضحك ، بينمـا يـــدق جـرس التليفـــون ٠ يضـع المأمور السماعه ويقول مبتسـما ٠

ـ وصـل القرار الجمهورى ٠

ـ باعـادة ســجننا ؟

ـ **بالافراج عنكم جميعـــا** ٠

يتعانقون ويتبادلون التهانـى ويعودون الى خيامهم يعلنـون الخبـــر ويستعدون للعودة الى الحريـة ٠

يهمس **فؤاد جاسر** فى أذنـى :

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ ربـع ساعة وأكـون عنـدك ٠

ويهمس **جمال ربيـع** :

ـ فين ملك الصحراء ٠٠ أنا عـاوزه ٠

ـ أظن فى خيمته ٠

ينادى على **فؤاد جاسر** ، وأخرج لـه من الخيمة ونجلس تحت ظـل **شـجر النروع** الذى زرعنـاه حول كل الخيـام ٠ تخـرج منـه كلمـات خجولـة :

ـ الحاجات دى بقـى مش لازمانـى ٠ حاجة بسيطة كـده ٠

ـ شكرا يا أستاذ مؤاد ٠ ٠

ـ والكام مرس دول ٠٠ يعنـى برضـه ٠

ـ ستحتاج الى بعض بعد ٠

ـ لا ٠٠ عندى فى البنك ٠

ـ فصدى ٠٠ ربما تحتاج ركوب تاكسى مثلا ٠

ـ عامل حسابـى ـ معانـا **ثلاثة جنيـه** ٠

وبينما أنا أنادى على مسئول الحياة العامة لأسلمه هذه الخيـرات من علب الطعام المحفوظـة والسكر والشاى والحلاوة الطحينيـة والسجاير ، فضـلا عن **عشرين جنيها** ، أسمع صـوت **ملك الصحراء** ٠ ٠

ـ أنت فين يا أستاذ فؤاد ٠٠ أنا دايخ عليك ؟

ـ أنا أهو يا ملك الصحراء ٠ ٠ كان لازم أمـر عليك ٠

ـ فاضى لمدة سـاعة ٠ ٠

ـ ثلاثة ساعات يا ملك ٠ ٠ أنت عـارف ٠

ـ طيب بينا على « الاتليية » ٠٠ معانا يا درش ٠

ـ نقعد هنـا ٠٠ فى الضـلة دى ٠

ـ لا فى الاتيليـة ٠٠ عاوز أرسـمك ٠ ٠

ـ حقبقـى يا وليـم ؟

وينهض لمعانقه فى حب وأخـوة ٠٠ وفى خبمة وليـم نجـد كل شـىء **معـدا للرسم** ، بجلس **فؤاد جاسر** على كرسى ويبـدأ **ملك الصحراء** يضـع خطوطـه الأولى ٠ يقول فؤاد ضاحـكا ٠ ٠

ـ طيب ما أنا رايـح لهم بنفسى يا ملك ٠ ٠

ـ ومالـه ٠٠ أصل وصـورة ٠

ـ وطبعـا الصورة أحسـن ٠

ـ المقارنة بين صورة وأخرى ٠٠ وليس بين الأصل والصورة ٠

ـ وما هـى مقاييس المقارنـة ؟

ـ قدرة الفنـان على ان يقول ما يحس بـه ٠ ٠

ـ وهل تختلف بين فنـان وآخـر ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ طبعا ٠٠ ما آراه أنا قد لا يراه غيرى ٠٠

ـ مثـــلا ٠٠

ـ فنان يغوص فى الأعماق الانسانية ٠٠ وآخر يستهوية الشكل الخارجى ٠

ويضحك فؤاد ويقول :

ـ وطبعا انا شكلى الخارجى ٠٠ الحمد لله ٠٠

ـ شكلك الخارجى يجسد ما فى داخلك ٠٠

ويضج بالضحك ٠٠

ـ يا ساتر ٠٠ حرام عليك يا ملك ٠ أنا بأشوف نفسى فى المراية ٠٠

ـ لما تشوف الصورة راح تغير رأيك ٠

ويدخل الصاغ **جمال ربيع** تسبقه رائحة « البارفان » النفاذة ، ويرتدى البدلة « **الملكى** » ، آخر أناقة ، يحيينا ويقول موجها حديثه الى **فؤاد جاسر** :

ـ مش كان أحسن تلبس البدلة يا فؤاد ٠٠

ويرد الملك :

ـ ما كنتش راح أرسمه ٠

ـ يعنى مش راح ترسمنى يا ملك ٠

ـ ما أنا رسمتك ثلاث صور ٠

ـ كانت بهدوم **السجن** ٠

ويقول وليم ضاحكا :

ـ واحدة منهم **بالروب** ٠

ـ كانت هايلة ٠٠

ـ أبدا ٠٠ كانت وحشة ٠٠ أوحش صورة رسمتها ٠٠

ويضحك جمال ٠٠

ـ كل ده بسبب الروب ٠٠

ـ أنا ما أحبش الأرواب والا البدل « الملكى » !

ـ البس بدلة « جمهورى » !

ـ ما أنت خلعتها خلاص ٠٠

ويضج الجميع بالضحك ٠ ويقول **جمال ربيع** :

ـ وحياتك يا ملك ٠٠ صورة كده سريعه ٠

ـ فوتوماتون ؟ ٠٠

ـ حتى ولو بالقلم الرصاص ٠٠

ـ بشرط ٠٠ الوجه بس ٠

ونضج بالضحك مرة أخرى ، وتتوالى التعليقات ٠٠

ـ يا خسارة القيافة دى كلها ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ـ طب ياقـة الجاكتـة وعقـدة الكرافتـة ٠
ـ لو بالألوان كان ممكن ٠
ـ الظـل والنـور يغنى عن اللون ٠
ـ المهم تبقـى الصورة مختلفـة ٠
ـ وأيـه وجه الاختـلاف ؟
ـ صورة مسجون ٠٠ وصورة مفرج عنـه ٠
ـ تعبيرات الوجـه ٠
ويتدخل ملك الصحراء قائـلا ٠٠
ـ اذا كان كـده مش راح أرسـم ٠
وينزعج **جمال ربيـع** ٠ ويقـول ٠
ـ ليـه يا ملك ؟
ـ مش شـايف أى فـرق ٠
ـ ازاى بقـى ؟ دى مسألة مهمة قـوى ٠٠
ـ تبقى تنتظر كام يـوم لغاية ما أشوف الفرق ٠
ـ يا ملك بلاش هـزار ٠٠ مفيش وقت ٠
ـ استنى شويـة ٠٠ يمكن أشوف حاجة استحق أرسمها ٠
ـ الله يسامحك ٠٠ مش لاقـى حاجة فيـه تستحق ترسمها ؟ ٠٠
ـ أنت فاهم قصـدى ؟
ـ طبعـا ٠٠ طبعـا ٠٠ أمامنـا وقت ٠
أكثر من ساعة لـم يتحرك خلالها **فؤاد جاسر** من جلسته ٠
يهمس قائـلا :
ـ نشرب سيجارة يا ملك ٠
ـ وفنجان قهوة « قشطة اليمن » ٠
ـ قهوة « فلاحين » ولا « مثقفين » يا ملك ٠
ـ كلك نظـر يا درس ٠٠
ـ قهـوة « فلاحين » طبعـا ٠
ـ تبقـى بتحب الاستاذ **فؤاد جاسر** ٠
ويضحك ولبم وأضحك ويصيح فؤاد جاسر ٠
ـ أيـه الحكاية ٠٠ فهمونـى علشان أضحك معاكم ٠

أقـوم باعداد قهوة « الفلاحين » بكل ما يلزمها من طقوس ، وأشرح لفؤاد الحكاية ، ويجلس **وليـم اسـحق** يتأمل الصـورة التى أوشـك على الانتهـاء منهـا ٠ تعبيرات وجهـه تـدل على رضـاءه عنهـا ، وهـو نـادرا ما يرضى عن صـورة يرسمها ٠ أقول لوليـم :
ـ أسرع صورة ترسمها يا ملك ٠

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ويقول بأســـى :

ـ وربما آخـــر صـورة !

ويقـول فؤاد جاسر بصوته الودود :

ـ ربنا يديك طولة العمر يا ملك ٠

ويرد بأســـى :

ـ هين عارف راح ارسـم فى سـجن « **المحاريق** » **والا لا** ٠ ٠

وأقـول منشـجعا :

ـ لن نتوقف عن الرسم يا وليـم٠٠ ثـق ٠

ويـرد بسخرية مريـرة ٠

ـ أنق فى عجله التاريـخ ٠ ٠مش كـده ؟

ونسود لحظـــة صمت تقطعها نبـرات صـوت وليـــم يحمـل الأسف

ـ متأسف يا درش ٠ ٠ انت مش ناقص هموم ٠

ـ وأنت جزء هـام من همومى يا وليـم ٠

ـ ما هو علشـان كده ٠٠ كان لازم ألم لسانـى :

وأقول ضاحـــكا ٠ ٠

ـ طب لـم صـورة فؤاد بفـــى ٠

ويعود الى فرشاته وألوانـه ٠ تعبيرات الأسـف ما نزال علـى وجهه ٠ الفرشاه تهتز فى يـده قليـلا ٠٠ بتركها ترتشف رشفه قهـوة ٠ وأقـــول ضاحكـــا ٠ ٠

ـ قهـوة « فلاحين » اكسير الحيـاه ٠

يعود الى فرشاته ويمسكها بحيوبه ويمزج على « البالتـا » عـددا مـن الألوان ، يضعها فى اللوحة ويقـول :

ـ سوف يا درس ٠٠ عينك فيها سبه كبير من **عنين فـؤاد** ٠٠

ـ وأيـه اللى ببجمع بينهم يا وليـم ٠ ٠

ـ **صـدق الانســـان** ٠

ونسمع أصوات تنـادى على **فؤاد جاسر** ٠ حـان الوقت لسفر المفـرج عنهم ٠ فؤاد لا يتحرك من مكانـه ويظـل جالسا فى صمت ووليـم يواصـل الرسم بهدوء ، وحوار سريـع يدور بين تعبيرات تجسدهـا اللحظـة علـى وجه فؤاد ونلتقطهـا روح الفنان لتضعها ريشته فى الصورة ٠

ـ أحسن صورة رسمتها فى حياتـى ٠

وينهض **فؤاد جاسر** من جلسـته ويعانق **وليـم اســحق** ، يقبله والدموع تجرى على خدوده ٠ وأرى فؤاد يبذل جهـــدا خارقـا للتغلب على انفعالاته ، وأقـول ضاحـكا :

ـ خد بالك يا فؤاد الألوان لسـه طريـة ٠ ٠

وبصعوبة شديدة نسحب **فؤاد جاسر** خارج خيمة وليـم اسـحق كـى يذهب الى خيمته ليرتدى ملابسـه « **الملكـى** » ويأخـذ حاجياتـه ، فموكب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المفرج عنهم قد اوشك على التحرك ٠

وعند **باب السجن** يتجمع كل الزملاء ليودعوا اخوانا لهم **دخلوا** السجن وهم مختلفون معهم فى كل شىء ، وخرجوا منه وقد اتفقوا على شىء واحد ولكنه أساسى وجوهرى ، **مساندة الحكم الوطنى بقيادة جمال عبدالناصر** ، من أجل مصر أم جميع الوطنيين ، وحبيبة كل الشرفاء ٠

وخارج **أسوار السجن** ، بالقرب منها ، تشهد صحراء **الواحات الخارجة** ، ما لم تشهده أبدا عبر الأزمان والعصور ٠ **صورة عدد من الاخوان المسلمين يعانقون ثم يودعون ومحبة من يختلفون معهم فى الفكر ، ويجمعهم حب مصر** ٠

متى تشهد القاهره هذه الصورة ؟ متى ؟ ٠ بل متى يشهد الوطن العربى كله هذه الصورة ؟ متى ؟ ٠

وتتحرك العربات تحملهم الى **الحرية** ! وتعود الينا بعد أيام قليلة كى تحملنا الى **سجن الحاريق** ! ٠

اكتب اليك رسالتى المقبلة وانا فى الطريق اليه يا حبيبتى ٠

٢ اغسطس ١٩٧٧
القاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تم الجزء الأول

الجزء الثانى « تحت الطبع »

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رقم الايداع ٧٨/٤٥٩٤

الترقيم الدولى ٧ ـ ٥٨ ـ ٧٢٠٠

« دار الطباعة الحديثة »
اول شارع الجيش ـ تليفون ٩٠٨٣١٨
القـاهرة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن الكتـاب

قضى المؤلف اثنى عشر عامـا فى سـجون وليمانات ومعتقـلات المملكـة المصرية ، وجمهورية مصر ، والجمهورية العربية المتحدة • وبعـد خـروجه ظـل سنوات اخـرى يتامل بعض احـداث جيله ••• وفى لحظـة صـدق مع نفسـه سـجل هذه التجربـة الغنيـة •

ان رحلة المؤلف فى سجون مصر كمـا سجلها فى هذا الكتاب لـم تكـن رحلة حقـد على احـد •• ولم تكن رحلة انتقـام بالكلمات من السجانين •• لان السجانين ببساطـة مذلة يموتون فى اللحظـة التى يقبلون فيهـا هـذا العمـل •

ان رحلة هذا الكتـاب تؤكـد ان سؤال الانسان عن حقـه فى الحب أمـر طبيعى •• وان فهم الانسان لظروف مجتمعه امـر عـادى جـدا حتى وان كـان غـال الثمن •

والكتاب قـد يبدو فى ظاهره مجرد رحلة فى السجون السياسية •• لكنه فى اعمـاقه رحلة انسان يبحث عن حقـه الطبيعى فى الحرية والحب • انه رحلة الاصرار على الحق التى تجعل العذاب الذى يفرضه السـجان هـو طاقة جديدة ينير بهـا الانسـان ايام المستقبل •

حاول ان تفهم حقك فى حب الحياة والناس بان تقـرأ هذا الكتـاب اكثـر مـن مـرة •

الناشر

العربى
للنشر والتوزيع

العربى